



مركز
للبحوث والتحريات الكمبيوترية

اصبهان

للعلوم



عمر
عليه السلام

www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.ir

الحكايات

في حياة النبي صلى الله عليه وآله
وآله وأصحابه الكرام

وتحقيقات التفسير

صلى الله عليه وآله

أبو بكر محمد بن علي بن أبي طالب

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لمحات فى علوم القرآن و اتجاهات التفسير

كاتب:

محمد بن لطفى الصباغ

نشرت فى الطباعة:

المكتب الاسلامى

رقمى الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

٥	الفهرس
١٤	لمحات فى علوم القرآن و اتجاهات التفسير
١٤	اشارة
١٤	مقدمة المؤلف
١٤	اشارة
١٤	أما بعد
١٥	«لمحات فى علوم القرآن و اتجاهات التفسير»
١٦	مقدمة
٢١	القسم الأول القرآن و علومه
٢١	اشارة
٢١	الباب الأول القرآن
٢١	اشارة
٢٢	الفصل الأول فى تعريف القرآن و وصفه و دوره فى ماضينا و مستقبنا
٢٢	تعريف القرآن الكريم:
٢٢	وصف القرآن الكريم:
٢٣	خلود القرآن الكريم:
٢٣	دور القرآن فى حفظ لغتنا و الابقاء على أمتنا:
٢٤	القرآن أساس الاصلاح و سبب النهضة و المجد و هو دستور المسلمين:
٢٧	أثر القرآن فى البيان و الفكر:
٢٨	الفصل الثانى فى أسماء القرآن
٢٨	اشارة
٢٨	القرآن:
٣٠	ملاحظة اولى:

- ٣٠ ملاحظة ثانية:
- ٣٠ الكتاب:
- ٣١ *** لما ذا سمى القرآن (قرآنا) و (كتابا)؟
- ٣١ الفرقان:
- ٣٢ الفصل الثالث فى الوحى:
- ٣٢ الوحى فى اللغة:
- ٣٣ الوحى فى الشرع:
- ٣٤ *** صور الوحى:
- ٣٤ آثار الوحى على الرسول:
- ٣٧ *** صدق ظاهرة الوحى:
- ٣٩ الخلاصة:
- ٣٩ الفصل الرابع فى تنجيم القرآن:
- ٣٩ معنى التنجيم:
- ٣٩ مدة التنجيم:
- ٤٠ كمية النازل فى كل نجم:
- ٤٠ *** موقف المشركين من التنجيم:
- ٤١ حكم التنجيم و أسرارہ:
- ٤٥ الفصل الخامس فى الآيه و الشورة:
- ٤٥ ١- الآيه:
- ٤٥ ١- الآيه فى اللغة:
- ٤٥ اشارة:
- ٤٦ وزنها:
- ٤٦ اشتقاقها:
- ٤٧ *** جمعها:

- ٤٧*** الاية فى القرآن:
- ٤٧*** كيف تعرف الايات:
- ٤٧العلاقة بين المعنى اللغوى و القرانى:
- ٤٧٢- السورة:
- ٤٧اشارة
- ٤٨جمعها:
- ٤٨السورة خاصة بالقرآن:
- ٤٩من سمى سور القرآن؟
- ٤٩الفصل السادس فى ترتيب آيات القرآن و سوره
- ٤٩١- ترتيب آيات السورة:
- ٤٩اشارة
- ٥٠لما ذا لم ترتب الآيات حسب نزولها؟
- ٥١٢- ترتيب سور القرآن:
- ٥٢الفصل السابع فى إعجاز القرآن
- ٥٢اشارة
- ٥٢المعجزة:
- ٥٣*** الاعجاز:
- ٥٦*** مدار الاعجاز:
- ٦٠القول بالصرفة:
- ٦٢*** تلخيص:
- ٦٣ترجمة القرآن:
- ٦٣الباب الثانى تاريخ جمع القرآن
- ٦٣اشارة
- ٦٤الفصل الأول فى كتابة القرآن فى عهد النبى صلى الله عليه و سلم

- ٦٥ الفصل الثاني كتابته فى عهد أبى بكر
- ٦٨ الفصل الثالث نسخ المصاحف أيام عثمان رضى الله عنه
- ٦٨ كلمة المصحف:
- ٦٩ سبب نسخ المصاحف و طريقة النسخ:
- ٧٢ عدد المصاحف العثمانية:
- ٧٢ رأى الصحابة فى صنع عثمان:
- ٧٣ الفرق بين جمع أبى بكر و عثمان:
- ٧٤ أين المصاحف العثمانية الآن؟
- ٧٦ خاتمة
- ٧٧ الفصل الرابع كتابة المصاحف و تطورها
- ٧٧ الاملاء العثمانى:
- ٧٧ تطور هذه الكتابة:
- ٨٠ *** كتابة المصحف و الرسم العثمانى:
- ٨٤ *** نشر المصحف و طبعه فى العصر الحاضر:
- ٨٥ الباب الثالث علوم القرآن
- ٨٥ اشارة
- ٨٦ الفصل الأول المكى و المدنى
- ٨٦ اشارة
- ٨٧ *** تعريف المكى و المدنى:
- ٨٧ *** خصائص المكى:
- ٨٨ خصائص المدنى:
- ٨٨ كيف نعرف المكى من المدنى؟
- ٨٩ *** فوائد معرفة المكى و المدنى:
- ٨٩ الفصل الثاني المحكم و المتشابه

- ٨٩ اشارة
- ٩٠ تعريف المحكم و المتشابه
- ٩٠ *** هل المتشابه مما يمكن معرفته؟
- ٩٢ أنواع المحكم:
- ٩٢ أنواع المتشابه:
- ٩٢ التقسيم الأول:
- ٩٣ التقسيم الثانى:
- ٩٣ المنحرفون و المتشابه:
- ٩٥ فوائد المتشابه:
- ٩٦ الفصل الثالث القراءات
- ٩٦ تعريفها:
- ٩٦ شروط القراءة الصحيحة:
- ٩٧ القراءات وحي:
- ٩٨ *** حديث الأحرف السبعة:
- ١٠١ هل الأحرف السبعة موجودة فى المصاحف العثمانية؟
- ١٠٢ تاريخ القراءات:
- ١٠٣ قال ابن تيمية:
- ١٠٤ *** ملاحظات:
- ١٠٤ *** حكم تعدد القراءات «٣»:
- ١٠٥ القراء العشرة و روايتهم:
- ١٠٦ ١- جدول بأسماء القراء السبعة و روايتهم:
- ١٠٦ اشارة
- ١٠٦ الملاحظات حول القراء السبعة:
- ١٠٧ ب- جدول بأسماء القراء الثلاثة المكملين للعشرة:

- ١٠٧ اشارة
- ١٠٧ الملاحظات حول القراء الثلاثة:
- ١٠٧ القسم الثانى التفسير و اتجاهاته
- ١٠٧ اشارة
- ١٠٧ التفسير:
- ١٠٨ التفسير و التأويل:
- ١٠٩ الباب الأول أصول التفسير
- ١٠٩ اشارة
- ١٠٩ أولاً: العلوم التى يحتاج اليها المفسر عديدة أهمها:
- ١١١ ثانيا: الشروط التى يشترطها العلماء فى المفسر:
- ١١١ *** ثالثا: قواعد أصول التفسير:
- ١١٢ الباب الثانى تاريخ التفسير
- ١١٢ اشارة
- ١١٢ الفصل الأول التفسير فى عهد النبى صلى الله عليه و سلم
- ١١٣ الفصل الثانى التفسير فى عهد الصحابة
- ١١٣ اشارة
- ١١٦ *** قيمة تفسير الصحابة «٣»:
- ١١٧ الفصل الثالث التفسير فى عهد التابعين
- ١١٧ اشارة
- ١١٨ قيمه تفسير التابعين:
- ١١٨ *** ملاحظة:
- ١١٩ الفصل الرابع تاريخ التفسير فيما بعد عهد التابعين
- ١٢١ الباب الثالث اتجاهات التفسير
- ١٢١ اشارة

- ١٢١ الفصل الأول الإتجاه اللغوى فى تفسير القرآن
- ١٢١ اشارة
- ١٢٢ ١- القسم المتعلق بمفردات اللغة أو (كتب غريب القرآن):
- ١٢٢ اشارة
- ١٢٤ غريب القرآن لابن قتيبة
- ١٢٥ *** غريب القرآن للسجستاني:
- ١٢٦ *** المفردات فى غريب القرآن:
- ١٢٨ *** ٢- القسم المتعلق بالنحو و القضايا الاعرابية:
- ١٢٨ اشارة
- ١٢٩ كتاب «معانى القرآن» للفراء:
- ١٣١ *** تفسير «البحر المحيط» لأبى حيان:
- ١٣٢ *** ٢- كتب إعراب القرآن:
- ١٣٣ *** القواعد التى على معرب القرآن أن يراعيها:
- ١٣٤ *** ٣- القسم المتعلق بالأساليب البيانية:
- ١٣٤ اشارة
- ١٣٦ ١- الكشف للزمخشري:
- ١٣٦ اشارة
- ١٣٨ *** تأثير «الكشاف»:
- ١٤٠ ٢- «فى ظلال القرآن» للاستاذ سيد قطب:
- ١٤٠ ترجمة المؤلف:
- ١٤٠ الكتاب:
- ١٤٤ *** كتب اخرى فى التفسير البياني:
- ١٤٥ الفصل الثانى التفسير بالمأثور
- ١٤٥ مدرستان:

- ١٤٥التفسير بالمأثور:
- ١٤٦هل تفسير الصحابة و التابعين من المأثور؟
- ١٤٧متى يقبل التفسير بالمأثور؟
- ١٤٧أوليته:
- ١٤٧*** الاسرائيليات:
- ١٥٠تفسير الطبرى
- ١٥٠ترجمته «١»:
- ١٥٠تفسيره:
- ١٥٤كتب أخرى فى التفسير بالمأثور:
- ١٥٤كتاب «تفسير القرآن العظيم» لابن كثير:
- ١٥٥الفصل الثالث التفسير بالرأى
- ١٥٥اشارة
- ١٥٨تفسير الرازى
- ١٥٨ترجمته:
- ١٥٩كتاب «مفاتيح الغيب»:
- ١٦٢الفصل الرابع التفسير العلمى
- ١٦٢اشارة
- ١٦٧تفسير طنطاوى جوهرى
- ١٧٠الفصل الخامس المنحى الإصلاحى الاجتماعى فى التفسير
- ١٧٠اشارة
- ١٧١جمال الدين الأفغانى
- ١٧١اشارة
- ١٧٢جمال الدين و التفسير الاصلاحى:
- ١٧٣الشيخ محمد عبده

- ١٧٣ اشارة
- ١٧٥ آثاره فى التفسير:
- ١٧٥ طريقته فى التفسير:
- ١٧٦ كلمة فى الضجة حول محمد عبده و جمال الدين:
- ١٧٧ السيد محمد رشيد رضا
- ١٧٧ اشارة
- ١٧٧ مقدار تفسير السيد محمد رشيد رضا:
- ١٧٧ ملاحظات حول «تفسير المنار»:
- ١٧٨ الفصل السادس اتجاهات أخرى
- ١٧٩ خاتمة
- ١٧٩ مراجع الكتاب
- ١٩١ فهرس الموضوعات
- ١٩٢ من آثار المؤلف المطبوعة
- ١٩٣ تعريف مركز القائمة باصفهان للتحريات الكمبيوترية

لمحات في علوم القرآن و اتجاهات التفسير

إشارة

نام كتاب: لمحات في علوم القرآن و اتجاهات التفسير

نويسنده: محمد بن لطفى الصباغ

موضوع: علوم قرآنى

تاريخ وفات مؤلف: معاصر

زبان: عربى

تعداد جلد: ١

ناشر: المكتب الاسلامى

مكان چاپ: بيروت

سال چاپ: ١٤١٠ / ١٩٩٠

نوبت چاپ: دوم

لمحات في علوم القرآن واتجاهات التفسير

Imhat fi a'loum alkra'n watjahat altfsir

تأليف: محمد بن لطفى الصباغ تاريخ النشر: ١/٠١/١٩٩٠

الناشر: المكتب الإسلامى للطباعة و النشر

النوع: ورقى غلاف فنى،

حجم: ١٧×٢٤،

عدد الصفحات: ٣٦٠

صفحة الطبعة: ١ مجلدات: ١

مقدمة المؤلف

إشارة

بسم الله الرحمن الرحيم إن الحمد لله نحمده و نستعينه و نستغفره، و نعوذ بالله من شرور أنفسنا، و من سيئات أعمالنا، من يهد الله فلا مضلّ له، و من يضلل فلا نجاد. و أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له و أشهد أن محمدا عبده و رسوله أرسله بالهدى و دين الحق ليظهره على الدين كله، و أنزل عليه القرآن هدى للناس و كتابا مبينا، فأعجز هذا الكتاب العربى الخالد بلغاء الدنيا و فصحاءها، و قامت على هدها حضارة انسانية عالمية ملأت ربوع الأرض عدلا و نورا و سموا، و ستبقى آيات القرآن مصدرا لكل خير و سعادة حتى تقوم الساعة. و صلاة الله و سلامه على هذا الرسول النبى العربى الأسمى و على آله و صحبه و من دعا بدعوته و اهتدى بهداه إلى يوم الدين.

أما بعد

فهذه بحوث في القرآن و علومه، حاولت فيها دراسة تاريخ القرآن الكريم، و التعريف بإعجازه و قراءاته و علومه، و بأهم مناهج التفسير، مع التعريف ببعض الكتب المهمة التي تمثل هذه المناهج. بإيجاز شديد يمكنني من إعطاء فكرة واضحة عن أبرز معالم هذه الموضوعات المهمة.

و لا بد لي من تنبيه قراء هذا الكتاب- و لا سيما إخواني الطلبة- إلى أن هذه المباحث النظرية التي ضمها هذا الكتاب تمثل جانبا، و هناك جانب آخر لا يقل عنه أهمية و شأنا .. إنه دراسة نصوص من القرآن الكريم.

لمحات في علوم القرآن و اتجاهات التفسير، ص: ٦

إنّ عليهم أن يعيشوا في رحاب القرآن، و في ظلال نصه الجميل، و أن يعنوا بتلاوته و دراسته دراسة أديبة تتيح لهم أن يتعرفوا مواضع الجمال الفني، و أن يتوصلوا إلى إدراك أسرار الإعجاز. و إن عليهم أن يتوجوا هذه الدراسة بحفظ آيات و سور منه. و في هذه الدراسة التطبيقية لآيات القرآن الكريم فوائد من أهمها:

* العيش الكريم في ظلال هذا القرآن، و الشعور بالسمو و الارتفاع، ذلك أنك- عند تلاوتك للقرآن- تقرأ كلام الله الذي أنزله على رسوله محمد صلى الله عليه و سلم ليبلغه للناس. إن النفس المسلمة لتشعر بكثير من السمو و الارتفاع عند ما تتصور أن الله العلي القدير مالك الملك يرسل إليها هذا الكلام، و يحمله إليها خير الخلق محمد صلى الله عليه و سلم.

* و منها تذوق الجمال و تعرف أسرار البلاغة و دلائل الإعجاز و في ذلك تقدير للقرآن الكريم حق قدره، و فيه متعة دونها كل متع الدنيا.

* و منها صقل الأسلوب، و الارتفاع به، و التمكن في اللغة العربية، و ذلك بسبب الاتصال بأعلى مستوى في البلاغة و البيان. و قد سميت هذا الكتاب

«لمحات في علوم القرآن و اتجاهات التفسير».

و قسمته قسمين:

القسم الأول: في القرآن و علومه. و يتألف من ثلاثة أبواب، هي:

الباب الأول: في القرآن. و فيه سبعة فصول.

الباب الثاني: في تاريخ القرآن. و فيه أربعة فصول.

و الباب الثالث: في علوم القرآن. و فيه ثلاثة فصول.

و القسم الثاني: في التفسير و اتجاهاته. و يتألف من ثلاثة أبواب، هي:

الباب الأول: في أصول التفسير.

لمحات في علوم القرآن و اتجاهات التفسير، ص: ٧

الباب الثاني: في تاريخ التفسير، و فيه أربعة فصول.

الباب الثالث: في مناهج التفسير، و فيه ستة فصول.

و أنا أسأل الله أن يسدد خطانا على طريق الحق، و أن يجعلنا ممن يعيش وفق أحكام القرآن، و ممن يجاهد بالغالي و الثمين ليحكم القرآن. و يسود حياتنا في جوانبها جميعا، و يومئذ تعود لنا عزتنا السابقة، و تتبدل أوضاعنا من فرقة إلى اجتماع، و من ضعف إلى قوة، و من هزيمة إلى نصر، و من تخلف إلى تقدم، و أسأله تعالى أن يجعل أعمالنا خالصة لوجهه، و الحمد لله رب العالمين.

الرياض في ٢٧ / ٥ / ١٣٩٣ هـ ٢٨ / ٦ / ١٩٧٣ م محمّد بن لطيف بن عبد اللطيف ياسين الصبّاغ أعدت النظر في الكتاب و قدمته للطبع مرة

ثانية ١٦ / ٧ / ١٤٠٥ هـ ١٦ / ٤ / ١٩٨٥ م***

لمحات في علوم القرآن و اتجاهات التفسير، ص: ٩

مقدمة

بقلم الأستاذ الكبير الشيخ على الطنطاوى كانت العناية على عهدنا بالطلب بالفقهاء والنحو، يرون أن الفقه ثمره علوم الدين، لأنه يبين الحلال من الحرام، و النحو خلاصه علوم العربية، لأنه يعصم الانسان من الخطأ فى الكلام.

و كان الفقه يلقى علينا أحكاما بلا دليل كمواد القانون، و النحو قواعد بلا شواهد، و كان ذلك هو القاعدة فى مناهج المدارس، و فى طرق القراءة على المشايخ، و هما أسلوبان كنت أنا أول- أو من أوائل- من جمع بينهما فى الشام، ثم إذا تقدم الطالب قرأ مع النحو البلاغه، و مع الفقه الأصول، و ربما قرأ رساله فى المصطلح، و كانوا فى ذلك كله يفضلون (لا سيما فى الدراسة على المشايخ على الطريقة الأزهرية) يفضلون الأراجيز كالألفية، و الزيد، و الجوهره، يحفظها الطالب غالبا بلا فهم.

أما علوم القرآن فلم يكن لها ساعه مخصوصه، و لا كتاب معين نقرؤه، و إنما هى أشتات من المسائل، تأتي عرضا فى درس التجويد أو الحديث، و أكثر ما استفدته منها كان من المشايخ الذين جودت عليهم تلاوتى، و لا أقول: إننى صرت من المجودين أو إننى ممن جمع القراءات، و إنما وصلت بحمد الله إلى أن اقرأ قراءة صحيحه.

لمحات فى علوم القرآن و اتجاهات التفسير، ص: ١٠

كان منهم شيخ القراء الجامع على الشاطبيه و هو الشيخ محمد الحلوانى، و كان فى جامع التوبه، فى حينا فى العقبيه، و الشيخ عبد الله المنجد الجامع على الطيبه، و الشيخ عبد الرحيم دبس و زيت، و ولده تلميذ أبى و شيخى الشيخ عبد الوهاب، و عما استفدنا من أساتذتنا و مشايخنا كالشيخ صالح التونسى فى دروسه العامه فى الجامع الأموى، و حينما كان يعلمنا فى المدرسه الجقمقيه عند الشيخ عيد السفرجلانى معلم الشام نحو سنه ١٣٣٧.

و أول كتاب فى علوم القرآن وقعت يدي عليه، هو كتاب التبيان لشيخ مشايخنا الشيخ طاهر الجزائرى مربى الطبقة التى سبقتنا من أساتذتنا و الذى كان من تلاميذه المقربين محمد كرد على، و محب الدين الخطيب، و الشيخ سعيد البانى.

و كان من ثمرات جهده و إخلاصه فى عمله المكتبه الظاهرية، و المدارس الابتدائية الرسمية، و الذى على يده و بمسعاة تم فتح مدارس البنات فى الشام، و كانت أول فتاة درست فيها و نالت الشهادة الرشديه و هى فوق الابتدائية و تحت الكفاية (الكفاءة) و من أوائل من تعلم فى هذه المدارس و أخذت منها شهادتها عمته، و كانت شهادتها عندى و تاريخها سنه ١٣٠٠ هـ فى مطلع القرن الماضى، و كان مما تدرسه البنات رساله صغيره كانوا يدعونها (علم حال) كما سماها الاتراك، و هى لمفتى الشام الشيخ محمود الحمزاوى، أو محمود أفندى الحمزاوى، كما كنا نلقب من يلى القضاء او ينصب للفتاء.

و بقيت عمته رحمها الله الى آخر عمرها تحفظ هذه الرساله غيبا، فاذا سألتها ما الفرض؟ قالت: الفرض ما ثبت بدليل قطعى متنا و سندا.

و الواجب تكزها كرا.

و فى هذه الرساله مسائل من الأصول قليلة، و مسائل كثيره من الفقه على المذهب الحنفى الذى كان المذهب الرسمى للدولة العثمانية. ثم رجعت الى الأصل الذى استمد منه الشيخ طاهر و كل من ألفت فى

لمحات فى علوم القرآن و اتجاهات التفسير، ص: ١١

هذا الموضوع من بعده و هو «الاتقان» للسيوطى.

و «الاتقان» ليس معرضا فيه سلع مرتبه مصفوفه، مصنفه يمتاز جيدها من رديتها، و لكنه مستودع فيه البضائع مركومه ركما من كل نوع و كل صنف.

و تلك كانت سنة التأليف على عهد السيوطي، فقد بدأت العلوم كما يبدأ كل شيء صغيراً: مسائل تظم الى مسائل، كالسواقي التي تأتي من الينابيع، ثم تكون جدولاً، ثم تصير الجداول نهراً، ثم يتجمع ماء النهر في بحيرة كبيرة. تألفت من هذه المسائل فصول، و من الفصول كتب، و لو صنعنا صنيع الرياضيين، فصورنا ذلك بخط بياني لرأيناه يصعد و يصعد حتى اذا كان القرن الرابع و الخامس كان قد بلغ غاية صعوده، ثم مشى مستقيماً لا- يرتفع و لكن لا- ينخفض ثم بدأ النزول و الانخفاض.

و لكن الله قيض لهذه العلوم قبل أن تبدأ بالانحطاط من يجمع متفرقها و يحشد مسائلها، في كتب شاملة، فكان عصر ما يسمى ب (دوائر المعارف) أو (المعلمت) و أنا أقول لدائرة المعارف (Encyclopedea): معلم على وزن معجم و أراه أفضل من قولنا معلمة و معلمات.

فكان منها «الاتقان في علوم القرآن»، و «المزهر في علوم اللغة»، و «نهاية الأرب»، و «صبح الأعشى» و امثالها. كتب كبيرة يختار منها، و لا تؤخذ كلها كعرض للثياب فيه الأرياء العربية و الأفرنجية، و ملابس البدو و الحضرة، و الرجال و النساء، في هذه الكتب الرأى و نقيضه، هم مؤلفيها الجمع لا التحقيق و التمييز و التصنيف، و استمرت الحال كذلك حتى انقضى ما يسمونه بعصور الانحطاط، و بدأ عصر النهضة الجديدة فرأينا في الشام من يؤلف الكتب الكثيرة لكن على طريقة «الاتقان» و «المزهر» ككتب شيخ مشايخنا الشيخ جمال الدين القاسمي.

لمحات في علوم القرآن و اتجاهات التفسير، ص: ١٢

و من قرأ كتابه «قواعد التحديث» مثلاً أو رجع الى مقدمته تفسيره وجد نقولاً نادرة قيد أو ابداءها، و جمع شواردها، لكن لم يؤلف بينها و لم يتخير أرجحها و أقواها، فكان عصره امتداد لعصر السيوطي، و أسلوبه في التصنيف استمرار لأسلوبه، و هو جمع المعلومات في كتاب واحد، كما يجمع التاجر في المستودع أكبر قدر من السلع و البضائع. و من المؤلفين طبقة أعلى من هذه الطبقة، و إن جمع أصحابها قدراً أقل من المعلومات، فرتبها و صنفوها و ميزوا الأصيل منها من المقلد، و فرقوا بين المؤلف و المقتول.

و درجة أعلى من المصنفين هم الذين يأخذون هذه المعلومات و هذه الأخبار و المرويات فيدخلها أحدهم ذهنه كما تدخل إبالات القطن (البالات) الى مصنع النسيج فتخرج منه قماشاً عليه شارة المصنع، و ذلك مثل الغزالي.

و إن كان الغزالي في «الإحياء» قد خلط الصوفية التي انتهى اليها بالطريقة الفكرية التي عاش عليها، فكان الواحد فيه صار اثنين: الغزالي العالم الذي يحكم عقله في ترجيح الروايات، و فهم النصوص، و هذا هو عمل العقل فيها، كما قال ابن خلدون.

و الغزالي الصوفي الذي يدع الحقيقة الشرعية التي يعرفها، و يعتمد مشاعر قلبه، و ما تلقفه عن جعلهم مشايخه من الصوفية، و هو أعلم و أجل منهم، و العجب كما قلت من قديم أن الغزالي كتب هذا الكلام في الإحياء في القرن الذي توالى علينا فيه المصائب من الشرق و الغرب، و جاءنا العدوان القويان الهمجيان يفسدان ديننا و يقوضان أركان حضارتنا: التتار و المغول الشرقيون، و الصليبيون الاوربيون، يوم كانت أوروبا يعيش اهلها كالذئب، في أعماق الغاب، و أتصور أحيانا ما ذا يكون حال المسلمين لو أنهم أخذوا بما جاء في «إحياء علوم الدين» فقللوا الاكل حتى أصابهم

لمحات في علوم القرآن و اتجاهات التفسير، ص: ١٣

الهزال. و ربما أدى بهم الى السل، و قصد كل ركننا مظلماً فعاش فيه عيشة الخمول!! من كان يجاهد في سبيل الله؟ و من كان يرد هذا العدوان عن دين الله؟ «١***» و لقد كان في عصر الشيخ طاهر من نحا في التأليف منحى الغزالي «٢» و ان لم يجاره و لم يدانه، و هو العالم الذي لا- يتنبه اليه و يعرف فضله الا- القليل، كان له كتابان، من قرأهما ادرك صحة ما قلت عن مؤلفهما، هما كتابه «عمدة التحقيق» «٣» و كتابه الذي ألفه عن حكم لبس الحرير، و هو شيخنا الشيخ سعيد الباني، جاء به الاستاذ محمد كرد علي لما فتحت

مدرسة الآداب العليا التي دعيت من بعد كلية الآداب سنة ١٩٣٠ م جاءنا به بعد ما ذهب شبابه و ضعفت همته، فلم يجد الطلاب فيه ما كانوا ينتظرونه منه، و لعلكم تعجبون إذا قلت لكم: إنه كان معنا بين الطلاب من هم اساتذتنا، و من هم في السن مثل آبائنا، كالشيخ زين العابدين التونسي، و الاستاذ عبد الغنى الباقنى. جاءوا لا ليحصلوا علما و لكن ليحملوا شهادة تنفعهم في وظائفهم. و الشيخ سعيد لم يتزوج، و لم يخلف ولدا، و لكن له ابن أخ يتمنى كل عالم ان يشرف بأن يكون عمه ذلكم هو العالم العامل الصالح الاستاذ عبد الرحمن الباني.

ثم كثرت المصنفات في علوم القرآن، فكان من أجمعها كتاب العالم الذي صحبته في مصر حيناً، الشيخ عبد العظيم الزرقاني مؤلف «مناهل

(١) و لا يزال الغزالي - لو لا هذا - المفكر الإسلامى الأول.

(٢) نحا منحى الغزالي في تفكيره العلمى لا فى اتجاهه الصوفى.

(٣) طبعه المكتب الاسلامى مجدداً.

لمحات في علوم القرآن و اتجاهات التفسير، ص: ١٤

العرفان في علوم القرآن» و هو كتاب جليل، و لكنه لا يخلو من استطراد و تطويل، و ربما اختار فى الامور الخلافية القول المرجوح و ترك الراجح، و ان كانت هذه الهنات الهيئات لا تسلب الكتاب قدره و لا تحط مؤلفه عن منزلته.

و الذى يكتب فى الأدب يكون حراً فى اختيار الموضوع، حراً فى اسلوب عرضه، يقول ما يشاء، و يمشى من حيث يشاء، أما الذى يكتب فى موضوع دينى فإنه لا يستطيع أن يخرج فيما يكتب عن الجادة المرسومة، و لا ان يجدد فى الموضوع لأنه دين، و التجديد فيه رد على صاحبه، فلم يبق من مجال أمام مؤلفى هذه الكتب الا التفاوت فى جودة الفهم و حسن العرض.

و ليس ذلك سهلاً، و ما كل من فهم مسألة استطاع أن يفهمها، و تبسيط العلم «١» ميزة اختص الله بها قليلاً من العلماء، أعرف منهم فى عصرنا صديقنا بل استاذنا الشيخ عبد الوهاب خلاف، أول من عبء للطلبة طريق الوصول الى علم الاصول، و سهله و وضحه، و منهم صديقنا بل استاذنا أيضاً الشيخ شلتوت، و اذا انت رأيت معلماً يلقي المسألة فلا يفهمها التلاميذ فيستوضحونه فيحاول التوضيح فلا يأتى بأكثر مما قال فاعلم انه حفظ المسألة و ما فهمها أو هو (بالتعبير الجديد) ما هضمها.

و من فهم المسألة حقاً استطاع أن يفهمها الناس جميعاً لأنها تصير ملكاً له يتصرف فيها تصرف المالك بملكه. و ألفاظ اللغة بين يديه يختار منها ما شاء بارادته، فلا يزال يبدل لفظاً بلفظ و عبارة بعبارة، حتى يجد العبارة التى يوصل بها المسألة الى افهام التلاميذ. كبايع الثياب يأتيك بالثوب لتقيسه، فاذا وجدته عريضاً جاءك بأضيق منه، و اذا كان طويلاً اتاك بأقصر، حتى تجد الثوب الذى يلائمك و يصلح لك، و من الامثلة على هذا الطراز من المدرسين الشيخ الشعراوى فى احاديثه فى التفسير و فى الاعجاز

(١) أى جعله بسيطاً بالمعنى العامى لا الفصيح، لأن البسيط فى اللغة هو الواسع المبسوط.

لمحات في علوم القرآن و اتجاهات التفسير، ص: ١٥

و ممن اتوا هذه القدرة على التوضيح، و على حل المعقدات، حتى ليعجب السامع منها كيف انحلت عقدها، منهم فى مجال الرياضيات و العلوم رجل اذا انا ذكرت الحق فى الثناء عليه اتهمت و صرت كالذى يمدح نفسه، رجل يدرس الرياضيات فى الجامعة من أربعين سنة يحملون اليه أصعب المسائل فى الرياضيات بل و فى العلوم الطبيعية، فيرجعون و قد سهل صعبها و عم فهمها، عنده فى ذلك طاقة نادرة، و لكن لا يدرى بها الا قليل، لأنه لا يمشى فى ضوء الشهرة، بل يختار الممرات المظلمة و الحارات الضيقة، هو أخى الدكتور عبد الغنى الطنطاوى، جاء المملكة متعاقداً معه، بعد ما أحيل على التقاعد (على المعاش) يدرس فى جامعة مكة، من أربع

سينين، و لكنهم لم يأخذوا منه الا عشرة في المائة مما معه من علم، لا هو يعرض علمه و لا هم يدرون به فيسألونه عنه. و قريب منه في القدرة على الشرح و التوضيح الدكتور محمد الهوارى، و من هذه الزمرة من الاساتذة مؤلف هذا الكتاب الذى اقدم له. انه أحد (الفرسان الثلاثة) الذين عرفتهم تلاميذ صغارا و أراهم اليوم و يراهم الناس اساتذة كبارا، عصام العطار، و زهير الشاويش، و محمد لطفى الصباغ مؤلف هذا الكتاب، و لم ألقه بعد بالدكتور لأنه ان كان (فى الدكاترة) كثرة أخذوا الشهادة بحق و استغلوها لنصرة الحق و ضموا اليها العلم، فإن منهم من شهادته كشهادة الزور فى المحكمة، تدرج آليا فى مراحل الدراسة حتى وصل اليها، فانتهى عندها و اكتفى بها، و صارت له مثل الصحيفة الصفراء، التى تجدون خبرها فى الكتاب الخالد، و الخلود فى الدنيا مجازى لا حقيقى، و هو كتاب (كليلة و دمنه).

ان بدأ كثير من الدكاترة بهذه الورقة دخلوا الى الحصول عليها من

لمحات فى علوم القرآن و اتجاهات التفسير، ص: ١٦

الباب فأخذوها بالحق ثم جعلوها بداية طريق العلم، فتابروا على المسير فيه و الصعود فى مدارجه، فإن منهم من دخل فى الليل من النافذة لا من الباب، فاستولوا عليها بالباطل.

أما الشيخ محمد الصباغ فقد نالها بعد ما حمل من العلم ما يغنيه عنها، درس كما يدرس الطلاب فى المدارس الى آخر الجامعة، و قرأ على المشايخ فى الشام، و صحب الفقيه المفكر (الشيخ صالح العقاد) و كذلك صنع اخونا الدكتور أمين المصرى رحمه الله، ذهب يطلبها و هو عالم ازهرى، و مدرس ألمعى، فكانت الدكتورة للمصرى و للصباغ قطعة حلوى على مائدته، ان وجدت نفعت و لذت، و ان فقدت ما ضرت و ما جوعت.

و رب دكتورية (دكتوراه) هى خبز المائدة و ادامها ليس عليها غيرها.

*** علوم القرآن مما ينبغى لكل مسلم متعلم ان يطالع عليها، أو على كبريات مسائلها، و الكتب العصرية فيها كثيرة و فيرة، و مؤلفوها اخوان لى أحبهم و أقدرهم، و أشهد مع ذلك للأستاذ الصباغ من غير أن أشهد عليهم، أدل من يسألنى على كتابه و لا أسلب تلك الكتب فضلها، و لا أذم أهلها، لأن كتاب الصباغ ان لم يكن خير هذه الكتب فهو من خيرها، إجازا فى غير اخلال، و توضيحا بلا املاى، و فيه الشواهد و الامثال، و مما سرنى منه أنه اختار فى المسائل الخلافية ما أرى انا (على قلة علمى) انه الحق، كالخلاف فى مسألة رسم القرآن. فالذى أذهب اليه من القديم، و أدعو اليه، و ألح عليه، هو أن يكتب المصحف للطلبة و للعامه بالكتابة المعروفة (أى بالرسم المألوف).

و لا أقول: إنه أخذ ذلك منى، بل أحمد الله على أن رأيه وافق رأيى، و لقد كتبت من قريب فصلا طويلا فيما كنت أنشر كل اسبوع فى جريدة الشرق الأوسط بعنوان (فتاوى) و هذا الفصل ستقرءونه إن شاء الله قريبا، حينما تجمع هذه الفتاوى فى كتاب، و العجب من اتفاق العلماء الآن

لمحات فى علوم القرآن و اتجاهات التفسير، ص: ١٧

من غير دليل لهم من كتاب و لا سنة، و لا نقل عن معصوم، و انما هى أقوال لأئمة يخطئون و يصيبون، على التزام هذا الرسم العثمانى، و هم يرون الطلاب يخطئون فى قراءة القرآن، و الله انزله متلوا لا- مكتوبا، و أوجب علينا فى بعض الحالات (فى الصلاة مثلا) قراءة شىء منه، و لم يلزمنا أبدا بكتابة شىء، حتى ان أحد الاساتذة الكبار، و المحدثين المشهورين، و قد مر ذكره قبل أسطر معدودة قال: إن كتابته توقيفية.

و أنا لم أفهم الى الآن ما معنى هذا الكلام؟ لأن التوقيف هو الوحى، و الذين كانوا يكتبون لا يوحى اليهم، و الذى كان يوحى اليه صلى الله عليه و سلم لا يكتب، فكيف صارت الكتابة توقيفية؟ هذا و فى الفتوى ادلة كثيرة لا مجال الآن لذكرها. على أن الاستاذ الصباغ جزاه الله خيرا و فى هذا الموضوع حقه، فأفاض فيه و أفاد.

و من مزاي هذا الكتاب انه لم يدع مؤلفه فيه غامضا إلا وضح، و لا شيئا يتعسر فهمه على الطلاب إلا شرحه، فكان كتابه مفيدا في اللغة و الأدب فوق فائدته القراء في موضوعه الذي ألف له.

و من مزايه انه ان نقل عن كتاب دل القارئ على الجزء و الصفحة المنقول منها، فعرفهم بالمراجع، و معرفة المراجع علم ربما أخصى (أى تخصص فيه) بعض الباحثين.

حقق الأحاديث و بين درجتها، و آفة كثير من الكتب العصرية انهم يثبتون في كتبهم أحاديث لا يتبينون درجتها، و لا يسمون مخرجها؛ و لا يثبتون من صحتها.

و كنت أرجو منه لما تكلم في الاعجاز ان يشير الى كتاب الاستاذ الحمصي الذي قدم له شيخنا الشيخ بهجة البيطار، و طبعه المجمع العلمي (مجمع اللغة العربية في دمشق) إذ لخص في هذا الكتاب مذاهب الأولين في

لمحات في علوم القرآن و اتجاهات التفسير، ص: ١٨

بيان أسباب الاعجاز، و كنت أرجو أن يشير الى الشيخ الشعراوي و ما أعطاه الله من موهبة في الكلام في التفسير و في وجوه الاعجاز، و انه يجيء بما لم يسبق اليه و لم يلحق فيه، و ان كانت له كما يكون لكل انسان زلايت، كادعائه أن الهواء جزء من الأرض لقوله تعالى: (فَسَيَرُوا فِي الْأَرْضِ و لم يقل: (سيروا عليها)، و ان كان في هذا استدلال فالقاعدة انه لا عبرة بالدلالة في مقابلة النص، و الله قد نص في كتابه على السحابِ الْمُسَيَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَ الْأَرْضِ و معلوم أن السحاب في الهواء، فكان ذلك نصا على أن الهواء ليس من الأرض، على أن أصل الاستدلال غير مسلم، فاذا نازعك جارك و ادعى انك تسير على أرضه، قلت له: بل انا أسير في أرضي، فلا فرق في الاستعمال بين قولي (سرت في الارض) و (سرت على الأرض) و إلا فهم من قولنا (يسير في الأرض) انه يحفر فيها حجرا و يدخل في باطنها، كما تدخل الجرذان.

و مما يؤخذ عليه ذهابه إلى أن آزر عم إبراهيم و ليس أباه، كما ذهب الى ذلك كثير من المفسرين، لتأثير الاسرائيليات عليهم، و هذا قول لا سبيل إلى قبوله بعد أن صرح الله بقوله: وَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ.

و مما كنت أرجوه من الاستاذ المؤلف لما كتب عن مصير المصاحف العثمانية ان يشير الى ما كتب الكوثري عن مصحف دمشق و غيره، و اذا كان الاستاذ الصباغ و الاستاذ الشاويش و الاستاذ الشيخ ناصر الدين يخالفون الكوثري في مسائل فلا تمنع هذه المخالفة أن يأخذوا ما عنده من الصواب، لأن الحكمة ضالة المؤمن. أما مصحف الشيخ عبد الحكيم الافغانى الذي اشار اليه فقد لبثت دهرا من عمرى اظن انه قد نسخه عن المصحف العثماني نسخا كاملا، و ما زلت ابحت عنه حتى وجدته عند آل الدوجي (و هم فرع من أسرة الصواف) و كانوا يلازمون الشيخ عبد الحكيم و يخدمونه، فوجدته مكتوبا بالخط العادي.

لمحات في علوم القرآن و اتجاهات التفسير، ص: ١٩

و لما نشرت مجلة العربي استطلاعاً (ريپورتاج) مصورا عن استامبول «١»، رأينا صورا لمصحف عثمان الذي كان في جامع دمشق في قبة الخزانة في صحن الجامع من الجهة الغربية، و هي غرفة عالية تحت قبة قائمة على أعمدة ثمانية، ما لها إلا باب صغير، كنا و نحن صغار نسمع ان فيها كنوزا و أموالا للجامع الاموى، ثم علمنا أن جمال باشا قد فتح بابها و نقل ما فيها إلى استامبول.

و لصديقنا الذي هو بمنزلة أستاذنا الشيخ راغب الطباخ بحث جيد عن مصير هذه المصاحف العثمانية في كتابه (الثقافة الاسلامية).

و كنت أتمنى على الاستاذ الصباغ لما تكلم عن التفسير و التأويل، و ذكر أقوال من سوى بينهما و من فرق، أن يذكر شيئا ادرкте انا على ضعفى و عجزى و قلته علمى هو أن التفسير بيان للمعنى المراد، من فسر بمعنى سفر أى ظهر، و هو باب معروف عند العرب كقولهم يئس و آيس و جذب و جذب، فان عدّيت فعل فسر أى ظهر بالتضعيف قلت: فسّرتة تفسيرا، أى كشفته و بينته.

و التأويل من آل الأمر الى كذا أى رجع اليه، فإن عدّيته قلت: أولته تأويلا. و التأويل تأويلان:

تأويل حال، و تأويل مقال.

و الأول أكثر ورودا في القرآن يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ أى تحقيق الحال الذى يصير اليه.
و الثانى ما استقر عليه الاصطلاح حين يفرقون عند الكلام على آيات الصفات بين من يؤول، أى ينقل الكلمات عن معناها الأصلية
الظاهرى الى

(١) و الذى سماها اسلامبول أى مدينة الاسلام هو السلطان محمد الفاتح، و (بول): مدينة فهى بمعنى اسلام آباد التى صارت عاصمة
باكستان.

لمحات في علوم القرآن و اتجاهات التفسير، ص: ٢٠

معنى آخر، و بين من لا يؤول. ان تؤمن بما جاء من عند الله الا فى المواطن التى لا بد فيها من شىء ربما دعى التأويل على توسع فى
معنى الكلمة، كقوله تعالى فى آية واحدة: اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ و قوله:

وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ فالاجماع على انها ليست معية ذات، تعالى الله عن ذلك، و لكنها معية علم و بصر و سماع، و مثلها: نَسُوا اللَّهَ
فَنَسِيَهُمْ يمنع إرادة المعنى الأصلية، أى القاموسى فى كلمة فَنَسِيَهُمْ ان النسيان مستحيل على الله و ما كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا.

و لعل منشأ الخلاف ان هذه الكلمات وضعت فى لسان العرب قبل نزول القرآن، و أن القرآن نزل بهذا اللسان، و انها وضعت لمعان
بشرية أرضية، فلا يجوز ان نفهمها بهذه المعانى لأن الله ليس كمثله شىء، و لأن الخالق لا يشبه المخلوق، و لا يجوز أن نخرجها عن
معانيها كلها فنجعلها ألفاظا معطلة لا تدل على شىء. و فى كتابى «تعريف عام بدين الاسلام» بيان لهذا الذى اقول.

*** و بعد فما كان بى حاجة الى كتابة هذه المقدمة، لأن المقدمات انما تكون تعريفا بكاتب مجهول، أو بحث جديد غير معروف.
و الكاتب هنا الاستاذ الصباغ، معروف بفضلته الذى يبدو فى آثار قلمه، و فى بيانه، الذى يظهر دائما على لسانه، و فى علمه الذى يشهد
به عارفوه، و يستفيد منه تلاميذه، فهو رجل قد جمع سعة الاطلاع، و جودة اللقاء، و سلامة اللغء، و البعد عن اللحن، و هو محدث
موفق فى الاذاعة و الرأى، و مدرس ناجح فى الجامعة و فى الجامع، ظاهر المكان، متميز الرأى فى الندوات الاسلامية، عامل دائب فى
حقل الدعوة الى الله، قادر على توضيح المسائل و تقريبها الى الشبان، و هو سليم العقيدة، سلفى المشرب، مثل أخويه عصام و زهير،
وفقهم الله جميعا و قواهم و أكثر من امثالهم.

على الطنطاوى

لمحات في علوم القرآن و اتجاهات التفسير، ص: ٢١

القسم الأول القرآن و علومه

إشارة

لمحات في علوم القرآن و اتجاهات التفسير، ص: ٢٣

الباب الأول القرآن

إشارة

ستحدث فى هذا الباب عن القرآن و تعريفه، و وصفه، و خلوده، و دوره فى حفظ لغتنا و الابقاء على أمتنا و إصلاح أوضاعنا و
نهضتنا، و كونه دستور المسلمين و عن أسماء القرآن و عن ظاهرة الوحي و عن نزوله منجما و عن آياته و سوره و إعجازه.

لمحات في علوم القرآن و اتجاهات التفسير، ص: ٢٥

الفصل الأول في تعريف القرآن و وصفه و دوره في ماضينا و مستقبلنا

تعريف القرآن الكريم:

القرآن هو كلام الله المعجز، و وحيه المنزل على نبيه محمد بن عبد الله صلى الله عليه و سلم، المكتوب في المصاحف، المنقول عنه بالتواتر، المتعبد بتلاوته.

و يقتضينا فهم هذا التعريف شرح بعض الأمور:

* فقولنا (كلام الله) إشارة إلى أن هذا القرآن كلام الله. فخرج بهذا القيد سواه من كلام البشر و الجن و الملائكة.
* و قولنا (المعجز) إشارة إلى أن هذا الكلام أعجز البشر و الجن أن يأتوا بمثله، و سنفرد موضوع الإعجاز بفصل خاص إن شاء الله. و خرج بهذا القيد كلام الله الذي عبر عنه الرسول بلفظه.

* و قولنا (وحيه المنزل على محمد) مخرج للكلام الإلهي الذي نزل على الأنبياء السابقين، و الكلام الإلهي الذي ألقاه الله إلى ملائكته ليعملوا به، لا لينزلوه على أحد من البشر. و سنفرد موضوع الوحي بفصل خاص.

و وحى الله كثير، و كلماته لا حصر لها. قال تعالى: قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَاداً لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا لِمَحَاتٍ فِي عِلْمِ الْقُرْآنِ وَ اتِّجَاهَاتِ التَّفْسِيرِ، ص: ٢٦

بِمِثْلِهِ مَدَدًا «١» و قال تعالى: وَلَوْ أَنَّ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ، وَ الْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ «٢».

* و قولنا (المكتوب في المصاحف، المنقول بالتواتر، المتعبد بتلاوته) مخرج للأحاديث القدسية، و الأحاديث النبوية التي كانت و حيا من الله «٣»، و للآيات التي نسخت تلاوتها فلم تعد مكتوبة في المصحف، و لبعض القراءات التي نقلت إلينا بطريق الآحاد. و مما ينبغي شرحه كلمة (التواتر) التي وردت في التعريف، فالمتواتر هو ما يرويه جمع يستحيل عادة تواطؤهم على الكذب عن جمع مثلهم في كل مراحل السند من أوله إلى آخره «٤».

وصف القرآن الكريم:

القرآن- كما أسلفنا- هو كلام الله المعجز و وحيه المنزل، نزل به الروح الأمين على قلب محمد صلى الله عليه و سلم بلسان عربي مبين، و هو كما جاء في الحديث الضعيف التالي:

«كتاب الله تعالى فيه نبأ ما قبلكم، و خير ما بعدكم، و حكم ما بينكم، هو الفصل ليس بالهزل، من تركه من جبار قصمه الله، و من ابتغى الهدى في غيره أضله الله، و هو حبل الله المتين، و هو الذكر الحكيم، و هو الصراط المستقيم، و هو الذي لا تزيغ به الأهواء، و لا تلبس به الألسنة، و لا تشيع

(١) الكهف: ١٠٩.

(٢) لقمان: ٢٧.

(٣) ذكرت في كتابي «الحديث النبوي» ١٦٣-١٦٥ أن حديث رسول الله صلى الله عليه و سلم ينقسم الى قسمين: قسم أوحى الله اليه معناه و لكنه لم ينسبه الرسول الى ربه، و قسم قاله الرسول اجتهادا. و ذكرت أنه لا فرق بينهما من الناحية العملية، لأن على المسلم أن يمثل أمر الرسول سواء أ كان الحديث من هذا القسم أم من ذاك. إذ أنه عليه الصلاة و السلام متصل بالوحي يقره على الصحيح و ينبهه على الخطأ.

(٤) انظر تفصيل ذلك في كتابي «الحديث النبوي» ص ٢٣٦-٢٤٣.

لمحات في علوم القرآن و اتجاهات التفسير، ص: ٢٧

منه العلماء، و لا يخلق على كثرة الرد، و لا تنقضى عجائبه، و هو الذى لم تنته الجن إذ سمعته حتى قالوا: إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ «١» من قال به صدق، و من عمل به أجر، و من حكم به عدل، و من دعى إليه هدى إلى صراط مستقيم «٢».

خلود القرآن الكريم:

و القرآن الكريم باق ما بقيت الدنيا، يتحدى كل عوامل الافناء و الفناء، و ذلك بحفظ الله له. فلقد تولى الله تبارك و تعالى حفظه. قال تعالى: إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ «٣» و لم يكله إلى الناس يحفظونه كما فعل سبحانه بالكتب السابقة قال تعالى: إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَ نُورٌ، يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا، وَ الرِّبَّانِيُّونَ وَ الْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَ كَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ «٤».

و بما تضمنه من الحلول المحكمة لكل مشكلات الانسان فى كل زمان و مكان، و ذلك لكمال شريعته، إذ كان آخر الكتب السماوية الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ، وَ أَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَ رَضِيتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا «٥».

و من أدله خلود هذا الكتاب الكريم أن الانسانية رأت كثيرا من الروائع أعجب بها الناس حينما من الدهر، ثم لم تلبث هذه الروائع أن بليت،

(١) سورة الجن: ١-٢.

(٢) أخرج هذا الحديث الدارمي ٢/٤٣٥-٤٣٦ و الترمذى ٤/٥٢ عن علي مرفوعا، و سبب ضعفه وجود الحارث بن عبد الله الأعور فى سنده، و هو ضعيف. توفى سنة ٦٥ هـ.

انظر مقدمة صحيح مسلم فقد أورد تجريحا له كبيرا ١/١٩ ط عبد الباقي و ١/١٤ ط استانبول و «ميزان الاعتدال» ١/٤٣٥ و انظر «الفوائد المجموعه» ٢٩٦ و تعليق العلامة المعلمى اليماني على هذا الحديث.

(٣) سورة الحجر: ٩.

(٤) سورة المائدة: ٤٤.

(٥) سورة المائدة: ٣.

لمحات في علوم القرآن و اتجاهات التفسير، ص: ٢٨

و استنفدت أغراضها، و أصبحت قطعة من الماضى لا تتصل بحاضر الناس بسبب، أو أن يكون قد سحب عليها النسيان بذيله فلم يعد لها وجود على الاطلاق.

كم طرحت حلول! و كم عرضت نظريات! و كم أعلنت مبادئ ادّعت قدرتها على حل معضلات الحياة!! و لم تلبث أن عجزت و أفلست و توارت، و لم يعد يذكرها أحد.

أما القرآن فهو الخالد إلى أبد الدهر، الجديد الذى لا تبلى جدته مهما تقدم الزمان.

دور القرآن فى حفظ لغتنا و الإبقاء على أمتنا:

لقد مرّت على أمتنا خلال عصور تاريخها الحافل أيام قاسية، و نكبات سود، و كانت بلادها هدفا لموجات همجية و وحشية، أهلكت

الحرث و النسل، و دمرت كل مظهر من مظاهر الحضارة. و كانت هذه البلاد مسرحاً لفتن طائشة عمياء روّعت الآمنين، و قضت على أسباب الازدهار و الاستقرار، و آل الحكم فيها خلال أحقاب طويلة الى عناصر أعجمية لا تعرف العربية و لا يستريح كثير منها الى العرب، و عمّ أبناء الأمة جهل مطبق و أمية بشعة، فصارت أمتنا الى التفرق و الهوان، و تعرضت لغتنا الى الضعف و الانحلال.

و لو أن هذا الذي ذكرناه حدث في أمة أخرى لذهب ريحها، و لانقرضت لغتها، و لكن هذا القرآن الكريم بقى الحارس الأمين الذي حفظ على هذه الأمة كيانها، و مقومات وجودها و ذاتيتها، و حمى لغتها من الضياع، و لولاه لانقرضت العربية و ذابت خلال هاتيك الكوارث التي غشيت هذه البلاد و سكانها أوقاتا طويلة.

إننا لنستطيع أن نقرر بكل ثقة و قوة أن العرب لما ارتقوا في سلم الحضارة

لمحات في علوم القرآن و اتجاهات التفسير، ص: ٢٩

و أبدعوا ما أبدعوا في جوانبها، و أن اللغة العربية هي لغة القرآن، و أن القرآن سبب خلود لغة العرب و استمرار وجودهم.

هذا و قد أدرك أعداؤنا ذلك فجعلوا مهمتهم الأولى أن يصرفوا أبناء المسلمين عن القرآن. جاء في كتاب «الغارة على العالم الاسلامي» قول بالكرايف الآتي: (متى توارى القرآن و مدينه مكة عن بلاد العرب يمكننا حينئذ أن نرى العربي يتدرج في سبيل الحضارة التي لم يبعده عنها إلا محمد و كتابه) (١).

القرآن أساس الإصلاح و سبب النهضة و المجد و هو دستور المسلمين:

كان القرآن الكريم المشعل الوقاد، و المنار المضيء، ينير لأجيال أمتنا الطريق نحو المجد و الرفعة و السعادة و قيادة الدنيا الى الخير و الحق.

بل لقد كان القرآن هو الذي يربي الأمة على الأنفة و إباء الضيم، و ينفخ في أفرادها روح التمرد على الظلم و الفساد، و يدفع الأمة الى سلوك السبيل المستقيم إنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا: فِيْمَ كُنْتُمْ. قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ. قَالُوا: أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا (٢) و مهما تقدمت الأيام، و كرت الليالي فسيتقى القرآن ملاذ هذه الأمة تفرع إليه في الأزمان، فيأخذ بيدها الى الخير و التقدم و الصلاح، و يبلغها السعادة و المجد و الفلاح .. بل يبقى الملاذ الأوحى الذي لا تجد سواه في مدلهمات الخطوب.

أنزل الله على عبده و رسوله محمد بن عبد الله هذا الكتاب ليهدي الناس الى الحق، و يخرجهم من الظلمات الى النور، و يسلك بهم طريق الرشاد، فكانت فيه الأسس الفكرية و الاجتماعية و السياسية و الاقتصادية و الروحية و الخلقية التي يقوم عليها المجتمع الاسلامي.

(١) «الغارة على العالم الاسلامي» ط جده صفحة ٩٣-٩٤.

(٢) سورة النساء: ٩٧.

لمحات في علوم القرآن و اتجاهات التفسير، ص: ٣٠

* ففي هذا الكتاب الكريم العقيدة الصحيحة السليمة التي حلت للانسان أعظم مشكلة تلح على وجدانه متمثلة بالسؤال التالي: لما ذا خلقت؟

قال الله تعالى: وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ (١).

و وضعت هذه العقيدة نظره متميزة للانسان و الكون و الحياة، فهذا الكون من صنع الله إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كُنْ فَيَكُونُ (٢) الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصِيرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ. ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَ هُوَ حَسِيرٌ (٣).

فليس الكون عدوا للإنسان، وليست الطبيعة خصما له يصارعه و يغالبه، انما هي من خلق الله، و هي صديق، فالارض مذلة للإنسان، و كل ما فيها مخلوق له هو الذي جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا في مناكبها و كلوا من رزقه «٤» خلق لكم ما في الأرض جميعا «٥». و قرر القرآن أن الناس مخلوقون من ذكر و أنثى، و موزعون إلى أمم متعددة لتتعارف يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر و أنثى و جعلناكم شعوبا و قبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم «٦». و الانسان مخلوق من مخلوقات الله، أصله من تراب و الله خلقكم من تراب «٧». و هو يشارك الحيوان بأنواعه في كثير من صفاته و غرائزه:

(١) سورة الذاريات: ٥٦.

(٢) سورة يس: ٨٢.

(٣) سورة الملك: ٣-٤.

(٤) سورة الملك: ١٥.

(٥) سورة البقرة: ٢٩.

(٦) سورة الحجرات: ١٣.

(٧) سورة فاطر: ١١.

لمحات في علوم القرآن و اتجاهات التفسير، ص: ٣١

و ما من دابة في الأرض، و لا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم «١» و لكنه مكرم و لقد كرمنا بني آدم «٢» و خلق في أحسن تقويم لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم «٣».

و الناس متساوون و لا يتفاضلون إلا بالتقوى إن أكرمكم عند الله أتقاكم «٤».

و الحياة الدنيا هي وحدها الطريق الى الآخرة و من يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى و هو مؤمن فأولى لك يدخلون الجنة و لا يظلمون نقيرا «٥» فدوقوا بما نسيتم لقاء يومكم هذا، إنا نسيناكم و ذوقوا عذاب الخلد بما كنتم تعملون «٦».

و قرر القرآن العقيدة السليمة في الله و ملائكته و كتبه و رسله و اليوم الآخر فالله جل جلاله واحد قل هو الله أحد. الله الصمد. لم يلد و لم يولد. و لم يكن له كفوا أحد «٧» هو الله الذي لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهين العزيز الجبار المتكبر سبحان الله عما يشركون هو الله الخالق البارئ المصور له الأسماء الحسنى يسبح له ما في السموات و الأرض و هو العزيز الحكيم «٨» لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا «٩».

(١) سورة الانعام: ٣٨.

(٢) سورة الاسراء: ٧٠.

(٣) سورة التين: ٤.

(٤) سورة الحجرات: ١٣.

(٥) سورة النساء: ١٢٤.

(٦) سورة السجدة: ١٤.

(٧) سورة الاخلاص ١-٤.

(٨) سورة الحشر: ٢٣-٢٤.

(٩) سورة الانبياء: ٢٢.

لمحات في علوم القرآن و اتجاهات التفسير، ص: ٣٢

و من يكفر بركن من أركان الايمان فهو كافر و مَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَ مَلَائِكَتِهِ وَ كُتُبِهِ وَ رُسُلِهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا «١».

و البعث حق آت لا ريب فيه و هو هين على الله أَيْحَسِبُ الْإِنْسَانُ أَنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ «٢».

إلى آخر جوانب هذه العقيدة «٣».

* و في هذا الكتاب الكريم أسس النظام الروحي التي حققت للمرء ان يمد شطر ذاته بغذاء مستمر، يتمثل بعبادة الله و ذكره و الاتصال به «٤»، تبارك و تعالى: وَ إِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ. فَلْيَسِّرْ تَجِيبُوا لِي وَ لِيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ «٥» فَادْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَ اشْكُرُوا لِي وَ لَا تَكْفُرُونِ «٦».

* و في هذا الكتاب الكريم أسس النظام الاخلاقي العظيم الذي جاء به الاسلام، فلم يتجاهل طبيعة النفس الانسانية، و لكنه في الوقت نفسه أخذ بهذه النفس الى ان جعلها تحقق المثل التي كانت تتراعى لكثير من الفلاسفة و المصلحين أهدافا بعيدة.

فقد دعا الى مكارم الاخلاق، و حذر من مساوئ الاقوال و الأفعال و لنقرأ قوله تعالى: إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَ الْإِحْسَانِ وَ إِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى،

(١) سورة النساء: ١٣٦.

(٢) سورة القيامة: ٣-٤.

(٣) انظر تفصيل ذلك في «الحضارة الاسلامية» للمودودي. و «مبادئ الاسلام» له و «عقيدة المسلم» للغزالي و «تعريف عام بدين الاسلام» للطنطاوي و «نظام الاسلام» لمحمد المبارك و «العقائد الاسلامية» لسيد سابق و «خصائص التصور الاسلامي» و «العدالة الاجتماعية في الاسلام» لسيد قطب.

(٤) انظر كتاب «الاركان الاربعة» لأبي الحسن الندوي.

(٥) سورة البقرة: ١٨٦.

(٦) سورة البقرة: ١٥٢.

لمحات في علوم القرآن و اتجاهات التفسير، ص: ٣٣

و يَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَ الْمُنْكَرِ وَ الْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ «١». و قوله:

قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَ بِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا، وَ لَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ، نَحْنُ نَزَرُكُمْ وَ إِبَائِهِمْ، وَ لَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَ مَا بَطَّنَ، وَ لَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ، ذَلِكَمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ. وَ لَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَ أَوْفُوا الْكَيْلَ وَ الْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ، لَا تَكْلِفْ نَفْسًا إِلَّا وُسْرَهَا وَ إِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَ لَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى، وَ بَعِّهْدِ اللَّهُ أَوْفُوا ذَلِكَمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ «٢».

و هذه الأخلاق التي دعا اليها القرآن أخلاق إيجابية و عملية و شاملة «٣».

* و في هذا الكتاب الكريم أسس النظام الاجتماعي الذي يصوغ الفرد و المجتمع صياغة متكاملة لا يجوز احدهما على الآخر «٤».

و الذي يقيم الأسرة على قواعد متينة من التراحم و التعاون و التكافل مما يحقق لكل فرد من أفرادها السعادة الحقيقية «٥».

و الذي يقيم المجتمع على أسس العدالة و التكافل الاجتماعي و المساواة و التراحم و التعاون «٦» و الذي يحدد القواعد العامة في قضايا المعاملات من

- (١) سورة النحل: ٩٠.
- (٢) سورة الانعام: ١٥١-١٥٢.
- (٣) انظر في ذلك: «خلق المسلم» لمحمد الغزالي و «الأسس الاخلاقية» للمودودي و «نظرية الاسلام الخلقية» له و كتاب «الاخلاق في القرآن» لمحمد عبد الله دراز.
- (٤) انظر القسم الاول من كتاب «الحجاب» لأبي الاعلى المودودي. و «تنظيم الاسلام للمجتمع» لمحمد أبو زهرة.
- (٥) انظر «نظام الاسرة في الاسلام» لمناع القطان و «تفسير سورة النور» للمودودي.
- و «الأسرة و المجتمع» لعلي عبد الواحد وافي. و «نظرات في الأسرة المسلمة» لمحمد الصباغ.
- (٦) انظر في تفصيل ذلك كتاب «العدالة الاجتماعية في الاسلام» لسيد قطب و «التكافل الاجتماعي في الاسلام» لمحمد أبو زهرة.
- لمحات في علوم القرآن و اتجاهات التفسير، ص: ٣٤
- تجارة و قرض و بيع و مداينة و ما الى ذلك «١» من تلك القواعد التي لا تستقيم الحياة إلا بها.
- * و في هذا الكتاب الكريم أسس النظام الاقتصادي الذي يحرم الاستغلال و الظلم و العدوان، و يحقق الكفاية و العدالة و الرفاهية «٢».
- * و في هذا الكتاب أسس النظام السياسي الذي تقوم عليه دولة الاسلام معتمدة على الشورى و العدل و المساواة و إحقاق الحق و إبطال الباطل، و هدف هذه الدولة إقامة معالم الاسلام و العمل على نشره في الارض «٣» الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَ آتَوْا الزَّكَاةَ وَ أَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَ نَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ. وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ «٤».
- و هكذا فإن القرآن هو الدستور الذي حوى كل هذه الأسس، و قد أثبتت الأيام و التجارب أنه الدستور الصالح لكل زمان و مكان، و أن أحكامه هي العلاج الناجع لأمراض الحياة، لا اختلاف فيه و لا تناقض و صدق الله العظيم: وَ لَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا «٥» إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَ يُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا «٦».
- و من المفيد أن نشير الى أن القرآن بحكم كونه دستورا، فقد وردت

- (١) انظر «المجتمع الانساني في ظل الاسلام» لمحمد أبو زهرة و «في المجتمع الاسلامي» له و «تنظيم الاسلام للمجتمع» له أيضا. و «التشريع الاسلامي و حاجتنا اليه» لمحمد الصباغ.
- (٢) انظر «أسس الاقتصاد في الاسلام و النظم المعاصرة» للمودودي و «معضلات الاقتصاد و حلها في الاسلام» له.
- (٣) انظر «نظرية الاسلام و هديه في السياسة و القانون و الدستور» للمودودي.
- (٤) سورة الحج: ٤١.
- (٥) سورة النساء: ٨٢.
- (٦) سورة الاسراء: ٩.

لمحات في علوم القرآن و اتجاهات التفسير، ص: ٣٥

آياته مجمله، و قد تركت كثيرا من التفاصيل الجزئية للسنة، على أن القرآن الكريم في بعض الأمور الهامة يذكر التفاصيل حسما للنزاع و الاختلاف كالإرث «١» و اللعان «٢» و الطلاق «٣» و ما شابهها من الأمور حتى لا يدع مجالاً للفرقة في المجتمع الاسلامي «٤».

أثر القرآن في البيان و الفكر:

* كان المستوى الرفيع الذي بلغه القرآن في البيان مثلاً يحتذى بالنسبة لأدباء العربية و بلغائها، فكانت آياته سبباً في النهوض بأساليبهم نهوضاً عظيماً، كما كان لترديد المسلمين لآياته آناء الليل و أطراف النهار أثر كبير في ارتقاء البيان العربي.

* أما أثره في الفكر فلقد كانت آياته اليبينات سباقه في كل ما يعود على الانسانية و الحضارة بالتقدم و الرفاهية و السعادة. و ما خلت حركة ظهرت بعده من التأثير بذراه السامقة.
و أود أن أختتم هذا الفصل بكلمة للاستاذ الزرقاني قال فيها: (و هو- أي القرآن- أولا و آخر القوة التي غيرت صورة العالم، و نقلت حدود الممالك، و حولت مجرى التاريخ، و أنقذت الانسانية العائرة، فكأنما خلقت الوجود خلقا جديدا) «٥».

(١) انظر سورة النساء فقد تعرضت آيات منها لتقسيم الارث و هي الآيات ١١ و ١٢ و ١٧٦.

(٢) انظر الآيات ٦ و ٧ و ٨ و ٩ من سورة النور.

(٣) انظر الآيات المتعلقة بالطلاق في السور الآتية: البقرة الآيات ٢٢٧ و ٢٣٢ و ٢٣٦ و ٢٣٧ و ٢٤١ و الاحزاب الآية: ٤٩ و الطلاق الآيات من ١ حتى ٧.

(٤) انظر كتابنا «الحديث النبوي» ص ١٩-٢١.

(٥) انظر «مناهل العرفان» ٣/١.

لمحات في علوم القرآن و اتجاهات التفسير، ص: ٣٦

الفصل الثاني في أسماء القرآن

إشارة

لهذا الكتاب الكريم أسماء ثلاثة مشهورة و هي: القرآن و الكتاب و الفرقان، و أشهرها الاسمان الأولان.
و قد أورد أبو المعالي عزيزي بن عبد الملك المعروف بشيدله «١» المتوفى سنة ٤٩٤ هـ في كتابه «البرهان في مشكلات القرآن»- كما نقل ذلك السيوطي- خمسة و خمسين اسما «٢». و بالغ بعضهم فأوصل عددها إلى نيف و تسعين «٣».
و عند ما ينظر المرء في هذه الأسماء الكثيرة التي ذكرها يتبين له أن معظمها أوصاف مثل: كريم، و مبارك ... الخ ...
و سنتصر على ذكر الأسماء الثلاثة التي أوردناها آنفا و نخصها بالبحث:

(١) انظر ترجمته في «وفيات الأعيان» لابن خلكان ٣/ ٢٥٨ ط احسان عباس و «طبقات الشافعية» للسبكي ٣/ ٢٨٧ «و كشف الظنون» لحاجي خليفة ١/ ٢٤١ و «شذرات الذهب» لابن العماد ٣/ ٤٠١ و «المنتظم» ٩/ ١٢٦. و ضبط ابن خلكان اسمه بفتح العين. و قال عن (شيدله): و هو لقب عليه، و لا أعرف معناه مع كثرة كسفى عنه.

(٢) انظر «الاتقان في علوم القرآن» للسيوطي ١/ ٥٠ و «البرهان» للزركشى ١/ ٢٧٣.

(٣) انظر «البرهان» ١/ ٢٧٣ و «مناهل العرفان» ١/ ٨.

لمحات في علوم القرآن و اتجاهات التفسير، ص: ٣٧

القرآن:

و ينطق بهذه الكلمة على وجهين: مهموزة و غير مهموزة.

١- القرآن (مهموزة): مصدر على وزن (فعلان)- بالضم- كالغفران و الرجحان و الشكران.

و فعل هذا المصدر هو (قرأ). و هناك مصادر أخرى غير (قرآن) تقول: قرأ (قراءة) و (قراء) و (قرآنا) و هذه المصادر الثلاثة بمعنى

واحد.

و لكلمة (قرآن) معنيان:

أحدهما: مصدرى، بمعنى القراءة كما ذكرنا، وقد جاء استعمال (القرآن) بهذا المعنى المصدرى في القرآن الكريم و ذلك في قوله تعالى:

إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ. فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ﴿١﴾.

و ثانيهما: علم شخصى على ذلك الكتاب الكريم. و هذا هو الاستعمال الغالب، و منه قوله تعالى: إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ ﴿٢﴾ و هذا العلم الشخصى مشتق من القراءة و عندئذ يكون المصدر قد أطلق على اسم المفعول (قرآن) اى (مقروء). و أصل معنى (قرأ) فى اللغة: (جمع).

و منه: قرأ الماء فى الحوض إذا جمعه، و منه قولهم: قرأت الناقة إذا حملت ﴿٣﴾.

و إذا أردنا معرفة العلاقة بين المعنى الاصلى، و المعنى العلمى فإن كلمة (قرآن) يمكن أن تكون مصدرا استعملت بمعنى اسم المفعول (مجموع) أو أن تكون مصدرا استعمل بمعنى اسم الفاعل (جامع).

(١) سورة القيامة: ١٧ و ما بعدها. و انظر «نكت الانتصار» للصيرفى و هو اختصار «الانتصار» للباقلانى ص ٥٦ تحقيق الدكتور محمد زغلول سلام.

(٢) سورة الاسراء: ٩.

(٣) «نكت الانتصار» للصيرفى ص ٥٧ و انظر «الكليات» لأبى البقاء ٣٥ / ٤ ط دمشق.

لمحات فى علوم القرآن و اتجاهات التفسير، ص: ٣٨

أما كونه مجموعا فلأنه مجموع السور و الآيات، أو مجموع المعانى السامية و الحقائق العظيمة، و الحلول المحكمة لكل مشكلات الانسانية، و صنوف الخير و البر و العدالة، أو لأن الحفظه يحفظونه فهو مجموع. و هكذا فإن المصدر بمعنى التلاوة اطلق على اسم المفعول.

و أما كونه جامعا فلأنه جامع للسور و الآيات، أو جامع للمعانى السامية، و الحلول المحكمة، و صنوف الخير.

و بمعنى الجمع و الضم اطلق على اسم المفعول او على اسم الفاعل «١». قال البغوى: [و سَمَّى الْكِتَابَ قُرْآنًا؛ لِأَنَّهُ جُمِعَ فِيهِ الْأَمْرُ وَ النَّهْيُ، وَ الْوَعْدُ وَ الْوَعِيدُ، وَ الْقَصَصُ. وَ كُلُّ شَيْءٍ جُمِعَتْهُ فَقَدْ قُرِئَتْ، وَ مِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ وَ قَدْ تَحَدَّفَ الْهَمْزَةُ فَيُقَالُ: قَرِيتَ الْمَاءُ فِي الْحَوْضِ، أَيْ جُمِعَتْهُ] «٢».

٢- و القران (غير مهموزة):

و هناك ثلاثة تخريجات لهذه الكلمة:

أحدها: أن تكون مسهلة من (القرآن) فيرجع القول فيها الى ما سبق ذكره.

ثانيها: أنها ليست مأخوذة من شىء، و من القائلين بهذا القول الإمام الشافعى رضى الله عنه، الذى كان يرى أنها علم على الكلام المنزل على النبى محمد بن عبد الله صلى الله عليه و سلم و أنها ليست مأخوذة من شىء، و يرى أن هذه الكلمة فى علميتها مثل التوراه و الانجيل.

و قد روى البيهقى و الخطيب البغدادى و العبادى و ابن الجزرى و السيوطى أن الشافعى قرأ على إسماعيل بن عبد الله بن قسطنطين و كان يقول: القران

(١) انظر «النبا العظيم» للدكتور محمد عبد الله دراز ص ٥.

(٢) «شرح السنة» ٤/ ٤٢٨.

لمحات في علوم القرآن و اتجاهات التفسير، ص: ٣٩

اسم و ليس بمهموز و لو أخذ من قرأت لكان كل ما يقرأ قرآنا. بل هو اسم كالتوراة «١».

ثالثها: أنها مشتقة من (قرن)، و ذكروا في العلاقة بين المعنى اللغوي و المعنى العلمي أنها اشتقت من (قرن)، لاقتران السور و الآيات و الحروف فيه، و من القائلين بذلك الأشعري.

و قال الفراء في العلاقة بين هذين المعنيين: إن كلمة (القران) اشتقت من (قرن)، لأن الآيات قرائن، يصدق بعضها بعضا، و يشابه بعضها بعضا.

ملاحظة أولى:

نون (القران) بلا- همز نون أصلية، سواء قلنا: إنها علم غير مشتق من شيء أم قلنا هي مشتقة من (قرن). أما نون (القرآن) المهموزة فمزيدة.

ملاحظة ثانية:

تطلق كلمة (القرآن) و (القرآن) على القرآن كله، و على بعضه.

فيقال لمن قرأ المصحف كله: إنه قرأ قرآنا.

و يقال لمن قرأ آية منه أو آيات: إنه قرأ قرآنا «٢».

(١) انظر «المستدرک» ٢/ ٢٣٠ و «مناقب الشافعي» ١/ ٢٧٧ تحقيق صقر و «تاريخ بغداد» ٢/ ٦٢ و «طبقات الشافعية» للعبادي ص ٢١ و «غاية النهاية في طبقات القراء» لابن الجزري ص ١٦٦ و «الاتقان» ١/ ٥٠ و انظر فيه الآراء و التخريجات الاخرى، و انظر تعليق أحمد شاكر على «الرسالة» للشافعي ص ١٤ و ١٥ و انظر «الكليات» ٤/ ٣٤ و ما بعدها.

(٢) مناهل العرفان ١/ ١٥.

لمحات في علوم القرآن و اتجاهات التفسير، ص: ٤٠

الكتاب:

و هو اسم آخر للقرآن، ورد في عدد من الآيات الكريمة. كما في قوله تعالى: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا «١» و قوله: ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ «٢» و قوله سبحانه: تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ «٣».

و كلمة (الكتاب) مصدر (كتب يكتب) تقول: كتب يكتب كتابا و كتابه و كتابا.

و هذا المصدر على خلاف القياس، و المصدر المقيس الكتب، و قيل:

الكتاب اسم مصدر كاللباس «٤» ثم أصبحت كلمة (كتاب) علما على القرآن.

و إذا أردنا ان نربط بين معناها اللغوي المعروف و المعنى العلمي كانت هذه الكلمة (الكتاب) مصدرا استعمل بمعنى اسم المفعول

(مكتوب).

و الكلمة (كتب) في أصل معناها اللغوي تدل على الجمع، و منه: كتب الكتيبة، أى جمعها، و كتب النعل و القرية، أى خرزها بسيرين «٥» أى جمعها.

و إذا أردنا معرفة العلاقة بين المعنى الاصلى و المعنى العلمى فإن كلمة (كتاب) يمكن ان تكون مصدرا استعمل بمعنى اسم المفعول (مجموع). أو أن تكون مصدرا استعمل بمعنى اسم الفاعل (جامع).

(١) سورة الكهف: ١.

(٢) سورة البقرة: ٢.

(٣) سورة الشعراء: ٢.

(٤) تاج العروس: مادة كتب.

(٥) اساس البلاغة: مادة كتب.

لمحات في علوم القرآن و اتجاهات التفسير، ص: ٤١

و ترد العلاقة نفسها التى ذكرناها فى (القرآن):

فهذا الكتاب جامع للسور و الآيات، بل و للمعانى و الحقائق و الحلول التى يتطلع اليها البشر.

و هذا الكتاب أيضا مجموعة فيه السور و الآيات، بل و تلك المعانى و الحلول.

*** لما ذا سمي القرآن (قرآنا) و (كتابا)؟

هناك حكمة فى إطلاق هذين العلمين (القرآن و الكتاب) على كلام الله تعالى ذكرها العلامة الدكتور محمد عبد الله دراز فقال «١»: [روعى فى تسميته (قرآنا) كونه متلوا بالألسن، كما روعى فى تسميته (كتابا) كونه مدونا بالأقلام. فكلتا التسميتين من تسمية الشئ بالمعنى الواقع عليه. و فى تسميته بهذين الاسمين إشارة إلى أن من حقه العناية بحفظه فى موضعين لا فى موضع واحد، أعنى أنه يجب حفظه فى الصدور و السطور جميعا .. فلا ثقة لنا بحفظ حافظ حتى يوافق الرسم المجمع عليه من الأصحاب المنقول إلينا جيلا بعد جيل على هيئته التى وضع عليها أول مرة.

و لا ثقة لنا بكتابه كاتب حتى يوافق ما هو عند الحفاظ بالاسناد الصحيح المتواتر.

و بهذه العناية المزدوجة التى بعثها الله فى نفوس الأمة المحمدية بقى القرآن محفوظا فى حرز حريز، إنجازا لوعده الله الذى تكفل بحفظه حيث يقول: إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ «٢» و لم يصبه ما أصاب

(١) «النبأ العظيم»: ص ٥-٧.

(٢) سورة الحجر: ٩.

لمحات في علوم القرآن و اتجاهات التفسير، ص: ٤٢

الكتب السابقة من التحريف و التبديل و انقطاع السند حيث لم يتكفل الله بحفظها، بل و كلها إلى حفظ الناس فقال تعالى: وَالرَّبَّائِيُونَ وَالْأَخْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ «١».

أما (الفرقان) فهو اسم للقرآن أيضا. و هو مصدر أطلق على القرآن فأضحى علما. وقد استعمل بهذا المعنى العلمي في قوله تعالى: تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا (٢). وهذا المصدر استعمل بمعنى اسم الفاعل، أى أنه كلام فارق بين الحق و الباطل (٣). أو استعمل بمعنى اسم المفعول، أى أنه كلام مفروق بعضه عن بعض في النزول أو في السور و الآيات (٤).

(١) سورة المائدة: ٤٤.

(٢) سورة الفرقان: ١.

(٣) انظر «نكت الانتصار» للصيرفي ص ٥٧.

(٤) مناهل العرفان: ٧/١ - ٨.

لمحات في علوم القرآن و اتجاهات التفسير، ص: ٤٣

الفصل الثالث في الوحي

الوحي في اللغة:

قال ابن فارس في «مقاييس اللغة»:

الواو و الحاء و الحرف المعتل أصل يدل على إلقاء علم في إخفاء إلى غيرك، فالوحي الاشارة، و الوحي الكتاب و الرسالة، و كل ما ألقته إلى غيرك حتى علمه فهو وحي كيف كان. و كل ما في باب الوحي فراجع الى هذا الأصل الذى ذكرناه. و قال الراغب الاصفهاني:

أصل الوحي الاشارة السريعة، و لتضمن السرعة قيل: أمر وحي، و شىء وحي، أى عجل مسرع، و ذلك يكون بالكلام على سبيل الرمز و التعريض، و قد يكون بصوت مجرد عن التركيب، و باشارة ببعض الجوارح، و بالكتابة. (١)

قال تعالى: فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا

(١) انظر «مذكرة التوحيد» لعبد الرزاق عفيفي ص ٣٤ و «نظام الاسلام العقيدة و العبادة» لمحمد المبارك ص ١٠١-١٠٤ و «النبوة اصلاح تقتضيه رحمة الله» لسعدى ياسين و «النبوة و الأنبياء» للندوى.

لمحات في علوم القرآن و اتجاهات التفسير، ص: ٤٤

بُكْرَةً وَ عَشِيًّا (١) أى أشار إليهم و لم يتكلم.

إذن فمعنى الوحي من الناحية اللغوية: الإعلام الخفى السريع الخاص بمن يوجه إليه. بحيث يخفى على غيره (٢)، و يدخل تحت ذلك أنواع عديدة من الإعلام:

* منها: الإلهام الغريزي، كالوحي إلى النحل و أوحى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنْ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ. ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكَ ذُلًّا يُخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ. إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (٣).

* و منها: إلهام الخواطر بما يلقيه الله فى روع الانسان السليم الفطرة الطاهر الروح كالوحي إلى أم موسى و أَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خَفَتْ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي اليمِّ، وَ لَا تَخَافِي وَ لَا تَحْزَنِي، إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَ جَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ (٤).

* و منها: وسوسة الشيطان و إِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ (٥) وَ كَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَ الْجِنِّ

يُوحى بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرَفَ الْقَوْلِ غُرُورًا «٦».
وقد تأتي كلمة (الوحي) بمعنى الأمر «٧» كما في قوله تعالى: وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي «٨».

(١) سورة مريم: ١١.

(٢) انظر «الكليات» لأبي البقاء ٣/٥ و ٣٥ ط دمشق.

(٣) سورة النحل: ٦٨-٦٩.

(٤) سورة القصص: ٧.

(٥) سورة الانعام: ١٢١.

(٦) سورة الانعام: ١١٢.

(٧) «تحفة الأحوزي» ٣٠١/٤.

(٨) سورة المائدة: ١١١.

لمحات في علوم القرآن و اتجاهات التفسير، ص: ٤٥

ووحى الله تبارك و تعالى إلى أنبيائه قد روعى فيه المعنيان الأصليان لهذه المادة: و هما: الخفاء و السرعة «١».
و أوحى، و وحى لغتان، و الأولى أفصح و بها ورد القرآن، و قد يطلق الوحي و يراد به اسم المفعول أى (الموحى) «٢».

الوحي في الشرع:

و معنى الوحي في الشرع تكليم الله سبحانه واحدا من عباده بطريقة من طرق الوحي. و الوحي أمر غيبي لا نستطيع أن نفصل القول فيه إلا بحدود ما ورد في شأنه من النصوص الشرعية.

إن كل من آمن بوجود الله و قدرته لزمه أن يسلم بموضوع الوحي على انه بديهية مسلمة لا يحتاج إلى مزيد من الأدلة عليه، فلا بد لنا إذا آمننا بوجود الخالق المدبر من أن نتبع هذا الايمان بالايمان بضرورة رعايته لخلقه، و تدبيره المستمر للكون على ما يرضى، و لا يمكن أن يتأتى ذلك إلا بالوحي.

أما إمكانية الوحي فإن العقل السليم لا يستبعدهما، لأن الذي يؤمن بوجود الله- سبحانه- و كماله لا يصعب عليه الاقتناع عقليا بإمكانية الوحي من الناحية الواقعية، ذلك أننا نجد في دنيا الواقع أن الانسان العاجز المحدود الطاقة استطاع أن يصل بواسطة بعض التصرفات و البحوث و الآلات إلى أن يؤثر في إنسان مثله .. فما القول في قدرة الله تبارك و تعالى على ذلك و على أكبر من ذلك؟.
ففي التنويم المغناطيسى نجد إنسانا عاجزا يقوى على الإيحاء إلى إنسان آخر، و فى محطات الاذاعة يستطيع رجال الاعلام الموهوبون أن يوحوا إلى

(١) «الوحي المحمدي» لمحمد رشيد رضا: ٣٧.

(٢) «عمدة القارى» للعيني ١٤/١ و «تحفة الأحوزي» ٣٠١/٤.

لمحات في علوم القرآن و اتجاهات التفسير، ص: ٤٦

نماذج عديدة من الناس ما يشاءون من الأفكار و الآراء. إذا كان ذلك كذلك فإن إيحاء الله إلى عبد من عباده اختاره لهداية الناس لا يمنع العقل السليم إمكان وقوعه، إذا كان صاحب هذا العقل مؤمنا بقدرة الله سبحانه و كماله.

*** صور الوحي:

هناك صور للوحي حددتها الآيات الكريمة و الأحاديث الصحيحة، نورد بعضها فيما يأتي:
قال الله تعالى: وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا، أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ، أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بَأْذَنِهِ مَا يَشَاءُ. إِنَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ «١».
و جاء في الصحيحين عن أول بدء الوحي الحديث الآتي:
عن عائشة قالت: «أول ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصادقة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح ثم حبب إليه الخلاء، و كان يخلو بغار حراء، فيتحنث فيه - وهو التعبّد- الليالي ذوات العدد قبل أن ينزع «٢» إلى أهله، و يتزود لذلك، ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها، حتى جاءه الحق و هو في غار حراء فجاءه الملك فقال:
اقرأ. قال: «ما أنا بقارئ».

قال: «فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني فقال: اقرأ. قلت: ما أنا بقارئ. فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني

(١) سورة الشورى: ٥١.

(٢) أى يرجع.

لمحات في علوم القرآن و اتجاهات التفسير، ص: ٤٧

فقال: اقرأ. فقلت: ما أنا بقارئ. فأخذني فغطني الثالثة، ثم أرسلني فقال:

اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ. اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ فَرجع بها رسول الله صلى الله عليه وسلم يرجف فؤاده، فدخل على خديجة فقال:

«زملوني زملوني» ... الحديث «١».

و سنعدد هذه الصور التي يكون الوحي عليها:

١- يكون الوحي بالرؤيا الصادقة:

و ذلك كما في حديث عائشة الذي أوردناه قبل قليل: (أول ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصادقة في النوم).

و كما في قوله تعالى عن إبراهيم عليه السلام قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى «٢».

٢- و يكون بإلهام النبي في حالة اليقظة و إلقاء المعنى في قلبه من غير أن يرى الملك، كما قال صلى الله عليه وسلم: «إن روح القدس نفث في روعي أنه لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها فاتقوا الله و أجمعوا في الطلب» «٣».

(١) «صحيح البخارى» ٣/١ و «صحيح مسلم» ٩٧/١ و «الترمذى» ٣٠١/٤ و «سنن النسائى» و «المسند» ١٥٣/٦ و ٢٣٢ و انظر شرح

الحديث في «فتح البارى» ٢٢/١ و انظر «اللؤلؤ و المرجان» ٣٢/١ و «الإتقان» ٢٣/١ النوع السابع.

(٢) سورة الصافات: ١٠٢. و في «صحيح البخارى» ٣٣/١: [قال عمرو: سمعت عبيد بن عمير يقول: رؤيا الأنبياء وحي. ثم قرأ: إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ].

(٣) «المستدرک» للحاكم ٤/٢ و «الفيقه و المتفه» للخطيب ٩٢-٩٣ و «مناقب الشافعى» للبيهقى ٣٢٤/١ و «سنن ابن ماجه» ٣/٢ و

«الحلية» لأبى نعيم ١٥٦/٣ و ١٥٨/٧ و ٢٧/١٠ و «ابن حبان» رقم ١٠٨٤ و «الرسالة» للشافعى ص ٩٣ و «الترغيب و التهيب» للمنذرى

٢ / ٢٣١ و «مجمع الزوائد» ٧٢ / ٤ و «فيض القدير» ٢ / ٤٥٠ و «الإتقان» ١ / ٤٤ و قال ابن حجر: أخرجه ابن أبي الدنيا في «القناعة» و صححه الحاكم من طريق ابن مسعود. و انظر «فتح الباري» ١ / ٢٠ و ذكره العجلوني في «كشف الخفاء» ١ / ٢٣١ و قال: رواه في «مسند الفردوس» عن جابر ... و أبو نعيم و الطبراني عن

لمحات في علوم القرآن و اتجاهات التفسير، ص: ٤٨

٣- و يكون بتكليم النبي من وراء حجاب و بشكل مباشر و يسمع النبي الكلام، كما كلم الله سبحانه موسى عليه السلام من وراء الشجرة كما نص على ذلك القرآن: فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ: أَنْ يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ «١».

٤- و يكون بتكليم النبي بواسطة جبريل، و هذه الصورة لها شكلان:

الشكل الأول: ان يأتيه الملك في مثل صلصلة الجرس «٢» و كان أشده عليه، حتى إن جبينه ليعرق «٣» و حتى تبرك راحلته «٤». و قد جاء الوحي مرة كذلك و فخره صلى الله عليه و سلم على فخر زيد بن ثابت فثقلت على فخر زيد حتى كادت ترضها «٥». الشكل الثاني: أن يأتيه جبريل و يتمثل له رجلا، فيخاطبه. كما قال صلى الله عليه و سلم: «أحيانا يتمثل لى الملك رجلا فيكلمنى فأعنى ما يقول» «٦».

و زاد أبو عوانة في «صحيحه»: «و هو أهونه على» «٧».

و كما في حديث جبريل عند ما جاء ليعلم المسلمين أمور دينهم، و ذلك عن

أبي أمامة، و البزار عن حذيفة، و أخرجه ابن أبي الدنيا، و صححه الحاكم عن ابن مسعود. و صححه الألباني في تخريجه لكتاب «فقه السيرة» للغزالي ص ٩٦ و انظر «عمدة القارى» ١ / ١٤.

(١) سورة القصص: ٣٠.

(٢) قال الخطابي: و المراد أنه صوت متدارك يسمعه و لا يشبته أول ما يسمعه حتى يفهمه بعد (انظر «الإتقان» ١ / ٤٤).

(٣) انظر الحديث في «صحيح البخارى» ١ / ٣ و «صحيح مسلم» ٧ / ٨٢ و «الترمذى» ٤ / ٣٠١ و «النسائى» ٢ / ١١٣ و ١١٤ و «الموطأ» ١ / ٢٠٢ و «مسند أحمد» ٦ / ١٥٨ و ١٦٣ و ٢٥٧.

(٤) انظر «مسند أحمد» ٦ / ١١٨ و ٤٥٥ و «المستدرک» ٢ / ٥٠٥ و وافقه الذهبى.

(٥) انظر «صحيح البخارى» ٦ / ٤٠ و «سنن أبى داود» ٣ / ١٧.

(٦) انظر «صحيح البخارى» ١ / ٣ و «صحيح مسلم» ٧ / ٨٢ و «الترمذى» ٤ / ٣٠١.

(٧) «الإتقان» ١ / ٤٤.

لمحات في علوم القرآن و اتجاهات التفسير، ص: ٤٩

طريق سؤال النبي صلى الله عليه و سلم عن الإسلام و الإيمان و الإحسان و الساعة «١».

و قد يرى الملك في صورته التى خلقه الله عليها، فيوحى اليه ما شاء الله ان يوحيه. و هذا وقع مرتين كما ذكر الله سبحانه فى سورة النجم و فى سورة التكويد «٢». ففى صحيح مسلم «٣» عن مسروق قال:

كنت متكئا عند عائشة، فقالت: يا أبا عائشة (و هى كنية مسروق) «٤» ثلاث من تكلم بواحدة منهن فقد أعظم على الله الفرية. قلت: ما هن؟

قالت: من زعم أن محمدا رأى ربه فقد أعظم على الله الفرية.

قال: و كنت متكئا فجلست، فقلت: يا أم المؤمنين انظرينى و لا تعجلينى، ألم يقل الله عز و جل: وَ لَقَدْ رَأَاهُ بِالْأَفْقِ الْمُبِينِ «٥» وَ لَقَدْ رَأَاهُ

نَزَلَتْ أُخْرَى «٤».

فقالت: أنا أول هذه الأمة من سأل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «انما هو جبريل لم أره على صورته التي خلق عليها غير هاتين المرتين، رأيته منهبطاً من السماء سادا عظم خلقه ما بين السماء والارض». وقالت: أو لم تسمع أن الله عز وجل يقول: لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ

(١) انظر الحديث في «صحيح مسلم» ٢٩ / ١ و «رياض الصالحين» باب المراقبة.
(٢) قال ابن القيم في «الزاد» ٤٨ / ٢: [و هذا هو جبريل رآه محمد صلى الله عليه وسلم مرتين: مرّة في الأرض، و مرّة عند سدره المنتهى] و انظر «تفسير ابن كثير» ٢٣ / ٣ و ٢٥١ - ٢٥٢ عند تفسير سورة النجم.
(٣) «صحيح مسلم» ١١٠ / ١ و برقم ١٧٧ في ط عبد الباقي و انظر «صحيح البخارى» ١١٧ / ٦ و «الفتح» ٦٠٦ / ٨ و انظر «الاجابة» للزرکشى ط ١ ص ٩٦ و ط ٢ ص ٨٥.

(٤) هو مسروق بن الأجدع الهمداني الكوفي. تابعى ثقة فقيه عابد. روى عن عدد من الصحابة. توفي سنة ٦٣ هـ.

(٥) سورة التكويز: ٢٣.

(٦) سورة النجم: ١٣.

لمحات في علوم القرآن و اتجاهات التفسير، ص: ٥٠

يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ «١» أو لم تسمع أن الله عز وجل يقول: وَ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحِيًّا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا «٢».

قالت: و من زعم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كتم شيئا من كتاب الله فقد أعظم على الله الفرية، و الله تعالى يقول: يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ «٣».

قالت: و من زعم أنه يخبر بما يكون في غد فقد أعظم على الله الفرية و الله تعالى يقول: قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ «٤».

و هذه الصورة الرابعة و أعنى الشكل الأول هي التي نزل بواسطتها القرآن.

آثار الوحي على الرسول:

صور لنا الصحابة فيما أوردوا من وصف الرسول صلى الله عليه وسلم آثار هذه الظاهرة: ظاهرة الوحي، فذكروا ان الرسول صلى الله عليه وسلم كانت تبدو على وجهه الكريم أمارات معينة في كل مرة ينزل عليه القرآن. و كان أمر هذه الظاهرة لا يخفى على أحد ممن ينظرون اليه، فكانوا- كما تروى الأحاديث الصحيحة ذلك- يرونه قد احمر وجهه فجأة، و أخذته البرحاء «٥» حتى يتفصد جبينه عرقا في اليوم البارد، و ثقل جسمه

(١) سورة الانعام: ١٠٣.

(٢) سورة الشورى: ٥١.

(٣) سورة المائدة: ٦٧.

(٤) سورة النمل: ٦٥.

(٥) برحاء الحمى: شدة أذاها.

لمحات في علوم القرآن و اتجاهات التفسير، ص: ٥١

حتى كاد يرض فخذة فخذ الجالس الى جانبه «١»، و حتى لو كان راكبا لبركت راحلته كما سبق أن مر بنا. و كانوا مع ذلك يسمعون عند وجهه صلى الله عليه و سلم أصواتا مختلطة تشبه دوى النحل «٢» .. ثم لا- يلبث أن تسرى عنه تلك الشدة فإذا هو يتلو قرآنا جديدا و ذكرا للعالمين «٣».

و قد ذكر الاستاذ الدكتور محمد عبد الله دراز رحمه الله أن هذه الاوصاف كلها ثابتة في الأحاديث الصحيحة عند الشيخين و أبي داود و الترمذى «٣».

*** صدق ظاهرة الوحي:

ان هذه الظاهرة العجيبة لا يمكن ان تكون متكلفة و لا مصنوعة لا سيما إذا تأملنا تلك الأصوات المختلطة التي كانت تسمع عند الوجه النبوى الشريف.

و لو كانت صناعة و تكلفا لكانت طوع يمينه، فكان لا- يشاء يوما أن يأتي بقرآن جديد إلا جاء به من هذا الطريق الذى اعتاد فى تحضيره «٥».

و إليك بعض الأدلة على أن الوحي أمر لا يعود إلى النبى صلى الله عليه و سلم:

- (١) و هذا حديث زيد بن ثابت أورده البخارى معلقا فى أول كتاب الصلاة فى باب الصلاة بغير رداء و أورده موصولا فى «صحيحه» ٤٠ / ٦ فى تفسير سورة النساء فى نزول قوله تعالى لا يَشْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ و انظر «فتح البارى» ١ / ٤٧٩ و «أبو داود» ١٧ / ٣ و «الترمذى» ٩٢ / ٤ و «النسائى» ٩ / ٦ و انظر «معالم السنن» للخطابى ٣ / ٣٤٨.
- (٢) أخرجه أحمد ١ / ٣٤ و الترمذى ٤ / ١٥١ و الحاكم ١ / ٥٣٥ و ٢ / ٣٩٢ و انظر «شرح السنه» للبخارى ٥ / ١٧٧.
- (٣) انظر «النبأ العظيم» ص ٧١.
- (٥) «النبأ العظيم» ص ٧٢.

لمحات في علوم القرآن و اتجاهات التفسير، ص: ٥٢

١- كانت تنزل بالنبى نوازل يتطلب لها حلا، و كذلك كل من حوله، و لكنه لا يجد فى شأنها قرآنا يقرؤه على الناس «١».

و من هذه النوازل و الأزمات حديث الإفك عن زوجته السيدة المصونة عائشة رضى الله عنها، فلقد أبطأ الوحي، و طال الانتظار، و الناس يخوضون فى هذا الحديث المؤذى، و يلوكون عرض النبى النقى، حتى بلغت القلوب الحناجر. و هو لا يستطيع أن ينهى هذه المشكله، و يحسم هذا الموضوع، و مضى شهر بأكملة و هو ينتظر رأى السماء، و ما زاد على أن قال لها آخر الأمر:

«يا عائشة أما إنه بلغنى كذا و كذا، فإن كنت بريئة فسيبرئك الله، و ان كنت ألممت بذنب فاستغفرى الله» «٢».

هذا كلام رجل من البشر لا يعلم الغيب. و كلام المثبت الذى لا يتبع الظن و لا يقول ما ليس له به علم. على أنه لم يغادر مكانه بعد أن قال هذه الكلمات حتى نزل صدر سورة النور معلنا براءتها و مصدرا الحكم المبرم بشرفها و طهارتها.

فما ذا كان يمنعه- لو أن أمر القرآن اليه- أن يتقول هذه الكلمه الحاسمه من قبل ليحمى بها عرضه، و يذب بها عن عرينه، و يقطع بها ألسنة القاذفين المتخربين و ينسبها إلى الوحي؟

و لكنه ما كان ليذر الكذب على الناس و يكذب على الله «٣».

٢- و فى مرات أخرى كان يجيئه القول فيها على غير ما يحبه و يهواه و يخطئه فى الرأى يراه، و يأذن له فى الشىء لا يميل إليه، فمن ذلك قوله

(١) «النبأ العظيم» ص ١٦.

(٢) انظر حديث الإفك في «البخارى» ٩٦ / ٥ و ٨٨ / ٦ و «مسلم» ١١٢ / ٨ و «الترمذى» ١٥٥ / ٤ - ١٥٧ و «تفسير ابن كثير» ٢٦٨ / ٣ و كتب السيرة.

(٣) «النبأ العظيم»: ص ١٧.

لمحات في علوم القرآن و اتجاهات التفسير، ص: ٥٣

تعالى: وَ تَخْفَى فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَ تَخْشَى النَّاسَ وَ اللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ «١» و قوله تعالى: عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذْنَتْ لَهُمْ حَتَّى يَبَيِّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَ تَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ «٢» و قوله تعالى: أَمَّا مَنْ اسْتِغْنَى فَآنتَ لَهُ تَصَدَّى. وَ مَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّى. وَ أَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى. وَ هُوَ يَخْشَى. فَآنتَ عَنْهُ تَلَهَّى. كَلَّا «٣».

لو كانت هذه التقريرات المؤلمة صادرة عن وجدانه، معبرة عن ندمه حين بدا له خلاف ما فرط من رأيه: أ كان يعلنها عن نفسه بهذا التهويل؟

أ لم يكن له في السكوت عنها ستر على نفسه و استبقاء لحرمة آرائه «٤»؟

٣- و لقد كان يجيئه الأمر أحيانا بالقول المجمل، أو الأمر المشكل الذي لا يستبين هو و لا أصحابه تأويله حتى ينزل الله عليهم بيانه بعد.

فهل هناك انسان توحى اليه نفسه كلاما لا يفهم هو معناه؟ و تأمر أمرا لا يعقل هو حكمته؟

أ ليس ذلك من الأدلة الواضحة على أنه ناقل لا قائل، و أنه مأمور لا آمر؟ «٥».

نزل قوله تعالى: وَ إِن تَبُدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ «٦» فأزعجت الصحابة إزعاجا شديدا، و داخل قلوبهم منها شيء لم

(١) سورة الاحزاب: ٣٧. روى ابن جرير عن عائشة انها قالت: لو كتم محمد صلى الله عليه و سلم شيئا مما أوحى اليه من كتاب الله

تعالى لكتم و تخفى في نفسك ما الله مُبْدِيهِ انظر «تفسير الطبرى» ١٣ / ٢٢ و ابن كثير ٣ / ٤٩١.

(٢) سورة التوبة: ٤٣.

(٣) سورة عبس: ٥ - ١٠.

(٤) انظر «النبأ العظيم» ص ١٨.

(٥) انظر «النبأ العظيم» ص ٢١.

(٦) سورة البقرة: ٢٨٤.

لمحات في علوم القرآن و اتجاهات التفسير، ص: ٥٤

يداخلها من شيء آخر، لأنهم فهموا منها أنهم سيحاسبون على كل شيء حتى حركات القلوب و خطراتها، فقالوا:

- يا رسول الله أنزلت علينا هذه الآية و لا نطبقها.

- فقال لهم النبي صلى الله عليه و سلم: «أ تريدون أن تقولوا كما قال أهل الكتابين من قبلكم سمعنا و عصينا؟ بل قولوا: سمعنا و أطعنا

غفرانك ربنا و إليك المصير» فجعلوا يتضرعون بهذه الدعوات حتى أنزل الله بيانه بقوله: لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَ عَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ .. «١».

فلو كان النبي صلى الله عليه و سلم يعلم تأويلها من أول الامر لبين لهم خطأهم و لأزال اشتباههم من فوره، لأنه لم يكن ليكتف عنهم

هذا العلم و هم في أشد الحاجة إليه «٢».

الخلاصة:

- و خلاصة ما يمكن أن نذكره في ظاهرة الوحي ما يأتي:
- ١- أنها حالة غير اختيارية.
 - ٢- و هي عارض غير عادي.
 - ٣- و هي قوة خارجية: لأنها لا تتصل بنفس النبي صلى الله عليه و سلم إلا حيناً بعد حين.
 - ٤- و هي قوة عالمية: لأنها توحى إليه علماً.
 - ٥- و هي قوة أعلى من قوة النبي صلى الله عليه و سلم: لأنها تحدث في نفسه و في بدنه تلك الآثار العظيمة.

- (١) سورة البقرة الآية ٢٨٦. و انظر «صحيح مسلم» ١/ ٨٠-٨١ باب بيان قوله تعالى وَ إِن تَبُدُّوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ و «المسند» ٢/ ٤١٢ و «المستدرک» ٢/ ٢٨٦ و «تفسير الطبري» ٦/ ١٠٤-١٢٣ ط محمود شاكر.
- (٢) «النبا العظيم» ص ٢٢.
- لمحات في علوم القرآن و اتجاهات التفسير، ص: ٥٥
- ٦- و هي قوة خيرة معصومة: لأنها لا توحى إلا بالحق و لا تأمر إلا بالرشد «١».

- (١) «النبا العظيم» ص ٧٢-٧٤ و ينبغي ان يقف القارئ على كلام سيد قطب رحمه الله عن الوحي في «ظلال القرآن» ٢٥/ ٥٣-٥٧ من المجلد السابع.
- لمحات في علوم القرآن و اتجاهات التفسير، ص: ٥٦

الفصل الرابع في تنجيم القرآن

معنى التنجيم:

التنجيم في اللغة: التفريق. يقال: نجم المال تنجيماً: إذا أداه نجوماً. و تنجيم القرآن أى نزوله مفرقا على دفعات.

مدة التنجيم:

نزل القرآن منجماً في مدة ثلاث و عشرين سنةً. و قدرها الاستاذ الخضرى باثنتين و عشرين سنةً و شهرين و اثنین و عشرين يوماً معتبراً بدايته في ١٧ رمضان و نهايته في ٩ ذى الحجة للسنة العاشرة للهجرة «١».

و قد ردّ عليه الأستاذ الزرقانى رداً رقيقاً في «مناهل العرفان» فقال:

(لكن هذا التحقيق لا يزال في حاجة إلى تحقیقات ثلاثة لأنه ..) «٢».

كمية النازل في كل نجم:

و كانت كمية الآيات تتفاوت في النزول، فأحيانا كانت تنزل آية من

- (١) تاريخ التشريع الاسلامي ص ٥.
- (٢) انظر تفصيل ذلك في «مناهل العرفان» ١/ ٤٥.
- لمحات في علوم القرآن و اتجاهات التفسير، ص: ٥٧
- القرآن على النبي صلى الله عليه و سلم، و أحيانا ينزل بعض آية كما في قوله تعالى: غَيْرُ أُولَى الضَّرَرِ «١» حيث نزلت وحدها في قوله تعالى: لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولَى الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ «٢».
- و كما في قوله تعالى: وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شَاءَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ «٣» بعد قوله تعالى: إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا «٣».
- و أحيانا كانت تنزل عليه الآياتن و الخمس و العشر فقد نزل في موضوع الإفك عشر آيات جملة واحدة من أول سورة النور «٥».
- و قد ذكر السيوطي في «الاتقان» أن من السور التي نزلت جملة واحدة (الفاتحة) و (الكوثر) و (تبت) و (لم يكن) و (النصر) و (المعوذتان) و (المرسلات) «٤» و ...

***** موقف المشركين من التنجيم:**

كان تنجيم القرآن مثار الاعتراض من المشركين. و قد ذكر ذلك القرآن الكريم و أجاب عنه.

قال تعالى: وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا: لَوْ لَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً.

- (١) انظر تفصيل ذلك في «مناهل العرفان» ١/ ٤٥.
- (٢) سورة النساء: ٩٥ و انظر الحديث في «صحيح البخارى» ٦/ ٤٠ و «سنن أبي داود» ٣/ ١٧ و «الترمذى» ٤/ ٩١-٩٢.
- (٣) سورة التوبة: ٢٨.
- (٤) من الآية ١١ حتى الآية ٢١.
- (٥) «الاتقان» ١/ ٣٧.
- لمحات في علوم القرآن و اتجاهات التفسير، ص: ٥٨
- كَذَلِكَ لِنُبَيِّنَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا «١».
- و من المفيد ان نقل تعليق أبي شامة «٢» على الآية كما أورده السيوطي في «الاتقان» قال أبو شامة:
- (فإن قيل: ما السر في نزوله منجما؟ و هلا أنزل كسائر الكتب جملة؟
- قلنا: هذا سؤال قد تولى الله جوابه فقال تعالى: وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ لَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً «١» يعنون: كما أنزل على من قبله من الرسل فأجابهم الله تعالى بقوله كَذَلِكَ أى أنزلناه كذلك مفرقا لِنُبَيِّنَ بِهِ فُؤَادَكَ أى لنقوى به قلبك، فإن الوحي إذا كان يتجدد في كل حادثه كان أقوى للقلب و أشد عناية بالمرسل إليه و يستلزم ذلك كثرة نزول الملك، و تجدد العهد به و بما معه من الرسالة الواردة من ذلك الجنب العزيز فيحدث له من السرور ما تقصر عنه العبارة، و لهذا كان أجود ما يكون في رمضان لكثرة لقياه
- جبريل) «٤».

حكم التنجيم و أسرارهِ:

و نستطيع ان نذكر من حكم التنجيم و أسرارهِ ما يأتي:

١- تثبيت فؤاد النبي صلى الله عليه و سلم: لأن في تجدد الوحي قوة لقلبه صلى الله عليه و سلم و استشعارا لعناية الله برسوله، هذا فضلا عن مضمون الآيات المشجعة للرسول صلى الله عليه و سلم المعزية له كما في قوله تعالى: وَ اصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ

(١) سورة الفرقان: ٣٢.

(٢) هو عبد الرحمن بن اسماعيل المقدسي الدمشقي أبو القاسم شهاب الدين، مؤرخ محدث باحث ولد في دمشق سنة ٥٩٩ و فيها نشأ و ولى مشيخه دار الحديث الاشرفية. دخل عليه اثنان في صورة مستفتيين فضرباه فمات في دمشق سنة ٦٦٥. لقب أبا شامة لشامة كبيرة كانت فوق حاجبه الأيسر. و انظر كلام أبي شامة في كتابه «المرشد الوجيز» ص ٢٨. و قد طبع في بيروت ١٣٩٥ (١٩٧٥) بتحقيق طيار آلتى قولاج.

(٤) الاتقان ١ / ٤١.

لمحات في علوم القرآن و اتجاهات التفسير، ص: ٥٩

وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا «١» و قوله: فَلَا يَخْزُنُكَ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَ مَا يُعْلِنُونَ «٢» و قوله: فَلَعَلَّكَ باخِعٌ نَفْسِكَ عَلَىٰ آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا «٣» و قوله: قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَخْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَ لَكِنَّ الظَّالِمِينَ بآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ «٤» و قوله:

فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَاتٍ «٥».

٢- تسهيل حفظه على الرسول و المسلمين و تسهيل فهمه:

فإنه عليه الصلاة و السلام أمى لا يقرأ و لا يكتب، و كذلك كان العرب المسلمون، و قد سماهم الله أميين هُو الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ «٦».

و لئن كان النبي صلى الله عليه و سلم قد وعد بأنه سيعان على الحفظ بحيث لا ينسى كما قال تعالى: سَتُنْقِئُكَ فَلَا تَنْسَى «٧» إن المسلمين بحاجة إلى زمن يساعدهم على الحفظ، و من أجل ذلك كان نزوله منجما.

٣- موالاة تقريع الكفار بالحجة بعد الحجّة، و تجديد تذكيرهم بانحرافهم و سوء عقيدتهم: لو نزل القرآن دفعة واحدة لواجه الكفار هذه التقريعات، و تألموا لها أول مرة، ثم ألفوها، و نسيها الناس.

٤- استغلال الحوادث و الوقائع للرد على المشركين و فضح المنافقين:

و هذه حكمة عظيمة من حكم التنجيم، فقد كانت الآيات القرآنية

(١) سورة المزمل: ١٠.

(٢) سورة يس: ٧٦.

(٣) سورة الكهف: ٦.

(٤) سورة الانعام: ٣٣.

(٥) سورة فاطر: ٨.

(٦) سورة الجمعة: ٢.

(٧) سورة الاعلى: ٦.

لمحات في علوم القرآن و اتجاهات التفسير، ص: ٦٠

النازلة في حادثة معينة ترد على المشركين و تفحمهم، و تفضح المنافقين و تكتشف خفاياهم، و هذا يجعلهم يتخوفون أبدا ان يكشفوا كما قال تعالى:

يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنزَلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُبَيِّنُ لَهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ. قُلِ اسْتَهِزُوا إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَا تَحْذَرُونَ «١».

٥- تعميق التأثير في النفس و التذكر:

ان ربط الآية بالحادثة و الواقعة أدعى الى ان يتذكر الناس جميعا هذه الآية، و أعمق تأثيرا في النفس البشرية.

لأن الآية عندئذ تعالج جانبا من حياة الناس عاشوه، و مثل ذلك من البعيد ان ينسى.

و من الامثلة على ذلك ربط آية القذف بحادثة الإفك. و الأمثلة على ذلك كثيرة.

٦- رعاية المجتمع الاسلامي و الأخذ بيده في الحياة الجديدة على ضوء هداية الله: ذلك لأن كثيرا من الآيات التشريعية كانت تنزل

في الغالب جوابا عن سؤال كما في قوله تعالى: يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ «٢» أو حلا لاشكال ليس في

الكتاب الكريم رأى فيه. كما في قصة مرثد الغنوي الذي عرضت عليه امرأة مشركة الرواج، فقبل و وقف ذاك على إذن الرسول صلى

الله عليه و سلم له، فلما عرض قضيته على النبي صلى الله عليه و سلم نزل «٣» قوله سبحانه: وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَ «٤».

(١) سورة التوبة: ٦٤.

(٢) سورة البقرة: ٢١٧.

(٣) هذا قول ابن عباس ذكره ابن الجوزي في «زاد المسير» ١/ ٢٤٥ و قد روى هذه القصة بسياق آخر الترمذي (١٥٣/٤) من تحفة

الاحوذى) و ذكر انها سبب لنزول الآية التي في أول سورة النور و هي قوله تعالى: الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً و كذا رواه ابو

داود ٢/ ٢٩٨ و النسائي ٦/ ٥٤-٥٥ و الطبري ١٨/ ٥٦ و ابن كثير ٣/ ٢٦٢.

(٤) سورة البقرة: ٢٢١.

لمحات في علوم القرآن و اتجاهات التفسير، ص: ٦١

و قد جلا هذه الناحية على خير وجه الأستاذ سيد قطب فقال:

(لقد جاء هذا القرآن ليربى أمة و ينشئ مجتمعا، و يقيم نظاما، و التربية تحتاج إلى زمن، و إلى تأثير و انفعال بالكلمة، و الى حركة

ترجم التأثير و الانفعال إلى واقع. و النفس البشرية لا- تتحول تحولا- كاملا- شاملا- بين يوم و ليلة بقراءة كتاب كامل شامل للمنهج

الجديد. إنما تتأثر يوما بعد يوم بطرف من هذا المنهج و تتدرج في مراقبه رويدا رويدا. و تعتاد على حمل تكاليفه شيئا فشيئا. فلا

تجفل كما تجفل لو قدّم لها ضخما ثقيل عسيرا، و هي تنمو في كل يوم بالوجبة المغذية فتصبح بالتالي أكثر استعدادا للانتفاع بالوجبة

التالية، و أشد قابلية لها و التذاذا بها.

و لقد جاء القرآن بمنهاج كامل شامل للحياة كلها، و جاء في الوقت ذاته بمنهاج للتربية يوافق الفطرة البشرية عن علم بها من خالقها،

فجاء لذلك منجما وفق الحاجات الحية للجماعة المسلمة، و هي في طريق نشأتها و نموها و وفق استعدادها الذي ينمو يوما بعد يوم

في ظل المنهج التربوي الالهى الدقيق، جاء ليكون منهج تربية و منهاج حياة، لا ليكون كتاب ثقافة يقرأ لمجرد اللذة أو لمجرد المعرفة

.. جاء لينفذ حرفا حرفا، و كلمة كلمة و تكليفا تكليفا، جاء لتكون آياته هي (الأوامر اليومية) التي يتلقاها المسلمون في حينها ليعملوا

بها فور تلقيها، كما يتلقى الجندي في ثكنته او في الميدان (الأمر اليومي) مع التأثير و الفهم و الرغبة في التنفيذ، و مع الانطباع و

التكليف وفق ما يتلقاه ... من أجل هذا كله نزل القرآن مفعلا) «١».

لقد كان الناس في جزيرة العرب قبل الاسلام في شرك و جهالة، و بعد عن ذاك المستوى الرفيع الذي جاء في القرآن من توحيد الله و عبادته وحده، و إرادة الخير للناس، و تحريرهم من الظلم، و كان العالم كله في حالة

(١) «في ظلال القرآن» ٣٤ / ١٩.

لمحات في علوم القرآن و اتجاهات التفسير، ص: ٦٢

انحلال و جور و جهل، و كان أهل الكتاب قد حَرَفُوا كتبهم، و أحلوا الخرافات و الباطل مكان الحق .. فكان طبيعيا جدا ان يكون الكتاب الأخير آخذا بمنهج التدرج في التشريع لإصلاح ذلك الواقع قال تعالى:

وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَ نَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا «١».

و التدرج في التشريع وسيلة رعاية المجتمع الاسلامي، و الأخذ بيده كما رأينا، و من أبرز الامثلة على التدرج في التشريع الآيات التي ذكر فيها الخمر.

فلقد حرمت الخمر بعد ان امتلأت نفوس المسلمين مخافة من الله و رغبة في ثوابه، و حبا في الترام هديه.

و كان تحريم الخمر على مراحل كما هو معروف:

- نزل أولا قوله تعالى: يَسْئَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَ الْمَيْسِرِ قُلْ: فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَ مَنَافِعٌ لِلنَّاسِ، وَ إِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا «٢».

فلم تصرح الآية بطلب الكف عنهما، و لكنها اكتفت بذكر ان اثمهما اكبر من نفعهما، و في ذلك تهيئة النفس لقبول ما سينزل من الآيات بحققهما.

- ثم نزل قوله تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَ أَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ «٣».

و في هذه الآية نجد المنع مؤقتا بحالة السكر. و معلوم ان المسلم مكلف بالصلاة في أوقات متقاربة، لا يذهب خلالها أثر السكر، فكان ذلك سببا في تركها سحابة النهار، و كانوا اذا صلوا العشاء سكر من أراد منهم السكر. و في ذلك تدريب على تركها مدة طويلة من يقظة الانسان.

(١) سورة الاسراء: ١٠٦. لمحات في علوم القرآن و اتجاهات التفسير ٦٢ حكم التنجيم و أسراره: ص: ٥٨

(٢) سورة البقرة: ٢١٩ و انظر «تفسير القرطبي» ٣ / ٥٢.

(٣) سورة النساء: ٤٣.

لمحات في علوم القرآن و اتجاهات التفسير، ص: ٦٣

- ثم نزل قوله تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَ الْمَيْسِرُ وَ الْأَنْصَابُ وَ الْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ. إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةَ وَ الْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَ الْمَيْسِرِ وَ يَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَ عَنِ الصَّلَاةِ. فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ «١».

فانتهى المسلمون، و تركوا الخمر، و أهرقوا ما في دورهم منها.

روى البخارى عن عائشة قالت:

(إنما نزل أول ما نزل منه سورة من المفصل، فيها ذكر الجنة و النار، حتى اذا تاب الناس الى الاسلام نزل الحلال و الحرام. و لو نزل أول شيء (لا تشربوا الخمر) لقالوا: لا ندع الخمر أبدا. و لو نزل (لا تزنا) لقالوا:

(لا ندع الزنا أبدا) «٢».

و كذلك فإن التدرج كان في عقوبة الزنا أيضا، اذ كان الحبس في البيوت حتى الموت للزانيات أو يجعل الله لهن سبيلا، ثم نزل الحد. جاء في تفسير الجلالين في تفسير قوله تعالى: وَ اللَّاتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِنْ نِسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِنْكُمْ فَإِنْ شَهِدُوا

فَأَمْسِيَةً كَوُهْنًا فِي الْبُيُوتِ حَتَّى يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا «٣»: [أمروا بذلك أول الإسلام، ثم جعل لهن سبيلا بجلد البكر مائة و تغريبها عاما و رجم المحصنة] و روى مسلم انه صلى الله عليه و سلم قال: «خذوا عني، قد جعل الله لهن سبيلا البكر بالبكر جلد مائة و نفى سنه، و الثيب بالثيب جلد مائة و الرجم» «٤».

(١) سورة المائدة: ٩٠-٩١.

(٢) «صحيح البخارى» ١٥٢ / ٦ و انظر «الاتقان» ١ / ٤٢ أقول: بهذا التدرج و الاعتماد على العقيدة نجح الاسلام فى تحريم الخمر و القضاء عليه كما تقول السيدة عائشة، بينما أخفقت حكومة أمريكا عند ما أرادت منعه على الرغم من الأموال و الجهود الكثيرة التى بذلتها و اضطرت إلى إباحتها مرة أخرى سنة ١٩٣٣ و انظر «ما ذا خسر العالم» ص ٩١.

(٣) سورة النساء: ١٥.

(٤) «صحيح مسلم» ٣ / ١٣١٦ ط عبد الباقي.

لمحات فى علوم القرآن و اتجاهات التفسير، ص: ٦٤

٧- اثبات الاعجاز:

فى التنجيم دليل قاطع على الاعجاز، و ذلك من وجهين:

الأول: فى كونه محافظا على المستوى الرفيع فى البيان، و الدرجة العالية فى البلاغة، ذلك لأننا لا نعرف فى مجال الأدب و البيان فصيحاً استطاع ان يبقى محافظا على مستوى سام فى نتاجه الادبى مدة طويلة. بل إننا لنجد ان للنابعين من أئمة البيان سقطات، و كلما زاد أحدهم تفوقا عظمت سقطته، فالمتنبى الذى ملأ الدنيا و شغل الناس و الذى ترك دويًا فى دنيا الفكر و الأدب كبيرا جدا نجد له عددا من الهفوات التى أخذت عليه «١» و كذلك شأن أبى تمام «٢» و أبى نواس «٣» و هما- كما يقول الجرجانى- سيدا المطبوعين و إماما أهل الصنعة «٤» و كذلك شأن امرئ القيس و هو كبير شعراء الجاهلية فما أكثر الايات التى عيبت عليه و أطال النقاد فى ذكرها. قال الباقلانى:

(و متى تأملت شعر الشاعر البليغ رأيت التفاوت فى شعره على حسب الاحوال التى يتصرف فيها، فيأتى بالغاية فى البراعة فى معنى، فاذا جاء إلى غيره قصر عنه و وقف دونه، و بان الاختلاف على شعره، و لذلك ضرب المثل بالذين سميتهم «٥»، لأنه لا خلاف فى تقدمهم فى صنعة الشعر و لا- شك فى تبريزهم فى مذهب النظم، فإذا كان الاختلال يتأتى فى شعرهم لاختلاف ما يتصرفون فيه استغنيا عن ذكر من هو دونهم، و كذلك

(١) انظر «الوساطة» للجرجانى ص ٦٤-٧٧.

(٢) انظر «الوساطة» للجرجانى ص ٥١-٦٢.

(٣) انظر «الوساطة» للجرجانى ص ٤٢-٥١.

(٤) انظر «الوساطة» للجرجانى ص ٦٤.

(٥) سَمَّى الباقلانى قبل هذا الكلام عددا من الشعراء و هم: امرؤ القيس و النابغة و زهير فقال: [و لذلك ضرب المثل بامرئ القيس إذا ركب، و النابغة إذا رهب، و بزهير إذا رغب].

لمحات فى علوم القرآن و اتجاهات التفسير، ص: ٦٥

يستغنى به عن تفصيل نحو هذا فى الخطب و الرسائل و نحوها ... و قد تأملنا نظم القرآن فوجدنا جميع ما يتصرف فيه من الوجوه التى قدمنا ذكرها على حد واحد فى حسن النظم و بديع التأليف و الرصف لا تفاوت فيه، و لا انحطاط عن المنزلة العليا، و لا إسفاف فيه

إلى الرتبة الدنيا) «١».

والقرآن ادب كلما أمعنت نظرا فيه أطلعك على نواح جديدة من الجمال، و كلما تقدم الزمان بدا من روعة اسلوبه و سحر بيانه ما لم يكن باديا. هذا في القرآن على طول المدة التي نجم فيها.

و كذلك فإن مما يتصل بهذا المعنى بسبب هو ان التنجيم يبرز معنى الإعجاز في كون القرآن يعالج الموضوع الواحد اكثر من مرة، و يتكرر عرضه في ظروف متعددة متباعدة و يبقى الاسلوب في كل مرة رائعا معجزا.

قال الباقلاني:

(و كذلك قد يتفاوت كلام الناس عند إعادة ذكر القصة الواحدة تفاوتا بينا، و يختلف اختلافا كبيرا، و نظرنا القرآن فيما يعاد ذكره من القصة الواحدة فرأيناه غير مختلف و لا متفاوت، بل هو على نهاية البلاغة، و غاية البراعة، فعلمنا بذلك أنه مما لا يقدر عليه البشر لأن الذي يقدرون عليه قد بيّننا فيه التفاوت الكثير، عند التكرار و عند تباين الوجوه و اختلاف الأسباب) «٢».

الثاني: في كون الآيات نزلت في أوقات متباعدة، و استجابة لأسباب معينة، و على الرغم من ذلك فقد بدت السورة ذات موضوعات متماسكة، كل موضوع يمسك برقبته الذي بعده، و يسود السورة انسجام و ائتلاف

(١) «إعجاز القرآن» ص ٣٧ طبع دار المعارف تحقيق السيد صقر.

(٢) «إعجاز القرآن» تحقيق الصقر طبع دار المعارف ص ٣٧-٣٨.

لمحات في علوم القرآن و اتجاهات التفسير، ص: ٦٦

و كأنها أنزلت مرة واحدة، و قد يكون أول السورة قد نزل بعد آخرها.

و قد حلل هذه الناحية الدكتور محمد عبد الله دراز على أحسن وجه فقال:

(اعمد إلى سورة من تلك السور التي تتناول أكثر من معنى واحد، و ما أكثرها في القرآن، فهي جمهرته، و تنقل بفكرتك معها مرحلة مرحلة، ثم ارجع البصر كرتين: كيف بدأت؟ و كيف ختمت؟ و كيف تقابلت أوضاعها و تعادلت؟ و كيف تلاقت أركانها و تعانقت؟ و كيف ازدوجت مقدماتها بنتائجها؟ و وطأت أولها لأخرها؟ و أنا لك زعيم بأنك لن تجد البتة في نظام معانيها او مبانيها ما تعرف به أ كانت هذه السورة قد نزلت في نجم واحد ام في نجوم شتى، و لسوف تحسب ان السبع الطول من سور القرآن قد نزلت كل واحدة منها دفعة، حتى يحدثك التاريخ أنها قد نزلت نجوما) «١».

(١) «النبأ العظيم» ص ١٧٣ و انظر ما كتب الدكتور دراز حول هذا الموضوع ص ١٦١-١٨٠.

لمحات في علوم القرآن و اتجاهات التفسير، ص: ٦٧

الفصل الخامس في الآية و السورة

١- الآية:

١- الآية في اللغة:

إشارة

تدل كلمة الآية على معان عدة، نذكر أهمها فيما يأتي:

- ١- المعجزة: و منه قوله تعالى: سَلِّ يَنْبِيَّ إِسْرَائِيلَ كَمْ آتَيْنَاهُمْ مِنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ «١».
- ٢- العلامة الظاهرة: و منه قوله تعالى: إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ «٢». و قوله: قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْرًا «٣».
- و منه قول العرب: بيني و بين فلان آية، اي علامة. و منه قول النابغة:
- توهمت آيات لها فعرفت هالسته أعوام و ذا العام سابع «٤» ٣- الامر العجيب: و منه قوله تعالى: وَ جَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَ أُمَّهُ

(١) سورة البقرة: ٢١١.

(٢) سورة البقرة: ٢٤٨ و التابوت: الصندوق.

(٣) سورة آل عمران: ٤١.

(٤) ديوان النابغة ص ٧٢.

لمحات في علوم القرآن و اتجاهات التفسير، ص: ٦٨

آية «١». قال الراغب: (و انما قال: و جعلنا ابن مريم و أمه آية و لم يقل:

آيتين. لأن كل واحد صار آية بالآخر) «٢».

٤- العبرة: و منه قوله تعالى: إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً «٣».

٥- البرهان و الدليل: و منه قوله تعالى: وَ مِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ اخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَ أَلْوَانِكُمْ «٤».

٦- الجماعة: و منه قولهم: خرج القوم بآيتهم، او بآياتهم أي بجماعتهم.

قال برج بن مسهر الطائي «٥»:

خرجنا من النقيين لا حيّ مثلنا بآياتنا نزجى اللقاح المطافلا***

وزنها:

اختلف علماء العربية في أصل (آية) و وزنها.

- فقال سيبويه: (أية) على وزن (فعللة) مثل (أكمة) و (شجرة) فلما تحركت الياء و انفتح ما قبلها انقلبت ألفا فصارت (آية).

- و قال الكسائي: أصلها (آية) على وزن (فاعلة) مثل (آمنة) فقلبت الياء ألفا لتحركها و انفتاح ما قبلها، ثم حذفت لالتباسها بالجمع.

- و قيل: غير ذلك.

(١) سورة المؤمنون: ٥٠.

(٢) «مفردات الراغب» ص ٣٢.

(٣) سورة آل عمران: ٤٩.

(٤) سورة الروم: ٢٢.

(٥) شاعر جاهلي من المعمرين، كانت إقامته في ديار طى بنجد و ذكر الزركلي في «الاعلام» انه توفي نحو ٣٠ قبل الهجرة.

لمحات في علوم القرآن و اتجاهات التفسير، ص: ٦٩

اشتقاقها:

ذكر العلماء أقوالاً في اشتقاقها غير أن أقربها للصواب القول بأنها مشتقة من (التأني) الذي هو التثبت و الإقامة على الشيء. يقال: تأني، أي أرفق.

*** جمعها:

آي، و آيات، و آياء.

*** الآية في القرآن:

هي طائفة من القرآن منقطعة عما قبلها و عما بعدها، لها مبدأ و مقطع، و هي مندرجة في سورة و معرفتها توقيفية على القول الراجح.

*** كيف تعرف الآيات:

القول الراجح أن معرفة الآيات لا يكون إلا بخبر عن النبي صلى الله عليه و سلم و هذا معنى قولنا (معرفة الآيات توقيفية). و قد سبق في تعريف الآية.

*** و هناك من يذهب إلى أن من الآيات ما معرفته سماعية توقيفية، و منها ما معرفته اجتهادية، يقولون: ما ثبت أن النبي صلى الله عليه و سلم وقف عليه دائماً تحققنا أنه نهاية آية، و ما وصله دائماً تحققنا أنه ليس نهاية آية، و ما وقف عليه مرة و وصله أخرى احتمال الوقف أن يكون تعريف الفاصلة أو للاستراحة، و بالاجتهاد نستطيع تحديد نهاية الآية في مثل ذلك.

لمحات في علوم القرآن و اتجاهات التفسير، ص: ٧٠

العلاقة بين المعنى اللغوي و القرآني:

- سميت الآية آية لأنها علامة لانقطاع الكلام الذي قبلها عن الذي بعدها و انفصاله. أي هي بائنة من أختها و منفردة.
- و قالوا: الآية من القرآن كأنها العلامة ينتقل منها إلى غيرها كأعلام الطريق المنصوبة للهداية.
- و قيل: سميت آية لأنها جماعة حروف من القرآن و طائفة منه.
- و قيل: سميت آية لأنها عجب يعجز البشر عن الاتيان بمثلها «١».

٢- السورة:

إشارة

قال ابن فارس: السين و الواو و الراء أصل واحد يدل على علو و ارتفاع «٢».

في نطقها لغتان: أولاهما (السورة) مهموزة، و الثانية: (السورة) بلا همز، و هي الأشهر.

- أما الأولى - أي التي تهمز - فمشتقة من (أسار) أي أبقى منها بقية.

و (السور) البقية التي تزيد عن شرب الشارب في الاناء.
 و سميت السورة سورة لأنها قطعت من القرآن على حدة، فهي قطعة من القرآن.
 - و أما الثانية- أي التي لا تهزم- فقد قالوا في اشتقاقها أقوالا كثيرة «٣».
 فقد قيل: إن أصلها (سورة) ثم سهلت الهمزة، و تكون العلاقة بين معناها اللغوي و القرآني هي التي ذكرناها آنفا.

(١) انظر «البرهان» ٢٦٦ / ١ و «الاتقان» ٦٨ / ١.

(٢) «معجم مقاييس اللغة» ١١٥ / ٣.

(٣) انظر «الاتقان» ٥٢ / ١ و «نكت الانتصار» ص ٥٧ و «البرهان» للزركشي ٢٦٣ / ١.

لمحات في علوم القرآن و اتجاهات التفسير، ص: ٧١

و قيل: هي من السورة التي تعنى في كلام العرب المنزلة الرفيعة.

قال النابغة:

ألم تر أن الله أعطاك سورة ترى كل ملك دونها يتذبذب «١» أي منزلة شريفة ارتفعت إليها عن منزلة الملوك. و قال الحطيئة:

لعمري لنعم المرء لا متهاون عن السورة العليا و لا متخاذل «٢» و قال:

و أبناؤه بيض كرام نما بهم إلى السورة العليا أب غير توأم «٣» و سميت السورة سورة لارتفاعها و شرفها.

و قيل: هي من السور، و سور المدينة حائطها المشتمل عليها.

فالسورة تضم آيات من القرآن تحيط بها إحاطة السور و تشتمل عليها.

و قيل: سميت بذلك لأن قارئها يشرف على ما لم يكن عنده كسور البناء.

و قيل: سميت بذلك لتمامها و كمالها، من قول العرب للناقة التامة:

سورة.

جمعها:

و جمع السورة سور، و سورات، و سوروات.

السورة خاصة بالقرآن:

قال العلماء في تعريف السورة: هي طائفة من آيات القرآن، مسمّاة باسم خاص، لها فاتحة و خاتمة، و أقلها ثلاث آيات.

و نقل السيوطي عن الجاحظ قوله:

(١) «ديوان النابغة» ص ٣١.

(٢) «ديوان الحطيئة» ص ٢٤.

(٣) «ديوان الحطيئة» ص ٨٩.

لمحات في علوم القرآن و اتجاهات التفسير، ص: ٧٢

(سمى الله كتابه اسما مخالفا لما سمي العرب كلامهم على الجمل و التفصيل:
سمى جملته قرآنا كما سموا ديوانا، و بعضه سورة كقصيدة، و بعضها آية كالبيت، و آخرها فاصلة كقافية.) «١»

من سمي سور القرآن؟

ذهب السيوطي إلى أنها مسماء بتوقيف من النبي صلى الله عليه و سلم و قال: (و قد ثبت جميع أسماء السور بالتوقيف من الأحاديث و الآثار، و لو لا خشية الاطالة لبينت ذلك) «٢».
هذا، و قد يكون للسورة اسمان فأكثر، و الغالب أن لها اسما واحدا.

(١) «الاتقان» ١ / ٥٠ النوع السابع عشر.

(٢) «الاتقان» ١ / ٥٢.

لمحات في علوم القرآن و اتجاهات التفسير، ص: ٧٣

الفصل السادس في ترتيب آيات القرآن و سورة

١- ترتيب آيات السورة:

إشارة

أما ترتيب الآيات في السورة الواحدة فقد كان في عهد النبي صلى الله عليه و سلم و بإشارة منه، و هذا مدلول قول زيد بن ثابت الذي رواه الحاكم بسند على شرط الشيخين قال: «كنا عند رسول الله نؤلف القرآن من الرقاع» «١».
قال البيهقي: شبيه أن يكون المراد به تأليف ما نزل من الآيات المتفرقة في سورها و جمعها فيه بإشارة النبي صلى الله عليه و سلم، فقد جاء في حديث عثمان الذي أخرجه أحمد و أبو داود و الترمذي و النسائي و ابن حبان أنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه و سلم تنزل عليه السورة ذات العدد فكان إذا نزل عليه الشيء دعا بعض من كان يكتب فيقول: ضعوا هؤلاء الآيات في السورة التي يذكر فيها كذا و كذا. و في رواية عنه قال: كان النبي صلى الله عليه و سلم مما تنزل عليه الآيات فيدعو بعض من كان يكتب له و يقول له: «ضع هذه الآية في السورة التي يذكر فيها كذا و كذا، و تنزل عليه الآية و الآيتان فيقول مثل ذلك» «٢».

(١) «المستدرک» ٢ / ٢٢٩ و ٦١١.

(٢) «أبو داود» ١ / ٢٩٠ و «الترمذي» ٤ / ١١٣-١١٤ و «المسند» ١ / ٥٧ و «المستدرک» ٢ / ٢٢١ و ٣٣٠ و «السنن الكبرى» ٢ / ٤٢. و انظر «المرشد الوجيز» ص ٣٣.

لمحات في علوم القرآن و اتجاهات التفسير، ص: ٧٤

و من الأدلة على أن ترتيب الآيات توقيفي حديث حذيفة الذي رواه مسلم في «صحيحه» قال: صليت مع النبي صلى الله عليه و سلم ذات ليلة فافتتح البقرة، فقلت: يركع عند المائة، ثم مضى، فقلت: يصلى بها في ركعة، فمضى، ثم افتتح النساء فقرأها، ثم افتتح آل عمران فقرأها «١» ... و هناك إجماع على أنه توقيفي. لا خلاف فيه بين المسلمين.

قال الباقلاني:

(ترتيب الآيات أمر واجب و حكم لازم، فقد كان جبريل يقول:

ضعوا آية كذا في موضع كذا) «٢» و قال أيضا:

(ان ترتيبه و نظمه ثابت على ما نظمه الله تعالى و رتبته عليه رسوله من آي السور، لم يقدم من ذلك مؤخر، و لا آخر منه مقدم، و إن الأمة ضبطت عن النبي صلى الله عليه و سلم ترتيب آيات كل سورة و مواضعها و عرفت مواقعها كما ضبطت عنه نفس القراءة و ذات التلاوة) «٣».

و قال شيخ الاسلام ابن تيمية في هذا الصدد:

(و أما ترتيب آيات السور فهو منزل منصوص عليه، فلم يكن لهم أن يقدموا آية على آية في الرسم كما قدموا سورة على سورة لأن ترتيب الآيات مأمور به نصا و أما ترتيب السور فمفوض الى اجتهادهم) «٤».

قال الاستاذ سيد قطب رحمه الله:

إن وضع الآيات في السور و ترتيبها في مواضعها كان يتم بأمر رسول

(١) «صحيح مسلم» ١٨٦ / ٢ ط استانبول و ٥٣٦ / ١ ط عبد الباقي. و انظر «رياض الصالحين» باب المجاهدة ص ٦٧.

(٢) «الاتقان» ١ / ٦١ و انظر «عنوان البيان» لمخلوف ٧٢.

(٣) «الاتقان» ١ / ٦١ و انظر «المرشد الوجيز» ص ٤٥.

(٤) «مجموع الفتاوى» ١٣ / ٣٩٦.

لمحات في علوم القرآن و اتجاهات التفسير، ص: ٧٥

الله صلى الله عليه و سلم في حياته، و إن سورا متعددة كانت تظل مفتوحة في الوقت الواحد فاذا نزلت آية أو آيات في مناسبة واقعة تواجه واقعا قائما أو تكمل حكما او تعدله وفق المنهج الحركي الواقعي لهذا الدين أمر رسول الله صلى الله عليه و سلم أن توضع في مواضعها من سورتها، و بذلك كانت هناك حكمة في أن تتضمن كل سورة ما تضمنته من الآيات، و حكمة معينة كذلك في ترتيبها في مواضعها من السورة.

و لقد لاحظنا- كما أثبتنا ذلك مرارا في التعريف بالسور- أن هناك «شخصية» خاصة لكل سورة، و سمات معينة تحدد ملامح هذه الشخصية، كما أن هناك جوا معين و ظللا معينه ثم تعبيرات بعينها في السورة الواحدة تؤكد هذه الملامح و تبرز تلك الشخصية) «١».

لما ذا لم ترتب الآيات حسب نزولها؟

شاءت إرادة الله أن يوحى الى الرسول صلى الله عليه و سلم بموضع الآية من السورة كما رأينا، و أن يجمع على غير ترتيب نزوله ليظل معجزة الى أبد الأبد.

و في ذلك يقول الأستاذ محمد المدني في كتابه «المجتمع الاسلامي كما تصوره سورة النساء»:

(لو أنه جمع على حسب ترتيب نزوله لفهم بعض الناس أن آياته خاصة بحوادثها، أو أنه حلول وقتية للمشكلات التي كانت على عهد الرسول فحسب، و الله تعالى يريد كتابه عاما خالدا لا يختص بعصر دون عصر، و لا يقوم دون قوم. لذلك اقتضت الحكمة بأن يرتب ترتيبا يحقق هذا العموم و هذا الخلود، و يبتعد عن الترتيب الزمني الذي نزل به لحكمة كانت مناسبة حين نزوله) «٢».

(١) «في ظلال القرآن» ١٠ / ١١١.

(٢) نقلا عن كتاب «القرآن و العلم الحديث» لعبد الرزاق نوفل ص ١٤.

لمحات في علوم القرآن و اتجاهات التفسير، ص: ٧٦

٢- ترتيب سور القرآن:

أما ترتيب السور فأمر مختلف فيه. فبعضهم يقول: «إنه توقيفي» (١). و بعضهم يرى أنه اجتهاد من الصحابة. و يستدل كل فريق بأدلة. فأما الذين يذهبون إلى انه باجتهاد من الصحابة، فقد قالوا: مما يدل على ذلك اختلاف مصاحف السلف من الصحابة كعلي و ابن مسعود و أبي بن كعب و غيرهم في هذه المصاحف من ناحية ترتيب السور. و قد أشار الى هذا الخلاف القرطبي في «التفسير» (٢) و السيوطي في «الاتقان» (٣). قال الباقلاني:

(يمكن ان يكون الرسول صلى الله عليه و سلم قد رتب سوره، و ان يكون قد وكل ذلك إلى الأمة بعده. و لم يتول ذلك بنفسه، و هذا الثاني أقرب) (٤).

و ذكر أبو بكر الطرطوشي أنه قيل لمالك: كيف قدمت السور الكبار في التأليف و قد نزل بعضه قبل بعض؟ قال: أجل، و لكن أراهم إنما ألفوه على ما كانوا يسمعون من قراءة النبي صلى الله عليه و سلم (٥).

و يرى شيخ الاسلام ابن تيمية أن ترتيب السور لم يكن واجبا عليهم منصوصا، بل كان مفوضا الى اجتهادهم، و لهذا كان ترتيب مصحف عبد الله على غير ترتيب مصحف زيد و كذلك مصحف غيره (٦).

و قد نقل السيوطي في «الاتقان» أن جمهور العلماء على ان ترتيب السور اجتهادي من الصحابة (٧) و أورد رأيا لابن حجر يقول فيه: ترتيب بعض

(١) «تناسق الدرر في تناسب السور» للسيوطي ٦٨ و ٦٩ و «عنوان البيان» ٧٣-٧٧.

(٢) «تفسير القرطبي» ١ / ٥١.

(٣) «الاتقان» ١ / ٦٢.

(٤) «الاتقان» ١ / ٦١.

(٥) «الحوادث و البدع» ٩٧.

(٦) «مجموع الفتاوى» ١٣ / ٣٩٦.

(٧) «الاتقان» ١ / ٦٢.

لمحات في علوم القرآن و اتجاهات التفسير، ص: ٧٧

السور أو معظمها لا يمتنع أن يكون توقيفيا ثم ذكر أدلته على ذلك (١).

و نقل السيوطي عن أبي عطية أنه مال إلى أن كثيرا من السور كان قد علم ترتيبها في حياته صلى الله عليه و سلم كالسبع الطوال، و الحواميم، و المفصل. و أن ما سوى ذلك يمكن أن يكون فوض الأمر فيه إلى الأمة بعده (٢).

و مهما يكن من أمر فالذي أراه في هذا الموضوع هو:

ان ترتيب السور كما هو في المصحف واجب الاتباع، و ان كان في بعضه أو معظمه يعود إلى ترتيب الصحابة. و لا يجوز أن ترتب سور المصحف على خلاف الترتيب الذي ارتضاه الصحابة رضوان الله عليهم، و انعقد الاجماع عليه في الأجيال المتتالية التي جاءت

من بعدهم حتى عصرنا هذا، و ما رآه المسلمون حسنا فهو عند الله حسن، و لذلك فإن ترتيب السور ترتيبا جديدا يراعى فيه النزول أمر مخالف للإجماع و لا يجوز، و هو غير ممكن، ذلك لأن هناك سورا نزل آخرها قبل أولها و استغرق نزولها مدة من الزمن. أما ترتيب آيات السورة ترتيبا جديدا فالأمر فيه أشد و هو محظور بإجماع المسلمين، بل قد حكم بعض العلماء بكفر من يفعل ذلك، لأن ترتيب آيات السورة- كما رأينا آنفا- كان بأمر من النبي صلى الله عليه و سلم بناء على أمر جبريل. و الله أعلم.

(١) «الاتقان» ١/ ٦٣ و «تناسق الدرر» ٧٠ و ٧١.

(٢) «تناسق الدرر» ٦٩ و «مقدمتان في التفسير» ٢٧٦ و «البرهان» ١/ ٢٥٧.

لمحات في علوم القرآن و اتجاهات التفسير، ص: ٧٨

الفصل السابع في إعجاز القرآن

إشارة

القرآن الكريم هو المعجزة الكبرى لرسول الله محمد بن عبد الله صلى الله عليه و سلم. و هذا يقتضينا ان نقدم بين يدي بحثنا في الاعجاز حديثا عن المعجزة.

المعجزة:

«١» المعجزة ظاهرة تكرر في حياة الأنبياء صلوات الله عليهم، لتكون دليلا على صدق دعواهم النبوة. و قد قص القرآن الكريم علينا كثيرا من أنباء المعجزات التي جاءت مصدقة لرسول الله المتقدمين من أمثال ناقة صالح و عصا موسى، و ركوبه البحر، و إحياء عيسى الموتى، و إبرائه الأكمه و الأبرص.

و لا بد في المعجزة من أن تتوافر فيها أمور ثلاثة:

١- أنها أمر خارق للعادة غير جار على ما اعتاد الناس من سنن الكون و الظواهر الطبيعية. و لذا فهي غير قابلة لتفسيرها على نحو ما يجري عادة في الحياة.

٢- أنها أمر مقرون بالتحدي، تحدى المكذبين أو الشاكين، و لا بد

(١) انظر «تعريف عام بدين الاسلام» ١٩٥- ٢١١ و «نظام الاسلام: العقيدة و العبادة» ١٠٥- ١٠٨.

لمحات في علوم القرآن و اتجاهات التفسير، ص: ٧٩

أن يكون الذين يتحدون من القادرين على إتيان مثل المعجزة إن لم تكن من عند الله، و إلا فإن التحدي لا يتصور، إذ أننا لا نستطيع ان نتصور بطلا في الملائكة يتحدى طفلا، لأن هذا الطفل عاجز عن مقابله «١».

٣- أنها أمر سالم عن المعارضة، فمتى أمكن لأحد أن يعارض هذا الأمر و يأتي بمثله بطل أن يكون معجزة.

و المعجزة على نوعين: حسية و عقلية.

و الملاحظ أن أكثر معجزات الأنبياء السابقين كانت حسية، بينما نجد ان المعجزة الكبرى التي جاء بها نبينا محمد صلى الله عليه و سلم عقلية، و نغني بهذه المعجزة القرآن، و هناك معجزات أخرى للنبي صلى الله عليه و سلم جاء في الصحيح أخبارها و هي كثيرة

(٢).

و لعل مرد ذلك الى أن هذه الشريعة آخر الشرائع و ستبقى الى أبد الدهر الى يوم القيامة، و من أجل ذلك فقد خصت بالمعجزة العقلية الباقية، ليراها ذوو البصائر في كل العصور و مهما تقدم الزمان.

... و هكذا فإن معجزات الانبياء السابقين - عليهم السلام- قد انقرضت بانقراض أعصارهم، فلم يشاهدها إلا من حضرها، بينما معجزة القرآن مستمرة الى يوم القيامة.

و بنحو من هذا الذي ذكرنا فسر العلماء قوله صلى الله عليه و سلم فيما أخرجه البخارى و مسلم و غيرهما عن أبى هريرة:

(١) و فى ذلك رد لزعم أبى إسحاق النظام من أن العرب سلبوا القدرة على الاتيان بالقرآن مع امكانهم ذلك.

(٢) و قد استوفى الكلام عليها القاضى عياض فى كتابه القيم «الشفافى فى حقوق المصطفى» و ابن كثير فى «البدایة و النهایة» ٦ / ٦٥-٣٠١ و وليد الأعظمى فى «المعجزات المحمدية».

لمحات فى علوم القرآن و اتجاهات التفسير، ص: ٨٠

«ما من الأنبياء نبى إلا- أعطى ما مثله آمن عليه البشر، و إنما كان الذى أوتيته وحيا أوحاه الله الی، فأرجو أن أكون أكثرهم تبعاً يوم القيامة» (١).

*** الاعجاز:

كان القرآن معجزاً للعرب ذوى الفصاحة و أولى البلاغة، تحداهم فلم يقدر أحد منهم على معارضته، و قد قرّر القرآن ان مجرد سماع العرب لآياته حجة كبرى عليهم، و كفى هذا دليلاً على إعجازه. قال تعالى فى صدد الرد على طلبهم المعجزات مشيراً إلى أن هذا الكتاب يغنى عن كل معجزة: و قالوا: لَوْ لَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِنْ رَبِّهِ. قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ، و إِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ. أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ (٢).

فأخبر سبحانه: ان الكتاب الكريم الذى أنزله الله و الذى يتلى عليهم آية من آيات الله كاف فى الدلالة على صدق نبوته، قائم مقام معجزات كثيرة. فلما ذا يطلب هؤلاء القوم الآيات؟ أولا يكفيهم هذا الكتاب الذى يفوق كل معجزات الأنبياء السابقة فى الدلالة على نبوته؟

و يقول تعالى: و إِنِ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ (٣).

(١) رواه البخارى فى كتاب فضائل القرآن فى باب كيف نزل الوحي و أول ما نزل ٦ / ١٥٠ و فى كتاب الاعتصام فى باب قول النبى صلى الله عليه و سلم «بعثت بجوامع الكلم» ٩ / ٧٥ و رواه مسلم فى كتاب الايمان فى باب وجوب الايمان برسالة نبينا محمد صلى الله عليه و سلم ١ / ٩٢ و انظر «اللؤلؤ و المرجان» ١ / ٣٠ و انظر شرح الحديث فى «فتح البارى» ٩ / ٦ و فى «شرح مسلم» للنووى ٢ / ١٨٦ و «البدایة و النهایة» ٦ / ٦٩ و «الاتقان» ٢ / ١١٦ حيث نقل عن شراح الحديث كلاماً وافياً. و انظر «مبارق الازهار فى شرح مشارق الأنوار» لابن الملك ١ / ٣٠٣.

(٢) سورة العنكبوت: ٥٠-٥١.

(٣) سورة التوبة: ٦.

لمحات فى علوم القرآن و اتجاهات التفسير، ص: ٨١

و إذا سمع كلام الله و تذوقه قاده ذلك إلى الايمان ان كان من المنصفين، لأنه لا يسمعه متذوق منصف إلا و ينتهى به إلى الايمان.

هذا وقد أيد الواقع التاريخي ذلك، فقد حدثنا كتب السيرة أنّ مجرد سماع العربي للقرآن كان يوقفه على المعجزة العظمى، و يحمله ذلك على الايمان. و أدرك ذلك كفار قريش، فكانوا ينهون عن سماع القرآن، كما حكى الله سبحانه ذلك عنهم: وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا: لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَعْلَبُونَ ﴿١﴾.

و كانوا يسعون جهدهم للحيلولة بين رسول الله صلى الله عليه و سلم و بين من يأتي من وفود العرب الى مكة. و من ذلك ما جاء في «سيرة ابن هشام» عن اسلام الطفيل بن عمرو الدوسي:

(قدم الطفيل مكة، و رسول الله صلى الله عليه و سلم بها، فمشى إليه رجال من قريش، و كان الطفيل شريفا شاعرا لبيبا. فقالوا له: يا طفيل إنك قدمت بلادنا، و هذا الرجل الذي بين اظهرنا قد أعضل بنا «٢»، و قد فرق جماعتنا، و شتت أمرنا، و إنما قوله كالسحر، يفرق بين الرجل و بين أبيه، و بين الرجل و بين زوجته، و إنما نخشى عليك و على قومك ما قد دخل علينا. فلا تكلمنه و لا تسمع من شينا. قال الطفيل: فو الله ما زالوا بي حتى أجمعت ان لا اسمع منه شيئا، و لا أكلمه، حتى حشوت في أذني حين غدوت إلى المسجد كرسفا «٣» فرقا من أن يبلغني شيء من قوله و أنا لا أريد أن أسمعه.

فغدوت إلى المسجد، فاذا رسول الله صلى الله عليه و سلم قائم يصلى عند الكعبة، فقامت منه قريبا، فأبى الله إلا أن يسمعني بعض قوله، فسمعت كلاما

(١) سورة فصلت: ٢٦.

(٢) أى اشتد أمره بنا.

(٣) الكرسف: القطن.

لمحات في علوم القرآن و اتجاهات التفسير، ص: ٨٢

حسنا، فقلت في نفسي: وا ثكل أمي، و الله اني لرجل لبيب شاعر، ما يخفى عليّ الحسن من القبيح، فما يمنعني أن أسمع من هذا الرجل ما يقول؟

فإن كان الذي يأتي به حسنا قبلته، و ان كان قبيحا تركته.

فمكثت حتى انصرف رسول الله صلى الله عليه و سلم الى بيته، فاتبعته، حتى اذا دخل بيته دخلت عليه، فقلت: يا محمد إن قومك قد قالوا لي كذا و كذا ..

فو الله ما برحوا يخوفونني امرك حتى سددت اذني بكرسف لثلا- اسمع قولك، ثم أبى الله إلا- أن يسمعني قولك، فسمعت قولاً حسناً، فاعرض عليّ امرك. فعرض عليّ رسول الله صلى الله عليه و سلم، و تلا عليّ القرآن. فلا و الله ما سمعت قولاً قط أحسن منه، و لا أمراً أعدل منه، فأسلمت و شهدت شهادة الحق «١».

و من أشهر الذين دخلوا في الاسلام بسبب إعجابهم باعجاز القرآن:

عمر بن الخطاب و أسيد بن حضير و سعد بن معاذ و غيرهم.

قال الاستاذ سيد قطب:

(سحر العرب منذ اللحظة الأولى، سواء منهم في ذلك من شرح الله صدره للاسلام، و من جعل على بصره غشاوة.

و إذا تجاوزنا عن النفر القليل الذين كانت شخصيته محمد صلى الله عليه و سلم وحدها هي داعيتهم إلى الايمان في أول الأمر. كزوجه خديجة. و صديقه أبي بكر.

و ابن عمه علي، و مولاه زيد، و أمثالهم، فإننا نجد القرآن كان العامل الحاسم، أو أحد العوامل الحاسمة في ايمان من آمنوا أوائل أيام الدعوة، يوم لم يكن لمحمد صلى الله عليه و سلم حول و لا طول، و يوم لم يكن للاسلام قوة و لا منعة.

(١) «سيرة ابن هشام» ٢ / ١٣٠ المطبوعة مع الروض الأنف و «البدائية و النهاية» ٣ / ٩٨ - ١٠١ و «تقريب السيرة النبوية لابن هشام» تصنيف محمد الشبراوي ص ١٤٥ و ما بعدها، و انظر تنمئة القصة هناك و كيف كان هذا الرجل داعية إلى الاسلام بعد ذلك.

لمحات في علوم القرآن و اتجاهات التفسير، ص: ٨٣

و قصة ايمان عمر بن الخطاب و تولى الوليد بن المغيرة نموذجان من قصص كثيرة للايمان و التولى، و كلتاهما تكشف عن هذا السحر القرآني الذي أخذ العرب منذ اللحظة الأولى، و تبيان في اتجاهين مختلفين عن مدى هذا السحر القاهر الذي يستوى في الاقرار به المؤمنون و الكافرون) (١).

و قصة ايمان عمر معروفه (٢)، و أما قصة تولى ابن المغيرة فيحسن أن نذكر بها:

و موضوع الشاهد منها أن قريشا أوفدت أبا جهل اليه يطلب منه أن يقول في القرآن قولا يعلم منه الناس جميعا أنه كاره له، فأجابه الجواب الآتي الذي يدل على تأثره بجمال القرآن: (ما ذا أقول فيه؟ فوالله ما منكم رجل أعلم مني بالشعر و لا برجزه و لا بقصيده، و لا بأشعار الجن، و الله ما يشبه الذي يقوله شيئا من هذا، و الله إن لقوله لحلاوة، و إن عليه لطلاوة، و انه ليحطم ما تحته، و إنه ليعلو و ما يعلى عليه).

قال ابو جهل: و الله لا يرضى قومك حتى تقول فيه.

قال: فدعني افكر فيه.

فلما فكر قال: (إن هذا إلا سحر يؤثر، أما رأيتموه يفرق بين الرجل و أهله و مواليه).

و في ذلك يقول القرآن الكريم: إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ، فَفَتَلَّ كَيْفَ قَدَّرَ، ثُمَّ قَاتَلَ كَيْفَ قَدَّرَ، ثُمَّ نَظَرَ، ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ، ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ، فَكَانَ: إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْتَرُ (٣).

(١) «التصوير الفني في القرآن» ص ١١.

(٢) أنظرها في «سيرة ابن هشام» ٢ / ٩٥ و «البدائية و النهاية» ٣ / ٧٩ و «تقريب السيرة» ص ١٢٤ - ١٣٠.

(٣) سورة المدثر: ١٨ - ٢٤ و قد أخرج هذه القصة الحاكم عن ابن عباس و انظر «الاتقان» ٢ / ١١٧ و «تفسير القرطبي» ١٩ / ٧٤ و «سيرة ابن هشام» ٢ / ١١ و «البدائية و النهاية» ٣ / ٦١ و «تقريب السيرة» ص ٩٤.

لمحات في علوم القرآن و اتجاهات التفسير، ص: ٨٤

و قد كتب الجاحظ مقالة في موضوع الاعجاز أرى أن اوردها هنا، فإنها مقالة جديرة بالاهتمام، قال الجاحظ:

(بعث الله محمدا صلى الله عليه و سلم أكثر ما كانت العرب شاعرا و خطيبا، و احكم ما كانت لغة، و أشد ما كانت عده، فدعا أقصاها و أدناها إلى توحيد الله، و تصديق رسالته، فدعاهم بالحجة، فلما قطع العذر، و أزال الشبهة، و صار الذي يمنعه من الاقرار الهوى و الحمية دون الجهل و الحيرة، حملهم على حظههم بالسيف. فنصب لهم الحرب، و نصبوا له و قتل من عليتهم و أعلامهم و أعمامهم و بنى أعمامهم، و هو في ذلك يحتج عليهم بالقرآن، و يدعوهم صباحا و مساء الى أن يعارضوه إن كان كاذبا بسورة واحدة، أو بآيات يسيرة، فكلما ازداد تحديا لهم بها، و تقريرا لعجزهم عنها، تكشف عن نقصهم ما كان مستورا، و ظهر منه ما كان خفيا، فحين لم يجدوا حيلة و لا حجة قالوا له: أنت تعرف من أخبار الأمم ما لا نعرف، فلذلك يمكنك ما لا يمكننا، قال: فهاتوها مفتريات.

فلم يرم ذلك خطيب، و لا طمع فيه شاعر... فدل ذلك العاقل على عجز القوم مع كثرة كلامهم، و سهولة ذلك عليهم، و كثرة شعرائهم، و كثرة من هجاه منهم، و عارض شعراء أصحابه و خطباء أمته، لأن سورة واحدة و آيات يسيرة كانت أنقض لقوله، و أفسد لأمره، و أبلغ في تكذيبه، و أسرع في تفريق أتباعه من بذل النفوس، و الخروج من الأوطان، و إنفاق الأموال. و هذا من جليل التدبير

الذى لا يخفى على من هو دون قريش و العرب فى الرأى و العقل بطبقات، و لهم القصيد العجيب، و الرجز الفاخر، و الخطب الطوال البليغة، و القصار الموجزة، و لهم الاسجاع و المزدوج، و اللفظ المنثور، ثم يتحدى به أقصاهم بعد أن أظهر عجز أدناهم. فمحال- أكرمك الله- أن يجتمع هؤلاء كلهم على الغلط فى الأمر الظاهر، و الخطأ المكشوف البين، مع التقرير بالنقص، و التوقيف على العجز، و هم أشد الخلق أنفة، و أكثرهم مفاخرة، و الكلام سيد عملهم، و قد احتاجوا اليه،

لمحات فى علوم القرآن و اتجاهات التفسير، ص: ٨٥

و الحاجة تبعث على الحيلة فى الأمر الغامض فكيف بالظاهر الجليل المنفعة؟

فكذلك محال أن يتركوه و هم يعرفونه و يجدون السبيل اليه و هم يبذلون أكثر منه) «١».

*** مدار الاعجاز:

الاعجاز دليل النبى صلى الله عليه و سلم على صدق نبوته، و على أن هذا القرآن تنزيل من حكيم حميد، و مدار الاعجاز الذى رافقه التحدى إنما كان اسلوب القرآن و نظمه و بيانه، و لم يكن لشيء خارج عن ذلك و آيات التحدى كثيرة.

لقد تحدى الانس و الجن أن يأتوا بمثله فعجزوا عن ذلك مع توافر دواعى اعدائه على معارضته و فصاحتهم و بلاغتهم.

قُلْ لَنْ يَجْتَمَعَ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ، وَ لَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً «٢». أم يَقُولُونَ تَقَوْلَهُ بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ. فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ «٣».

ثم تحداهم أن يأتوا بعشر سور من مثله فعجزوا:

أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ. قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ وَ ادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ. فَلَا يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّمَا أَنْزَلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ «٤».

ثم تنازل الى التحدى بسورة من مثله فعجزوا عنه و هم يعلمون عجزهم

(١) الاتقان ١١٧/٢.

(٢) سورة الاسراء: ٨٨.

(٣) سورة الطور: ٣٤.

(٤) سورة هود: ١٣-١٤.

لمحات فى علوم القرآن و اتجاهات التفسير، ص: ٨٦

و تقصيرهم عن ذلك، و أن هذا ما لا- سبيل لأحد إليه أبدا: وَ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ، وَ ادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَ لَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَ الْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ «١».

قال الامام ابن كثير رحمه الله:

(و مثل هذا التحدى انما يصدر عن واثق بأن ما جاء به لا يمكن للبشر معارضته و لا الاتيان بمثله، و لو كان من متقول من عند نفسه لخاف أن يعارض فيفتضح، و يعود عليه نقيض ما قصده من متابعة الناس له.

و معلوم لكل ذى لب أن محمدا صلى الله عليه و سلم من أعقل خلق الله، بل أعقلهم و أكملهم على الاطلاق، فما كان ليقدم على هذا الامر إلاً و هو عالم بأنه لا يمكن معارضته.

و هكذا وقع، فانه من لدن رسول الله صلى الله عليه و سلم و الى زماننا هذا لم يستطع أحد أن يأتى بنظيره و لا نظير سورة منه، و هذا لا سبيل إليه أبدا) «٢».

* أما إخبار القرآن عن الأمم السابقة فدليل على صدق نبوة الرسول صلى الله عليه وسلم، ولكنه ليس هو موضع الإعجاز الذي رافقه التحدى، وذلك كإخباره عن نوح و عاد و ثمود و فرعون و غيرهم: كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ، وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا ذِكْرًا (٣).

ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْقُرَى نَقُصُّ عَلَيْكَ، مِنْهَا قَائِمٌ وَ حَصِيدٌ (٤).

تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ، مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَ لَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ (٥) و قال تعالى مخبرا عن

(١) سورة البقرة: ٢٣ و ما بعدها.

(٢) «البداية و النهاية»: ٦ / ٦٥.

(٣) سورة طه: ٩٩.

(٤) سورة هود: ١٠٠.

(٥) سورة هود: ٤٩.

لمحات في علوم القرآن و اتجاهات التفسير، ص: ٨٧

بهتان اليهود: وَ بَكَرِهِمْ وَ قَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا وَ قَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ، وَ مَا قَتَلُوهُ وَ مَا صَلَبُوهُ، وَ لَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَ إِنَّ الَّذِينَ اِخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ، مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ، وَ مَا قَتَلُوهُ يَقِينًا بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَ كَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا (١).

* و كذلك فان إخبار القرآن عن الغيوب المستقبلية يقوم دليلا على صدق نبوة محمد صلى الله عليه وسلم (٢)، و على أن هذا القرآن من عند الله، و لكنه ليس موضع الإعجاز الذي رافقه التحدى، و ذلك كإخباره عن انتصار الروم على الفرس الم. غَلَبَتِ الرُّومُ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَ هُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ فِي بَضْعِ سِنِينَ (٣). و كإخباره عما سيكون عليه الصحابة عليم أن سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضَى وَ آخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَعُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَ آخَرُونَ يُقاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ (٤) و هذه السورة من أوائل ما نزل بمكة. و كإخباره عن انتصار المسلمين في المستقبل أم يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُنتَصِرُونَ سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَ يُؤْلَوْنَ الدُّبُرَ (٥) و قد وقع مصداق هذه الهزيمة يوم بدر بعد ذلك. و كإخباره بدخولهم المسجد الحرام محلين رءوسهم لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلَنَّ الْمَشْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُؤُوسِكُمْ وَ مُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ (٦) فدخلوه بعد سنة معتمرين، و دخلوه بعد سنتين فاتحين. و كإخباره بالإشارة الموحية عن حدوث و سائط

(١) سورة النساء: ١٥٧-١٥٨.

(٢) ذكر البغدادي في «الفرق بين الفرق» ص ١٢٨ أن من فضائح أبي الهذيل قوله: إن نظم القرآن و حسن تأليف كلماته ليس بمعجزة للنبي صلى الله عليه وسلم و لا دلالة على صدقه في دعواه النبوة، و إنما وجه الدلالة منه على صدقه ما فيه من الإخبار عن الغيوب.

(٣) سورة الروم: ١-٢ و انظر تفصيل هذا الإخبار في كتاب «الاسلام يتحدى» لوحي الدين خان من ص ١٩٤ حتى ص ٢٠٤.

(٤) سورة المزمل: ٢٠.

(٥) سورة القمر: ٤٤-٤٥.

(٦) سورة الفتح: ٢٧.

لمحات في علوم القرآن و اتجاهات التفسير، ص: ٨٨

للنقل جديدة غير الوسائل المعروفة و ذلك في قوله سبحانه وَ الْخَيْلَ وَ الْبُغَالَ وَ الْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَ زِينَةً وَ يَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ (١).

* و كذلك فان ما تضمنه القرآن من الاخبار عن السرائر و دخائل النفوس من غير ان يظهر منهم بقول أو فعل دليل على صدق نبوته، و على ان هذا القرآن من عند الله و لكنه ليس موضع الاعجاز الذي رافقه التحدى، و ذلك كاخباره عن حديث نفس خطر بهم، فأطلع الله عليه نبيه صلى الله عليه و سلم و أنزل قوله: إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا «٢» وَ اللَّهُ وَ إِلَيْهِمَا وَ عَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ «٣» و الطائفتان هما بنو حارثة و بنو سلمة اللتان همتا بالتقاعد عن الخروج يوم أحد. و كاخباره عن قول قاله اليهود في أنفسهم: وَ يَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ لَوْ لَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ. حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصَلُّونَهَا فَيَنْسُ الْمَصِيرُ «٤».

* و كذلك فان احتواء القرآن على شريعته كاملة صالحة لكل زمان و مكان امر يدل على صدق نبوة محمد صلى الله عليه و سلم، و على أن هذا القرآن من عند الله، و لكنه ليس هو موضع الاعجاز الذي رافقه التحدى.

* و كذلك فان اشتغال القرآن على نظرات صائبة الى حقائق الكون، و إشارات صادقة الى بعض الامور العلمية في الكون و الانسان التي كشف عنها العلم الحديث «٥» .. ان ذلك يدل على صدق نبوة محمد صلى الله عليه و سلم، و على ان

(١) سورة النحل: ٨ و أنظر أخبارا أخرى أوردها محمد بن إبراهيم الوزير المتوفى ٨٤٠ في كتابه «البرهان القاطع في إثبات الصانع و جميع ما جاءت به الشرائع» ص ٣٢-٣٣ ط المطبعة السلفية بمصر ١٣٤٩.

(٢) أى أن تجنبا و تضعفا.

(٣) سورة آل عمران: ١٢٢.

(٤) سورة المجادلة: ٨.

(٥) أنظر امثلة عليها في كتب التفسير العلمى. و منها ما نقره و منها ما نرده و نأباه.

لمحات في علوم القرآن و اتجاهات التفسير، ص: ٨٩

هذا القرآن من عند الله، و لكنه ليس هو موضع الاعجاز الذي رافقه التحدى.

* إذن فالاعجاز الذي رافقه التحدى إنما هو فى اسلوب القرآن و نظمه، و ليس فى شىء خارج عن ذلك مما أشرنا اليه آنفا و إن كانت كلها مما يعجز البشر عن ان يأتوا بمثله و هى دليل على صدق النبى صلى الله عليه و سلم و لكن بحثنا عن الإعجاز الذى رافقه التحدى، و قد جلا هذه الفكرة الكاتب الكبير الاستاذ سيد قطب رحمه الله تعالى فقال:

(كيف استحوذ القرآن على العرب هذا الاستحواذ؟ و كيف اجتمع على الاقرار بسحره المؤمنون و الكافرون سواء؟

بعض الباحثين ينظر الى القرآن جملة ثم يجيب. و بعضهم يذكر غير النسق الفنى للقرآن أسبابا اخرى يستمدها من موضوعاته بعد أن صار كاملا:

* من تشريع دقيق صالح لكل زمان و مكان.

* و من إخبار عن الغيب يتحقق بعد أعوام.

* و من علوم كونية فى خلق الكون و الانسان.

و لكن البحث على هذا النحو انما يثبت المزية للقرآن مكتملا، فما القول فى السور القلائل التى لا تشريع فيها و لا غيب و لا علوم، و لا تجمع بطبيعتها الحال كل المزايا المتفرقة فى القرآن.

ان هذه السور القلائل قد سحر العرب بها منذ اللحظة الاولى، و فى وقت لم يكن التشريع المحكم، و لا الاغراض الكبرى هى التى تسترعى إحساسهم و تستحق منهم الاعجاب.

لا بد إذن ان تلك السور القلائل كانت تحتوى على العنصر الذى

لمحات في علوم القرآن و اتجاهات التفسير، ص: ٩٠

يسحر المستمعين و يستحوذ على المؤمنين و الكافرين، و إذا حسب الاثر القرآني في اسلام المسلمين فهذه السور الاولى تفوز منه بالنصيب الأوفى مهما يكن عدد المسلمين من القلة في ذاك الاوان، ذلك أنهم إذ ذاك تأثروا بهذا القرآن وحده يجب إذن ان نبحث عن منبع السحر في القرآن قبل التشريع المحكم، و قبل النبوءة الغيبية، و قبل العلوم الكونية.

فقليل القرآن الذي كان في أيام الدعوة الأولى كان مجردا من هذه الأشياء التي جاءت فيما بعد، و كان مع ذلك محتويا على هذا النبع الأصيل الذي تذوقه العرب فقالوا: إن هذا إلّا سحر يؤثر) (١).

و قال أيضا:

(قصة تولى الوليد بن المغيرة واردة في سورة المدثر، و هي السورة الثالثة غالبا في ترتيب النزول، سبقتها العلق و سورة المزمل، أو هي على العموم من السور الأولى في القرآن. فلننظر في هذه السور، إننا نقرأ الآيات المكية في هذه السور فلا نجد تشريعا محكما و لا علوما كونية و لا نجد إخبارا بالغيب. فأين هو السحر الذي تحدث عنه ابن المغيرة بعد التفكير و التقدير؟) (٢).

ثم أخذ الاستاذ سيد قطب في تحليل سورة العلق و سورة المزمل ليؤكد ما ذكره من أن موضوع الجمال الفني هو الذي سحر العرب، و هو بالتالي الذي كان موضع الإعجاز.

ثم عمد إلى النظر بشكل عام و إجمالي في الآيات و السور التي سبقت في النزول سورة طه، ذلك لان آيات من هذه السورة كانت السبب في إيمان عمر بن الخطاب الذي سحر بالقرآن و جماله.

(١) «التصوير الفني في القرآن» ص ١٧-١٨.

(٢) «التصوير الفني في القرآن» ص ١٨-١٩.

لمحات في علوم القرآن و اتجاهات التفسير، ص: ٩١

قال الاستاذ سيد قطب:

(و اننا لننظر فلا نجد فيها جميعا الا القليل من تلك الاغراض التي يراها بعض الباحثين أكبر مزايا القرآن، و لكننا نجد في هذه السور جمالا في العرض، و قوة في الاداء، و ايقاعا في العبارة، و إيحاء في الاشارة، على نحو فريد.

و نجد القضية الاعتقادية التي تتولى عرضها معروضة في إطار من مشاهد الكون و مشاعر النفس تستجيش الحس و تستنهض الخيال) (١).

و هكذا أثبت الاستاذ سيد بالدليل الملزم أن إعجاز القرآن الذي رافقه التحدي، و كان معه هذا الاعجاب و السحر إنما كان بلفظه و نسقه و بيانه و نظمه، و ليس بشيء خارج عن ذلك (٢).

و من المعلوم أن العرب لم يستطيعوا أن يأتوا بشيء مما تحداهم، مع ما نعلم من حرصهم على ان يقطعوا حجته، و من لددهم في الخصومة، و مع ما نعرف من فصاحتهم و قدرتهم على البيان فلما عجزوا عن معارضته و الاتيان بسورة تشبهه على كثرة الخطباء فيهم و البلغاء، نادى عليهم باظهار العجز بالآية التي سبق أن اوردناها، و هي قوله تعالى: قُلْ لئن اجتمعتِ الأنسُ و الجنُّ على أن يأتوا بمثلِ هذا القرآنِ لا يأتونَ بمثلهِ و لو كانَ بعضهم لبعضٍ ظهيرا (٣).

بل لم ينقل عن أحد منهم أنه حدث نفسه بشيء من ذلك، لأنهم كانوا من المعرفة على جانب يصددهم عن مثل هذه المحاولة الحمقاء، و كذلك كانوا أمناء على البلاغة لا يغالطون فيها و لا يكابرون، فعدلوا الى المعاندة

(١) «التصوير الفني في القرآن» ص ٢٣.

(٢) و انظر أيضا مقدمة استاذنا محمود محمد شاكر لكتاب «الظاهرة القرآنية» لمالك بن نبي رحمه الله.

(٣) سورة الاسراء: ٨٨.

لمحات في علوم القرآن و اتجاهات التفسير، ص: ٩٢

و الاستهزاء، و الى أن يقولوا: إن هذا إلهٌ أساطيرُ الأولين «١» أو أن يقولوا: إن هذا إلهٌ سحرٌ يُؤثر «٢».

ثم بعد ذلك ارتضوا أن يحكموا السيف في أعناقهم، و سبى ذراريهم و حرّمهم، و استباحة أموالهم .. فلو علموا أن الاتيان بمثله في قدرتهم لبادروا إليه لأنه كان أهون عليهم.

القول بالصرفة:

زعم النظام «٣»، و هو من ائمة المعتزلة في العصر العباسي، أن الله تعالى صرف العرب عن معارضته، و كان مقدورا لهم.

و قد أنكر هذا القول الباطل «٤» جمهرة علماء اللغّة و الدين، و تولوا الرد عليه منذ أيام الجاحظ ثم القاضي عبد الجبار المعتزلي «٥» حتى العصر الحاضر، و نورد فيما يأتي طائفة من أقوال العلماء في استنكار هذا الرأي.

* قال الباقلاني رحمه الله:

(على أن ذلك لو لم يكن معجزا على ما وصفناه من جهة نظمه الممتنع لكان مهما حط من رتبة البلاغة فيه، و وضع من مقدار الفصاحة في نظمه، كان أبلغ في الأعجوبة إذا صرفوا عن الاتيان بمثله، و منعوا عن معارضته، و عدلت دواعيهم عنه، فكان يستغنى عن انزاله على النظم البديع، و اخراجه

(١) سورة الانفال: ٣١.

(٢) سورة المدثر: ٢٥.

(٣) هو إبراهيم بن سيار، أبو اسحاق النظام، توفي سنة ٢٣١ هـ.

(٤) بل نقل الإمام عبد الواحد التميمي في كتابه «اعتقاد الإمام المنبل أبي عبد الله أحمد ابن حنبل» أن الإمام أحمد [كان يكفر من يقول: إن القرآن مقدور على مثله، و لكنّ الله تعالى منع من قدرتهم. بل هو معجز في نفسه، و العجز قد شمل الخلق] انظر «طبقات الحنابلة» ٢/ ٣٠٢.

(٥) قال محمود محمد شاكر في مقدمته لكتاب «دلائل الاعجاز» ص ٥:

[لأن القاضي عبد الجبار نفسه، و هو إمام المعتزلة في زمانه، ردّ مقاله «الصرفة» و نقضها في كتاب «المغنى» ١٦/ ٣٢٣-٣٢٨].

لمحات في علوم القرآن و اتجاهات التفسير، ص: ٩٣

في المعرض الفصيح العجيب، على أنه لو كانوا صرفوا لم يكن من قبلهم من أهل الجاهلية مصروفين عما كان يعدل به في الفصاحة و البلاغة و حسن النظم و عجب الرصف .. فلما لم يوجد في كلام من قبله مثله علم أن ما ادعاه القائل بالصرفة ظاهر البطلان ... و مما يبطل ما ذكره من القول بالصرفة أنه لو كانت المعارضة ممكنة، و إنما منع منها الصرفة لم يكن الكلام معجزا، و إنما يكون المنع هو المعجز، فلا يتضمن الكلام فضيلة على غيره في نفسه «١».

* و قال ابن تيمية رحمه الله:

(و من أضعف الاقوال قول من يقول من أهل الكلام: إنه معجز بصرف الدواعي مع قيام الموجب لها، أو بسلب القدرة الجازمة، و هو أن الله صرف قلوب الامم عن معارضته مع قيام المقتضى التام، أو سلبهم القدرة المعتادة في مثله سلبيًا عاما) «٢» ثم قال: (الصواب المقطوع به ان الخلق كلهم عاجزون عن معارضته لا يقدرّون على ذلك، و لا يقدر محمد نفسه من تلقاء نفسه على أن يبدل سورة من القرآن، بل يظهر الفرق بين القرآن و بين سائر كلامه لكل من له أدنى تدبر) «٢».

* وقال ابن كثير رحمه الله:

«و أما من زعم من المتكلمين ان الإعجاز إنما هو من صرف دواعي الكفرة عن معارضته مع امكان «٤» ذلك، أو هو سلب قدرتهم على ذلك فقول باطل» «٥» ثم قال:
 «فالخلق كلهم عاجزون حقيقة و في نفس الأمر عن الإتيان بمثله، و لو تعاضدوا و تناصروا على ذلك، لا تقدر الرسل الذين هم أفصح الخلق

(١) «اعجاز القرآن» تحقيق السيد صقر ص ٢٩ - ٣٠.

(٢) «الجواب الصحيح» ٧٦ / ٤.

(٤) في الاصل: (مع انكار ذلك) و هو تصحيف.

(٥) «البداية و النهاية» ٦٩ / ٦.

لمحات في علوم القرآن و اتجاهات التفسير، ص: ٩٤

و أعظم الخلق و أكملهم أن يتكلموا بمثل كلام الله. و هذا القرآن الذي يبلغه الرسول صلى الله عليه و سلم عن الله أسلوب كلامه لا يشبه أساليب كلام رسول الله صلى الله عليه و سلم (... «١»).

* و قال الدكتور محمد عبد الله دراز رحمه الله:

«هذا هو القول بالصرفة الذي اشتهر عن النظام من المعتزلة، و هو و ان كان اعترافا في الجملة بصحة الإعجاز إلا أنه لا يقول به إلا أعجمي و شبهه ممن لم يذق للبلاغة طعما، و لذلك لم يتابعه عليه تلميذه الجاحظ، و لا أحد من علماء العربية، و هو يعد خلاف ما عرف العرب من أنفسهم كما سنبينه» «٢».

* و قال الاستاذ سيد قطب رحمه الله:

«أما الرأي القائل بصرفهم عن المحاولة فليس له وزن يقام» «٣».

* و قد لخص السيوطي الأفكار التي يتضمنها الرد بأربعة:

١- قوله تعالى: قُلْ لئن اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَ الْجِنُّ ... «٤» يدل على عجزهم مع بقاء قدرتهم، و لو سلبوا القدرة لم تبق فائدة لاجتماعهم، لأنهم عندئذ يكونون كالموتى، و ليس عجز الموتى مما يحتفل بذكره.

٢- أجمع العلماء على ان الإعجاز مضاف إلى القرآن. فكيف يكون معجزا و ليس فيه صفة إعجاز؟ بل المعجز هو الله تعالى حيث سلبهم القدرة.

٣- يلزم من القول بالصرفة زوال الإعجاز بزوال زمن التحدي.

(١) «البداية و النهاية» ٦٩ / ٦.

(٢) «النبا العظيم» ص ٨٩ و اقرأ الرد على هذا القول ص ٦٢ من المصدر نفسه.

(٣) «التصوير الفني في القرآن» ص ١٥.

(٤) سورة الاسراء: ٨٨.

لمحات في علوم القرآن و اتجاهات التفسير، ص: ٩٥

و يخلو القرآن عندئذ من الإعجاز. و في ذلك خرق لإجماع الأمة ان معجزه الرسول العظمى باقية، و لا معجزه له باقية سوى القرآن.
 ٤- لو كانت المعارضة ممكنة و انما منع منها الصرفة لم يكن الكلام معجزا، و إنما يكون بالمنع معجزا، فلا يتضمن الكلام فضيلة على

غيره في نفسه «١».

*** تلخيص:

و نستطيع أن نلخص - فيما يأتي - الأمور التي لا بد من معرفتها في موضوع الإعجاز:

- ١- قليل القرآن و كثيره في شأن الإعجاز سواء.
- ٢- الإعجاز في أسلوب القرآن و نظمه و بيانه. و خصائصه الفنية مباينة للمعهود من خصائص البيان البشري.
- ٣- ما في القرآن من إخبار بالغيب و حديث عن الماضي بدقائقه و تفصيلاته، و إخبار بدخائل النفس و أسرارها، و كشف عن حقائق علمية و كونية، و إحكام في التشريع يضمن مصالح الناس ... كل ذلك بمعزل عن هذا التحدى المفضى إلى الإعجاز و إن كان دليلاً على انه من عند الله، و لكنه لا يدل على ان نظمه و بيانه مابين لنظم كلام البشر و انه بهذه المباينة كلام رب العالمين «٢».
- ٤- العرب الذين تحداهم القرآن هم أئمة البيان و الفصاحة، و لديهم

(١) «الاتقان» ١١٨ / ٢ و انظر في الرد على القائلين بالصرفة «نكت الانتصار» للصيرفي ص ٢٨٦ و كتاب «لوامع الانوار البهية» للسفاري ص ١٧٤ / ١.

(٢) انظر مقدمه محمود محمّد شاکر لكتاب «الظاهرة القرآنية».

لمحات في علوم القرآن و اتجاهات التفسير، ص: ٩٦

القدرة على تمييز ما كان من كلام البشر، و ما ليس من كلامهم، و قد أدركوا أنهم بالتحدى طولبوا بأن يأتوا بمثل هذا الكلام.

٥- إن هذا التحدى لم يقصد به الإتيان بمثل معاني القرآن، بل قصد أن يأتوا بما يستطيعون افتراءه و اختلاقه من كل معنى أو غرض مما يعتلج في نفوس البشر.

٦- هذا التحدى مستمر إلى يوم القيامة و موجه الى الثقلين أيضاً.

٧- و أخيراً فإن العرب الذين نزل عليهم هذا القرآن كانوا يحسون بجماله و يدركون إعجازه، و استمر الأمر كذلك جيلين من الناس الى أن داخلت العجمة سواد الناس فأفسدت سلاتنهم، و بدأت العلوم و المعارف الدخيلة تتسرب إلى حياتهم، و قام دجالون مغرضون يريدون تشويه حقيقته الإسلام و ساعدهم على تحقيق غرضهم بعد الناس عن تذوق القرآن و كان من هؤلاء الجعد بن درهم «١» الذى كان يقول بخلق القرآن و ينفى عن الله ما أثبت لنفسه من صفات فى القرآن، ثم جاء النظام إبراهيم بن سيار فقال بالصرفة. ورد عليه الجاحظ فى كتابه «نظم القرآن».

و قد أكثر المعتزلة من إثارة قضية إعجاز القرآن، و كذلك فإن عددا من علماء أهل السنة المتذوقين للبيان العربى كتبوا فى ذلك من أمثال الإمام عبد القاهر الجرجانى «٢» و الرازى «٣» و الزملى «٤».

(١) هو مبتدع له آراء ضالة و ذكره بعضهم فى الزنادقة. قتله خالد بن عبد الله القسرى سنة ١١٨ هـ. و انظر «الميزان» ١ / ٣٩٩ و «البدایة و النهایة» ٩ / ٣٥٠ و «لسان الميزان» ٢ / ١٠٥ و «تاریخ الجهمیة و المعتزلة» لجمال الدين القاسمى ص ٣٦-٣٧ ط مؤسسة الرسالة ١٤٠١ (١٩٨١).

(٢) هو الامام الكبير واضح اسس البلاغة، و الذواقه عبد القاهر الجرجانى المتوفى سنة ٤٧١ هـ.

(٣) هو محمد بن عمر التيمى البكرى المتوفى سنة ٦٠٦ هـ صاحب التفسير.

(٤) هو عبد الواحد بن عبد الكريم بن خلف الانصارى الزملى المتوفى سنة ٦٥١ هـ.

لمحات في علوم القرآن و اتجاهات التفسير، ص: ٩٧

و من الكتب المؤلفة في القرنين الرابع و الخامس عن إعجاز القرآن:

كتاب الرماني و هو «النكت في إعجاز القرآن» (١) و مؤلفه هو علي بن عيسى الرماني المتوفى ٣٨٤ هـ، و كتاب الخطابي و هو «بيان إعجاز القرآن» (١) و مؤلفه هو حمد بن محمد الخطابي المتوفى سنة ٣٨٨ هـ و كتاب الباقلاني و هو «إعجاز القرآن» (٣) و مؤلفه هو أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني المتوفى سنة ٤٠٣ هـ. و كتب الجرجاني و هي «الرسالة الشافية في إعجاز القرآن» (١) و «دلائل الإعجاز» (٥) و «اسرار البلاغة» (٥) و مؤلفها هو الامام المشهور عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني المتوفى سنة ٤٧١.

ترجمة القرآن:

هذا و إن مما يتصل بموضوع إعجاز القرآن و سمو بيانه موضوع ترجمة القرآن و الحق في هذه المسألة التي كثر الأخذ و الرد فيها ان نقرر ان ترجمة القرآن أمر مستحيل، لأن أي نص بليغ تتعذر ترجمته في أي لغة من لغات الأرض فما القول بالكلام الآلهي المعجز؟ أما تفسير معاني آياته بغير اللغة العربية فأمر لا مانع منه، بل إنه واجب، و لكنه لا يسمى قرآنا بحال من الأحوال (٧).

(١) طبع هذا الكتاب في دار المعارف بمصر تحت عنوان «ثلاث رسائل في إعجاز القرآن» بتحقيق محمد خلف الله و محمد زغلول

سلام. ثم أعاد تحقيق هذا الكتاب محمود محمد شاكر و ألحقه بنشرته لكتاب «دلائل الاعجاز» للجرجاني من ٥٧٥ إلى ٦٢٨.

(٣) طبع أكثر من مرة، و من أجود طبعاته طبعه السيد صقر.

(٥) طبع أكثر من مرة، و أجود طبعاته طبعه محمود محمد شاكر التي صدرت عام ١٤٠٤.

(٧) انظر في ترجمة القرآن: «تفسير الرازي» ٢٠٩ / ١ و «الموافقات» للشاطبي و مقال محمد الخضر حسين في ترجمة القرآن مجلة نور

الاسلام السنة الثانية ١٣٥٠ (١٩٣١ م) و «بلاغة القرآن» لمحمد الخضر حسين جمع على الرضا التونسي طبع دمشق (١٣٩١) ١٢-٢١ و

٦٠-٦٣ و «الفرقدان النيران في بعض المباحث المتعلقة بالقرآن» للشيخ محمد سعيد الباني و «القول الفصل في ترجمة القرآن إلى

اللغات الاعجمية» للشيخ محمد شاكر طبع مصر سنة ١٣٤٣ هـ و «مسألة ترجمة القرآن» لمصطفى صبرى، و «حدث الاحداث

لمحات في علوم القرآن و اتجاهات التفسير، ص: ٩٨

في الاسلام الاقدام على ترجمة القرآن» لمحمد سليمان و «الادلة العلمية على جواز ترجمة معاني القرآن إلى اللغات الأجنبية» لمحمد

فريد و جدى و «مناهل العرفان» ٣/٢-٦٩ و انظر ما كتبه محمد مصطفى المراغى شيخ الجامع الازهر في كراسه أعاد نشرها في بيروت

سنة ١٤٠١ هـ (١٩٨١ م) صلاح الدين المنجد بعنوان «بحث في ترجمة القرآن و أحكامها» و انظر «مجلة الأزهر» المجلد السابع و

«المعجزة الكبرى» لمحمد أبو زهرة ٦١١-٦١٩ و «ترجمة القرآن الكريم غرض للسياسة و فتنه في الدين» لمحمد الهياوى و «ترجمة

القرآن» لعبد الله شحادة.

لمحات في علوم القرآن و اتجاهات التفسير، ص: ٩٩

الباب الثاني تاريخ جمع القرآن

إشارة

ستحدث في هذا الباب عن كتابة القرآن في عهد النبي صلى الله عليه و سلم، ثم عن جمعه في صحف، أيام أبي بكر، ثم عن نسخه

في مصاحف أئمة، أيام عثمان، و سنتحدث أيضا عن كتابة المصحف و تطورها، و عن جواز كتابته بالإملاء المصطلح عليه بين الناس، و عن نشره و طباعته.

لمحات في علوم القرآن و اتجاهات التفسير، ص: ١٠١

الفصل الأول في كتابة القرآن في عهد النبي صلى الله عليه و سلم

كان رسول الله صلى الله عليه و سلم أميا لا يقرأ و لا يكتب، و قد وصفه القرآن الكريم بأنه أمي فقال عز و جل: فَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَ رَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ «١».

و كان صلى الله عليه و سلم حريصا على حفظ ما ينزل عليه حرصا جعله يسابق الملك و يعجل بتلاوة ما انزل عليه قبل أن يفرغ و يحرك به لسانه و شفثيه «٢» حتى نزل عليه قوله تعالى: لا- تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَ قُرْآنَهُ. فَإِذَا قَرَأْتَهُ فَتَّبِعْ قُرْآنَهُ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ «٣» جاء في صحيح البخارى و مسلم و غيرهما عن ابن عباس: (ان علينا أن نبينه بلسانك. قال:

و كان إذا أتاه جبريل أطرق فإذا ذهب قرأه كما وعده الله) «٢». و قال تعالى: فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَ لَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَ قُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا «٥».

و كان صلى الله عليه و سلم يخشى أن ينسى شيئا منه حتى تعهد الله له بعدم نسيان شيء منه و ذلك بقوله سبحانه: سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنْسَى «٦» أى لا تتعب

(١) سورة الأعراف: ١٥٨.

(٢) رواه البخارى ١٦٠ / ٦ و مسلم ٣٥ / ٢ و الترمذى ٢٠٩ / ٤ من «تحفة الاحوذى».

(٣) سورة القيامة: ١٦-١٩.

(٤) سورة طه: ١١٤.

(٥) سورة الأعلى: ٦.

لمحات في علوم القرآن و اتجاهات التفسير، ص: ١٠٢

نفسك و لا تعجل بالقراءة انك لا تنسى «١».

و كان صلى الله عليه و سلم إذا ما انتهى الوحي تلا الآيات التى أنزلت و أمر كتبه الوحي بكتابتها بين يديه فيكتبونها. و كانوا يكتبون على الرقاع و العصب و اللخاف و العظام «٢».

و كتاب الوحي عديدون أحصى أسماءهم عدد من العلماء و كان من أكثرهم استيعابا الحافظ العراقى إذ ذكر اثنين و أربعين كاتباً لرسول الله صلى الله عليه و سلم «٣» و عدهم البرهان الحلبي فى (حواشى الشفا) فأوصلهم الى ثلاثة و أربعين «٤». و من أشهرهم الخلفاء الأربعة و معاوية بن أبى سفيان و زيد بن ثابت و أبى بن كعب. و ليس من شك فى أن كتبه الوحي فى مكة كانوا أقل عددا من كتبه الوحي فى المدينة، كما كانت مهمة الكتابة ذاتها لم تأخذ طابعها الرسمى الذى أخذته فى المدينة. و مهما يكن من أمر فمن المقطوع به أن الكتابة بدأت مع تنزل الوحي، و أن الصحابة كانوا يكتبون الآيات القرآنية فى رقاع و مخطوطات شخصية لاستعمالهم، و إننا لنقرأ فى

(١) انظر «المرشد الوجيز» ص ٢٩-٣٠ و «تفسير الجلالين» سورة الأعلى.

(٢) الرقاع: تكون من الجلد و الرق و الكاغد. و العصب: الاطراف العريضة من جريد النخل كانوا يكشفون الخوص و يكتبون فى

الطرف العريض. و اللخاف: صفائح الحجارة و هي جمع لخفة. و العظام معروفة و أشهرها الاكتاف كما جاء في رواية أخرى. و انظر شرحها في «فتح الباري» ٩/ ٢٢ و «الاتقان» ١/ ٥٨.

(٣) انظر «شرح الالفية في السيرة» ص ٤٤ و «التراتب الادارية» للكتاني ١/ ١١٦.

(٤) «التراتب الادارية» للكتاني ١/ ١١٧ و انظر في كتاب الوحي «تاريخ دمشق» لابن عساكر و «بهجة المحافل» لابن عبد البر، و «الاستيعاب» له عند ترجمة زيد، و «عيون الأثر» لابن سيد الناس ١/ ٣١٥ ط القدسي ١٣٥١ و «إمتاع الاسماع» للمقریزی ١/ ١٠١ و «فتح الباري» ٩/ ٢٣ و «تهذيب الأسماء و اللغات» للنووي ١/ ٢٩ و «المرشد الوجيز» ٤٦ و «كتاب النبي» لمحمد مصطفى الأعظمي و «تفسير القرطبي» ١٣/ ٣٥٣ و «حاشية الشبراملسي على المنهج» عند كتاب القضاء و «حواشي الشفا» للبرهان الحلبي و «المطالع النصرية» للهوريني ص ١٤ و «عنوان البيان في علوم التبيان» لمحمد حسنين مخلوف ص ٦٨.

لمحات في علوم القرآن و اتجاهات التفسير، ص: ١٠٣

السيرة ان إسلام عمر كان بسبب قراءته آيات و جدها مكتوبة عند اخته «١».

إن عدد كتبه الوحي قليل بالنسبة الى جماهير المسلمين القراء الذين كانوا يحفظون القرآن بعد أن يتلقوه مشافهة من الرسول صلى الله عليه و سلم، و الذين كانوا يرددون آياته آناء الليل و أطراف النهار، فنحن نقرأ في أخبارهم أن القرآن ملأ حياتهم كلها، فإذا أوا إلى المسجد كانت تلاوة القرآن ديدنهم، و إذا سحب الليل بثيابه السود على الأرض قاموا في هدوء الليل يتهجدون بالقرآن تسمع لهم دويابا و حيناً.

إن من المؤكد المقطوع به أن القرآن كتب كله في عهد رسول الله صلى الله عليه و سلم لكنه لم يكن مجموعاً في موضع واحد. قال زيد بن ثابت عن القرآن:

(و قبض النبي صلى الله عليه و سلم و لم يكن جمع في شيء) «٢» و ذلك لما نعلم من أن سور القرآن كان معظمها مفتوحاً و معرضاً لأن تنزل آيات توضع في بعضها، إذ ثبت كما مر أن الرسول صلى الله عليه و سلم كان يأمر الكتبة أن: «ضعوا الآية بعد آية كذا من السورة التي يذكر فيها كذا و كذا» «٣» و لما كان يتوقع من ورود ناسخ لبعض احكامه أو تلاوته. فلما انقضى نزوله بوفاته ألهم الله الخلفاء الراشدين ذلك و فاء بوعده الصادق بضمان حفظه على هذه الأمة «٤».

(١) انظر «سيرة ابن هشام» ٢/ ٩٥ و «البداية و النهاية» ٣/ ٧٩ و انظر «مدخل الى القرآن الكريم» لمحمد عبد الله دراز ص ٣٤-٣٥.

(٢) انظر «فتح الباري» ٩/ ٩ و «الاتقان» ١/ ٥٧.

(٣) انظر «السنن الكبرى» ٢/ ٤٢ و المراجع التي سبق أن ذكرتها في الفصل السادس في ترتيب آيات القرآن و سوره. و انظر مقدمة تفسير سورة التوبة في «ظلال القرآن» ١٠/ ١١١ من المجلد الرابع.

(٤) هذا قول الخطابي. و انظره في «الاتقان» ١/ ٥٧.

لمحات في علوم القرآن و اتجاهات التفسير، ص: ١٠٤

الفصل الثاني كتابته في عهد أبي بكر

كان جمع القرآن في موضع واحد في عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه، و ذلك بعد معركة اليمامة التي كانت سنة ١٢ هـ «١»، و قد قتل فيها كثيرون كان عدد كبير منهم من القراء، جاء في خبر هذه المعركة- كما يروى الطبري- أنه (قتل من المهاجرين و الأنصار من أهل قصبه المدينة يومئذ ثلاثمائة و ستون. قال سهل: و من المهاجرين من غير أهل المدينة و التابعين ثلاثمائة) «٢» و قال: زيد بن طلحة: قتل يوم اليمامة من قریش سبعون، و من الأنصار سبعون، و من سائر العرب خمسمائة «٣». و في البخاري عن قتادة قال:

(ما نعلم حيا من أحياء العرب أكثر شهيدا و أعز يوم القيامة من الأنصار).

قال قتادة: (حدثنا أنس أنه قتل منهم يوم أحد سبعون، و يوم بئر معونة سبعون و يوم اليمامة سبعون) «٤».

(١) هذا قول، و هناك قول آخر أنها كانت سنة ١١ و الجمع بينهما ان ابتداءها كان في سنة ١١ و الفراغ منها كان في سنة ١٢.

(٢) انظر «تاريخ الطبري» ٣/ ٢٩٦ و «البداية و النهاية» ٦/ ٣٢٥.

(٣) «مختصر السيرة» لعبد الله بن محمد بن عبد الوهاب ص ٤٧٥.

(٤) و انظر «البداية و النهاية» ٦/ ٣٢٣ و ما بعدها. و انظر «صحيح البخاري».

لمحات في علوم القرآن و اتجاهات التفسير، ص: ١٠٥

و يروى لنا قصة جمع القرآن زيد بن ثابت فيقول:

(أرسل إليّ أبو بكر بعد مقتل أهل اليمامة، فإذا عمر عنده، فقال أبو بكر: إن عمر أتاني فقال: إن القتل استحرّ «١» يوم اليمامة بقراء

القرآن و إنني أخشى أن يستحرّ القتل بالقراء في المواطن، فيذهب كثير من القرآن).

فقلت لعمر: كيف نفعل شيئا لم يفعله رسول الله صلى الله عليه و سلم؟

قال عمر: هو و الله خير.

فلم يزل يراجعني حتى شرح الله صدرى لذلك. قال أبو بكر يخاطب زيدا:

إنك شاب عاقل لا نتهمك، و قد كنت تكتب الوحي لرسول الله صلى الله عليه و سلم فتتبع القرآن فاجمعه.

فو الله «٢» كلفوني نقل جبل من الجبال ما كان أثقل عليّ مما أمرني به من جمع القرآنت: كيف يفعلون شيئا لم يفعله رسول الله

صلى الله عليه و سلم؟

قال: هو و الله خير.

فلم يزل يراجعني حتى شرح الله صدرى للذى شرح الله له صدر أبي بكر و عمر. قال زيد: فتتبع القرآن أجمعه من العسب و

الللخاف و صدور الرجال ... و كانت الصحف عند أبي بكر حتى توفاه الله، ثم عند عمر حياته، ثم عند حفصة بنت عمر) «٣».

(١) أى اشتد.

(٢) هذا من كلام زيد.

(٣) الحديث رواه البخاري في «صحيحه» ٦/ ١٥٠ و الترمذى ٤/ ١٢٢ و البيهقي في «السنن الكبرى» ٢/ ٤١ و قد نقله الزركشى في

«البرهان» ١/ ٢٣٣ و السيوطى في «الاتقان»

لمحات في علوم القرآن و اتجاهات التفسير، ص: ١٠٦

و فى كلام أبى بكر رضى الله عنه ذكر للدوافع التى حملته على ترشيح زيد لهذا العمل. و قد ذكرها ابن حجر فى «الفتح» فقال:

(ذكر له أربع صفات مقتضية خصوصيته بذلك:

١- كونه شابا، فيكون أنشط لما يطلب منه.

٢- و كونه عاقلا، فيكون أوعى له.

٣- و كونه لا يتهم، فتركن النفس إليه.

٤- و كونه كان يكتب الوحي، فيكون أكثر ممارسة له.

و هذه الصفات التى اجتمعت له قد توجد فى غيره لكن مفرقة) «١».

و تدل الروايات العديدة أن عمر بن الخطاب ساعد زيدا مساعداً تاماً في هذا الموضوع، و لا عجب في ذلك، فإنه صاحب الفكرة و هو الذي اقترحها على أبي بكر رضى الله عنهما. جاء في «كتاب المصاحف» (٢) لابن أبي داود أن أبا بكر قال لعمر و زيد: اقعدا على باب المسجد، فمن جاء كما بشاهدين على شيء من كتاب الله فاكتباه (٣).
و قد فسره الشيخ علم الدين أبو الحسن على بن محمد بن عبد الصمد السخاوى المتوفى سنة ٦٤٣ هـ في كتابه «جمال القراء و كمال الاقراء» بأن المراد أنهما يشهدان على أن ذلك المكتوب كتب بين يدي رسول الله صلى الله عليه و سلم.

عنه ٥٧ / ١ و انظر أيضاً في «جامع الاصول» ٥٣ / ٣. و ذكر محمد عبد الله دراز رحمه الله في كتابه «مدخل الى القرآن الكريم» ص ٣٦ هذه الرواية و علق عليها قائلاً: (بعد أن أورد لوبلوا LEBLOIS هذه الرواية أردف قائلاً: من ذا الذي لم يتمن لو أن أحداً من تلاميذ عيسى الذين عاصروه قام بتدوين تعاليمه بعد وفاته مباشرة) قال ذلك في كتابه «القرآن و التوراة العبرية» ص ٤٧ مذكراً ٥.
(١) «فتح الباري» ١٣ / ٩.

(٢) كتاب «المصاحف» ص ٦.

(٣) قال ابن حجر في «فتح الباري» ١٥ / ٩: و رجاله ثقات مع انقطاعه.

لمحات في علوم القرآن و اتجاهات التفسير، ص: ١٠٧

و كان غرضهم - على ما يقول ابو شامة - أن لا يكتب إلا من عين ما كتب بين يدي النبي صلى الله عليه و سلم لا من مجرد الحفظ (١).

و يدل هذا على زيادة في التحري، و مبالغة في الاحتياط، فزيد حافظ للقرآن و قد أوتى حظاً كبيراً من المعرفة بكتاب الله، و مع ذلك فلم يكن يكتفى بأن يوافق حفظ غيره حفظه، بل كان يطلب مع ذلك شيئاً مكتوباً، و يطلب من يشهد له على أن هذه الكتابة كانت بين يدي النبي صلى الله عليه و سلم أى لم يكن يكتفى بمجرد وجدانه مكتوباً حتى يشهد به من تلقاه سماعاً (٢).
قال الليث بن سعد: «أول من جمع القرآن أبو بكر، و كتبه زيد.

و كان الناس يأتون زيد بن ثابت، فكان لا يكتب آية إلا بشاهدى عدل» (٣) و نقل السيوطى عن كتاب «المصاحف» أن عمر قال: من كان تلقى من رسول الله صلى الله عليه و سلم شيئاً من القرآن فليأت به و كانوا يكتبون ذلك في الصحف و الألواح و العسب، و كان لا يقبل من أحد شيئاً حتى يشهد شهيدان و هذا يدل على أن زيدا كان لا يكتفى بمجرد وجدانه مكتوباً حتى يشهد به من تلقاه سماعاً مع كون زيد كان يحفظ القرآن، فكان يفعل ذلك مبالغة في الاحتياط (٤).

و نقل ابن حجر في «فتح الباري» (٥) عن كتاب «المصاحف» (٦) ثناء على بن أبي طالب على صنيع أبي بكر رضى الله عنهما فقال: (و يؤيده ما

(١) «الاتقان» ٥٨ / ١ و انظر «المرشد الوجيز» ٥٧.

(٢) انظر «المصاحف» لابن ابى داود ص ٥ و قد نقل ذلك عنه السيوطى في «الاتقان» ٥٧ / ١.

(٣) «الاتقان» ٥٨ / ١.

(٤) «الاتقان» ٥٨ / ١.

(٥) «فتح الباري» ١٢ / ٩.

(٦) انظر «كتاب المصاحف» ص ٥.

لمحات في علوم القرآن و اتجاهات التفسير، ص: ١٠٨

أخرجه ابن أبي داود في «المصاحف» باسناد حسن عن عبد خير قال:

سمعت عليا يقول: أعظم الناس أجرا أبو بكر رحمة الله على أبي بكر، هو أول من جمع كتاب الله).

إذن فقد تولى أمر الجمع أحد كتاب الوحي الثقات العارفين، و هو زيد ابن ثابت الأنصاري، الذي كان من أكثر الناس حفظا للقرآن، و كان يساعده في ذلك عمر بن الخطاب رضى الله عنه، و كانت خطتهما التوثق من نقل ما كتب بين يدي النبي صلى الله عليه و سلم مما يحفظانه، و أن يشهد الثقات العدول بأن الكتابة كانت على مرأى من الرسول صلى الله عليه و سلم.

و كانت الكتابة على قراطيس و صحف كما جاء في «الاتقان» (١) (عن ابن عمر قال: جمع أبو بكر القرآن في قراطيس). و جمعت هذه الصحف في مكان واحد بعد أن كانت على عصب و لخاف و رقاع و أكتاف في أمكنة متعددة. و قد بذل زيد جهودا ضخمة إذ أنه استطاع انجاز ذلك في سنة و في خلافة أبي بكر رضى الله عنه.

و يظهر أنه كان الى جانب هذا العمل الرسمي الذي تولته الدولة محاولات فردية من قبل بعض الصحابة، فقد جمع القرآن في صحف الصحابي الجليل أبي بن كعب، و كذلك فعل المقداد بن عمرو، و عبد الله ابن مسعود، و أبو موسى الأشعري. فقرأ أهل دمشق على نسخة أبي و أهل حمص على نسخة المقداد و أهل الكوفة و البصرة على نسختي عبد الله بن مسعود و أبي موسى الأشعري.

و بعد أن انتهى زيد من عملية الجمع سلم ما جمعه الى الخليفة أبي بكر الذي احتفظ به الى أن توفي فآلت هذه الصحف الى الخليفة عمر لأن أبا

(١) «الاتقان» ١/ ٥٩ و «الفتح» ٩/ ١٦ و أورد أبو شامة قريبا من هذا الخبر في «المرشد الوجيز» ٥٩-٦٢-٦٤-٧٠.

لمحات في علوم القرآن و اتجاهات التفسير، ص: ١٠٩

بكر عهد بها إليه لأنه المرشح للخلافة، ثم قام عمر بتسليمها الى ابنته حفصة أم المؤمنين في آخر حياته لأن الخليفة الثالث لم يكن قد بويح في ذلك الوقت (١).

(١) «المدخل الى القرآن الكريم» ص ٣٧.

لمحات في علوم القرآن و اتجاهات التفسير، ص: ١١٠

الفصل الثالث نسخ المصاحف أيام عثمان رضى الله عنه

كلمة المصحف:

المصحف مثلثة الميم. و قيل: ان الفتح لا يعرف إلا من قبل الكسائي.

و المصحف: مأخوذ من أحصف، أى جعلت فيه الصحف المكتوبة بين دفتين جمعت فيه (١).

و هناك خبر في «كتاب المصاحف» لابن اشتة، ذكره السيوطي في «الاتقان» (٢) يدل على أن هذه الكلمة كانت قبل زمان عثمان. و هو:

عن ابن بريده قال: أول من جمع القرآن في مصحف سالم مولى أبي حذيفة، أقسم لا يرتدى برداء حتى يجمعه، فجمعه، ثم ائتمروا ما يسمونه، فقال بعضهم: سموه السفر قال: ذلك تسمية اليهود، فكرهوه. فقال: رأيت مثله بالحيشة يسمى: المصحف، فاجتمع رأيهم على أن يسموه المصحف. و قال السيوطي تعليقا على هذا الخبر: اسناده منقطع. و أخرج ابن أبي شيبة في كتاب «المصاحف» أن أول من

سمى المصحف مصحفاً هو أبو بكر (٣).

(١) انظر «مختار الصحاح» و «القاموس» و «تاج العروس» و «لسان العرب».

(٢) انظر «الاتقان» ٥٨ / ١.

(٣) «التراتب الإدارية» ٢ / ٢٨١ نقلاً- عن السيوطي في كتابه «الوسائل إلى معرفة الأوائل» و ذكر عبد السلام هارون في «تحقيق

النصوص و نشرها» ص ١١ [أن عمر أول من جمع

لمحات في علوم القرآن و اتجاهات التفسير، ص: ١١١

سبب نسخ المصاحف و طريقة النسخ:

يبدو أن خلافاً وقع بين المسلمين في قراءة تهمة للقرآن و مردّه الى أمرين:

١- اختلاف الحروف و اللهجات و الروايات.

٢- اختلاف ما بين أيديهم من الصحف التي جمعها ناس من الصحابة أشرنا الى بعضهم في الفصل السابق. و الأمر الثاني مترتب على

الأمر الأول، فإنّ اختلاف الصحف التي يقرأ بها الناس مقصور على اختلاف الحروف و اللهجات.

يدل على ذلك الاختلاف ما رواه البخاري عن أنس قال:

(قدم حذيفة بن اليمان على عثمان- و كان يغزى أهل الشام في فتح ارمينية و أذربيجان مع أهل العراق فأفزع حذيفة اختلافهم في

القراءة- فقال لعثمان: أدرك الأمة قبل أن يختلفوا اختلاف اليهود و النصارى.

فأرسل الى حفصة ان ارسلى الينا الصحف ننسخها في المصاحف، ثم نردها اليك، فأرسلت بها حفصة الى عثمان فأمر زيد بن ثابت

«١» و عبد الله بن الزبير «٢» و سعيد بن العاص «٣» و عبد الرحمن بن الحارث بن هشام «٤» فنسخوها في المصاحف، و قال عثمان

للهط القرشيين الثلاثة: إذا اختلفتم انتم و زيد بن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش، فإنه إنما نزل بلسانهم، ففعلوا، حتى

إذا نسخوا الصحف في المصاحف ردها عثمان الى

القرآن في مصحف، و تعددت مصاحف المسلمين حتى جمعهم على مصحف واحد] و لم يذكر مصدره في ذلك.

(١) هو زيد بن ثابت الأنصاري ولد سنة ١١ ق ه و توفي سنة ٤٥ ه.

(٢) هو عبد الله بن الزبير الأسدي القرشي ولد سنة ١ ه و قتل سنة ٧٣ ه.

(٣) هو سعيد بن العاص الأموي القرشي ولد سنة ٣ ه و توفي سنة ٥٩ ه. و انظر الرسالة التي كتبناها في دراسة حياته.

(٤) هو عبد الرحمن بن الحارث بن هشام المخزومي القرشي ولد سنة ١ ه و توفي سنة ٤٣ ه.

لمحات في علوم القرآن و اتجاهات التفسير، ص: ١١٢

حفصة، و أرسل الى كل أفق بمصحف مما نسخوا و أمر بما سواه من القرآن المكتوب في كل صحيفة أو مصحف أن يحرق) «١».

و جاء في «الاتقان» نقلاً عن ابن أشتة ان أنس بن مالك قال:

اختلفوا في القرآن على عهد عثمان حتى اقتتل الغلمان و المعلمون «٢»، أي لم يقتصر الأمر على الجند كما في حديث البخاري السابق

بل جاوز ذلك الى المعلمين و الغلمان.

و ذكر ابن كثير انه (اجتمع خلق من أهل الشام ممن يقرأ على قراءة المقداد بن الأسود «٣» و أبي الدرداء، و جماعة من أهل العراق

ممن يقرأ على قراءة عبد الله بن مسعود و أبي موسى و جعل من لا- يعلم بسوغان القراءة على سبعة أحرف يفضل قراءته على قراءة

غيره، و ربما خطأ الآخر أو كَفَرَه فأدى ذلك الى اختلاف شديد، و انتشار الكلام السيئ بين الناس) «٤».

و أخرج البغوي عن مصعب بن سعد قال: لما كثر اختلاف الناس في القرآن قالوا: قراءة ابن مسعود، و قراءة أبي، و قراءة سالم مولى أبي حذيفة. قال:

فجمع عثمان أصحاب رسول الله صلى الله عليه و سلم فقال: إني رأيت أن اكتب مصاحف على حرف زيد بن ثابت، ثم ابعث بها إلى الأمصار. قالوا: نعم ما رأيت.

قال: فأى الناس أعرب؟ قالوا: سعيد بن العاص. قال: فأى الناس

(١) «صحيح البخارى» ١٥١ / ٦ و «الترمذى» ١٢٣ / ٤ و «السنن الكبرى» لليهقي ٤١ / ٢ و «شرح السنة» للبغوي ٥٢٠ / ٤ و «المقنع» ٥- ٦ أقول: هذه هي الرواية الصحيحة التي تجعل رجال اللجنة أربعة و حسبنا أن البخارى أخرجها. و هناك روايات نجد فيها زيادة و نقصا. و من ذلك ما جاء في «المقنع» ٤.

(٢) «المقنع» ٧ و «الاتقان» ١ / ٦١.

(٣) و هو المقداد بن عمرو و انظر خبره في «الاصابة» ٣ / ٤٣٣-٤٣٤ توفى سنة ٣٣ و هو ابن سبعين سنة.

(٤) «البدایة و النهایة» ٧ / ٢١٧ و «السنن الكبرى» ٢ / ٤٢ و انظر قريبا منه في «فتح البارى» ٩ / ١٨.

لمحات في علوم القرآن و اتجاهات التفسير، ص: ١١٣

اكتب؟ قالوا: زيد بن ثابت كاتب الوحي. قال: فليمل سعيد و ليكتب زيد بن ثابت «١».

فكان عمل عثمان رضى الله عنه جمعا للناس على مصحف واحد، و درءا لفتنة و مفسدة. أما الصحف التي اعتمدها اللجنة الرباعية فقد أعادها عثمان الى حفصة بعد الانتهاء من النسخ، و بقيت عندها حتى وفاتها. جاء في «المصاحف» لابن أبى داود ما يأتى: (حاول مروان بن الحكم أن يأخذها منها ليحرقها، فأبت، حتى إذا توفيت أخذ مروان الصحف و أحرقها، و قال: انما فعلت هذا لأن ما فيها قد كتب و حفظ بالمصحف الامام، فخشيت إن طال بالناس زمان أن يرتاب في شأن هذه الصحف مراتب) «٢».

ذكر السيوطى نقلا عن كتاب ابن اشته انهم عند ما اجتمعوا للكتابة كان عملهم انهم إذا اختلفوا و تداروا في أى آية قالوا: هذه اقراها رسول الله صلى الله عليه و سلم فلانا، فيرسل اليه و هو على رأس ثلاث من المدينة. فيقال له:

كيف اقراك رسول الله صلى الله عليه و سلم آية كذا و كذا؟ فيقول: كذا و كذا.

فيكتبونها «٣». و يبدو انه قد اتبع في هذا الجمع ما اتبع في الجمع الأول أيام أبى بكر من البحث عن الآيات مكتوبة في عصر النبى صلى الله عليه و سلم و أن يشهد اثنان بكتابتها في عصره «٤».

و لقد بذلت هذه اللجنة الرباعية قصارى جهودها في سبيل اتقان العمل و تحرى الصواب فيه حتى كان عملها كاملا تاما.

(١) «شرح السنة» ٤ / ٥٢٣-٥٢٤ و «المصاحف» ٢٣-٢٤ و «فضائل القرآن» لابن كثير ص ٢١.

(٢) «المصاحف» ص ٢٤.

(٣) «الاتقان» ١ / ٩٥ و «فتح البارى».

(٤) المعجزة الكبرى القرآن لمحمد أبو زهرة ص ٣٣ و انظر «تفسير القرطبي» ١ / ٥١.

لمحات في علوم القرآن و اتجاهات التفسير، ص: ١١٤

قال ابن حجر: و كان ذلك في حدود سنة ٢٥ ه و غفل بعض من أدركناه فزعم أنه كان في حدود سنة ٣٠ و لم يذكر له مستندا «١». و نستطيع أن نقرر الأمور التالية عن عمل عثمان رضى الله عنه:

١- اختيرت اللجنة اختياراً موفقاً من الأنصار و المهاجرين، و كان نصيب قريش فيها كبيراً لأن القرآن نزل بلغه قريش كما قال عثمان (٢).

و أفرادها من الصلاح و الحفظ و المعرفة بمكان كبير، و مع ذلك فقد كانت لا تدخر وسعاً في السؤال و البحث و التثبت ما استطاعت الى ذلك سبيلاً، و كان أفرادها يحفظون القرآن في صدورهم.

و لا بد من التنبيه الى أن أحد أعضائها و هو زيد بن ثابت هو الذي قام بالجمع في المرة الأولى أيام أبي بكر الصديق.

٢- جردت المصاحف مما ليس قرآناً كالشروح و التفاسير التي كان يثبتها بعض الصحابة على مصاحفهم.

٣- اعتمدت اللجنة على صحف أبي بكر رضى الله عنه اعتماداً رئيسياً، حيث جعلتها الأصل، ثم استعملت كل ما أمكنها من وسائل التثبت و الاستيثاق.

٤- كتب القرآن بشكل يجمع القراءات التي نزل بها القرآن، و قد ساعد على ذلك عدم التشكيل و عدم التنقيط (٣).

(١) «فتح الباري» ١٧/٩.

(٢) «الانقان» ١/ ٥٩. و هذا القول مروى عن عمر رضى الله عنه. قال ابن تيمية: (ثبت عن عمر بن الخطاب أنه قال لابن مسعود: أقرئ الناس بلغه قريش فإن القرآن نزل بلسانهم) «الفتاوى» ٢٨/ ١٩ و «فتح الباري» ٩/ ٩. و قال أبو شامة ص ٦٩: (و معنى قول عثمان «إن القرآن أنزل بلسان قريش» أى معظمه بلسانهم ... أو المراد نزل في الابتداء بلسانهم ثم أبيع بعد ذلك أن يقرأ بسبعة أحرف).

(٣) أقول: و هناك من يزعم أن القرآن كان منقوفاً مشكولاً، و يعتمدون في زعمهم الباطل هذا على نص ورد في «النشر» ١/ ٣٣.

لمحات في علوم القرآن و اتجاهات التفسير، ص: ١١٥

٥- استطاعت هذه اللجنة أن تنجح في عملها خير نجاح، فلقد حسمت هذه المصاحف الخلاف، و حالت دون فرقة المسلمين حول كتاب الله الخالد الكريم.

قال ابن تيمية يلخص عملية جمع القرآن:

(... فلما كان العام الذي قبض فيه عارضه جبريل به (أى بالقرآن) مرتين، و العرضة الأخيرة هي قراءة زيد بن ثابت و غيره، و هي التي أمر الخلفاء الراشدون أبو بكر و عمر و عثمان و على بكتابتها في المصاحف، و كتبها أبو بكر ... ثم أمر عثمان في خلافته بكتابتها في المصاحف، و ارسالها الى الأمصار باتفاق من الصحابة) (١).

و لو كان ذلك كذلك لاستفاض النقل في ذلك و لم يقتصر الأمر على هذا الخبر الواهى و لما كان هذا التورع الشديد من استعمال النقط و التشكيل من عدد من علماء السلف كما سيمرّ معنا.

هذا شيء و معرفة الناس للنقط في وقت مبكر شيء آخر، و يعتمد من يرى مثل هذا الرأي على النص المشار إليه آنفاً و على ورقة من أوراق البردى زعموا في تقديرهم أن تاريخها يعود إلى سنة ٢٧ هـ و وجدوا فيها هذه النقط. و هذا محل نظر كبير و دون ثبوته خرط القتاد.

هذا و قد قرّر - خطأ - الفلقشندي في «صبح الأعشى» ٣/ ١٥١ (أن الإعجام موضوع مع وضع الحروف) قرّر هذا بعد ما أورد أسطورة تدعى أن أول من وضع الحروف العربية ثلاثة رجال من قبيلة بولان و هم: مرارة بن مرة الذى وضع الصور، و أسلم بن سدره الذى فصل و وصل، و عامر بن جذرة الذى وضع الإعجام. و قال مرجحاً ما تقتضيه هذه الأسطورة الباطلة المضحكة: (إذ يبعد أن الحروف قبل ذلك - أى قبل إعجام المصحف - مع تشابه صورها كانت عريّة عن النقط إلى حين نقط المصحف) أقول:

و هذا الذى استبعده هو الذى تقتضيه طبيعة نشأة العلوم و الفنون و المخترعات تبدأ بسيطة ثم تدخل عليها إضافات. و انظر في هذا

أيضا «مصادر الشعر الجاهلي» لناصر الدين الأسد الذي ذهب مثل هذا المذهب الباطل معتمدا على حجج باطلة و أدلة واهية. والله أعلم.

(١) «فتاوى ابن تيمية» ٣٩٥ / ١٣.

لمحات في علوم القرآن و اتجاهات التفسير، ص: ١١٦

عدد المصاحف العثمانية:

* المشهور انها خمسة مصاحف، ارسل بها عثمان رضى الله عنه الى الآفاق الخمسة و هي: مكة، و الشام، و البصرة، و الكوفة، و احتفظ بواحد منها لأهل المدينة.

* و هناك قول آخر أنها سبعة، و لكن هناك خيران في أسماء البلاد التي ارسلت اليها فالأول أورده ابن كثير في «البدائية و النهاية» «١» فحواه أن عثمان رضى الله عنه كتب سبعة مصاحف: ارسل الى مكة مصحفا، و الى أهل مصر آخر، و بعث الى البصرة مصحفا و الى الكوفة بآخر، و أرسل الى الشام مصحفا، و الى اليمن مثله، و أقر بالمدينة مصحفا. لمحات في علوم القرآن و اتجاهات التفسير ١١٦ عدد المصاحف العثمانية: ص: ١١٦

الثاني أورده ابن أبي داود في «المصاحف» «٢» و ذكره أبو شامة في «المرشد» «٣» و السيوطي في «الاتقان» «٤» فحواه أن عثمان رضى الله عنه وجه بسبعة مصاحف، هذه الخمسة المشهورة (أى لمكة و المدينة و الشام و البصرة و الكوفة) و أرسل مصحفا الى اليمن و مصحفا الى البحرين. قال أبو على الأهوازي: و وجه بمصحف الى اليمن، و بمصحف الى البحرين فلم نسمع لهما خيرا، و لا رأينا لهما أثرا «٥». قال السيوطي: و لكن لم يسمع لهذين المصحفين خبر. و الفرق بين البحرين هو المصحف السابع، أ أرسل إلى مصر أم إلى البحرين. * و لم يكتف عثمان رضى الله عنه بتوجيه هذه المصاحف الى هذه البلاد

(١) «البدائية و النهاية» ٢١٧ / ٧.

(٢) «المصاحف» ص ٢٤.

(٣) «المرشد الوجيز» ص ٧٣ و ص ١٥٨.

(٤) «الاتقان» ٨١ / ١.

(٥) «المرشد الوجيز» ص ١٥٩.

لمحات في علوم القرآن و اتجاهات التفسير، ص: ١١٧

و انما اختار حفاظا يثق بهم و أنفذهم الى الأقطار الاسلامية التي أرسل اليها المصاحف ليقرئوا أهل البلد المرسل اليهم، فأرسل مع كل مصحف قارئاً متقناً يقوم بمهمة التعليم و الاقراء «١».

* و يقال لهذه المصاحف الائمة، و ليست مكتوبة بخط عثمان، و انما يقال لها المصاحف العثمانية نسبة الى أمره و زمانه و امارته «٢».

رأى الصحابة في صنع عثمان:

كان جمع الناس على مصحف واحد من مناقب عثمان الجليلية، و حسناته العظيمة، و قد ذكر ابن كثير أن حذيفة بن اليمان عند ما جاء عثمان و أخبره بما أخبره مما أشرنا اليه آنفا قال: (فعند ذلك جمع عثمان الصحابة، و شاورهم في ذلك، و رأى أن يكتب المصحف

على حرف واحد، و أن يجمع الناس في سائر الاقاليم على القراءة به دون سواه) «٣».

و ذكر ابن أبي داود عن علي رضي الله عنه انه قال:

(لا تقولوا في عثمان إلا خيرا، فوالله ما فعل الذي فعل في المصاحف إلا عن ملاء منا. قال عثمان: ما تقولون في هذه القراءة، فقد بلغني

أن بعضهم يقول: إن قراءتي خير من قراءتك، وهذا يكاد يكون كفرا؟ قلنا:

فما ترى؟ قال: أرى أن يجمع الناس على مصحف واحد فلا تكون فرقة و لا اختلاف. قلنا: فنعم ما رأيت «٤».

إذن فما كان صنيع عثمان إلا عن موافقه من الصحابة و بعد استشارتهم.

(١) «مناهل العرفان» ١ / ٣٩٦.

(٢) «البدایة و النهاية» ٧ / ٢١٧ و انظر «فضائل القرآن» لابن كثير ص ١٥ طبعه عيسى البابي الحلبي الملحقة بالتفسير.

(٣) «البدایة و النهاية» ٧ / ٢١٧، و انظر «فضائل القرآن» ص ١٥.

(٤) «المصاحف» ص ٢٢. و نقله عنه السيوطي في «الاتقان» ١ / ٥٩.

لمحات في علوم القرآن و اتجاهات التفسير، ص: ١١٨

و نقل ابن كثير عن البيهقي وغيره أنهم رووا عن علي رضي الله عنه أنه قال:

(أيها الناس إياكم و الغلو في عثمان تقولون: حرق المصاحف، و الله ما حرقها إلا عن ملاء من أصحاب محمد صلى الله عليه و سلم و

لو وليت مثلما ولي لفعلت مثل الذي فعل «١»).

و روى الطبري عن علي قوله:

(لا تسموا عثمان شقاق المصاحف، فوالله ما شقها إلا عن ملاء منا أصحاب محمد و لو وليتها لعملت مثل الذي عمل «٢»).

الفرق بين جمع أبي بكر و عثمان:

* كان جمع أبي بكر الصديق للقرآن خشية أن يذهب من القرآن شيء بذهاب حملته، لأنه لم يكن مجموعا في موضع واحد،

فجمعه - جزاء الله عن الاسلام خيرا - في صحف مرتبا لآيات سوره على ما وقفهم عليه النبي صلى الله عليه و سلم.

* و كان جمع عثمان حسما لخلاف ذر قرنه في صفوف المسلمين، و جمعا للمسلمين على نسخة موحدة من المصحف، ذلك أنه كثر

اختلافهم في وجوه القراءة، فأدى ذلك بهم الى أن يخطئ بعضهم بعضا، فخشى من تفاقم الأمر في ذلك، فنسخ تلك الصحف في

مصحف واحد، مرتبا لسوره الترتيب النهائي «٣» و اقتصر في الكتابة من سائر اللغات على لغة قريش محتجا بأنه نزل بلغتهم كما قال

للقرشيين الثلاثة: (إذا اختلفتم أنتم و زيد بن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش؛ فانه انما نزل بلسانهم)،

(١) «البدایة و النهاية» ٧ / ٢١٨، و «المقنع» ص ٨.

(٢) «تاريخ الطبري» ٦ / ١١٤.

(٣) «الاتقان» ١ / ٥٩.

لمحات في علوم القرآن و اتجاهات التفسير، ص: ١١٩

و انه ان كان قد وسع في قراءته بلغة غيرهم في بادئ الأمر دفعا للحرج و المشقة، فإن الحاجة الى ذلك قد انتهت، فاقتصر على لغة

قريش «١» و كذلك فقد حذف عثمان من المصاحف كل الشروح و التأويلات و ما نسخت تلاوته «٢».

قال الباقلاني: (لم يقصد عثمان قصد أبي بكر في جمع نفس القرآن بين لوحين، و انما قصد جمعهم على القراءات الثابتة المعروفة عن

النبي صلى الله عليه وسلم وإلغاء ما ليس كذلك، وأخذهم بمصحف لا تقديم فيه ولا تأخير، ولا تأويل أثبت مع تنزيل، و منسوخ تلاوته كتب مع مثبت رسمه ومفروض قراءته وحفظه خشية دخول الفساد والشبهة على من يأتي بعد) (٣).

أين المصاحف العثمانية الآن؟

لا يعرف لهذه المصاحف الآن مكان توجد فيه على وجه اليقين. على أن هذه المصاحف العثمانية كانت موجودة طوال العصور السابقة.

فقد ذكر ابن جبير المتوفى سنة ٦١٤ هـ في رحلته عند حديثه عن جامع دمشق أن (في الركن الشرقي من المقصورة الحديثية في المحراب خزائن كبيرة فيها مصحف من مصاحف عثمان رضى الله عنه، وهو المصحف الذي وجه به إلى الشام، و تفتح الخزائن كل يوم إثر الصلاة، فيتبرك الناس بلمسه و تقيله) (٤).

وقد رأى ابن فضل الله العمري (أحمد بن يحيى بن محمد أبو العباس) المتوفى سنة ٧٤٩ هـ مصحفا في دمشق وصفه بأنه أحد المصاحف العثمانية.

(١) «عنوان البيان في علوم التبيان» لمحمد حسنين مخلوف ص ٩٧.

(٢) «الاتقان» ١ / ٦٠.

(٣) «البرهان» ١ / ٢٣٥ و «الاتقان» ١ / ٦٠.

(٤) «رحلة ابن جبير» تحقيق حسين نصار ص ٢٥٧.

لمحات في علوم القرآن و اتجاهات التفسير، ص: ١٢٠

قال: (.. و إلى جانبه الأيسر المصحف العثماني بخط أمير المؤمنين عثمان ابن عفان رضى الله عنه) (١).

و ذكر ابن كثير المتوفى سنة ٧٧٤ هـ في كتابه «فضائل القرآن» أن في دمشق مصحفا من هذه المصاحف فقال:

أما المصاحف العثمانية الأئمة فأشهرها اليوم الذي في الشام بجامع دمشق، عند الركن شرقي المقصورة المعمورة بذكر الله، و قد كان قديما بمدينة طبرية، ثم نقل منها إلى دمشق في حدود «٢» سنة ٥١٨ هـ. و قد رأيت كتابا عزيزا جليلا عظيما فخما بخط حسن مبین قوی، بحبر محكم في رق «٣» أظنه من جلود الابل) (٤).

كما ذكر ابن بطوطة المتوفى سنة ٧٧٩ هـ في «رحلته» هذا المصحف الشامي فقال: (و في الركن الشرقي منها إزاء المحراب خزائن كبيرة فيها المصحف الكريم الذي وجهه أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضى الله عنه إلى الشام، و تفتح تلك الخزائن كل يوم جمعة، بعد الصلاة، فيزدحم الناس على لثم ذلك المصحف الكريم ..) (٥).

(١) «مسالك الأبصار في ممالك الأمصار» لابن فضل الله العمري تحقيق أحمد زكي باشا صفحة ١٩٥. و قوله (بخط أمير المؤمنين) تجوز منه. و الأقرب للصواب (بأمر أمير المؤمنين).

(٢) قال السيوطي في «تاريخ الخلفاء» صفحة ٤٢٨: (و فيها- أي في سنة ٤٩٢ هـ- نقل المصحف العثماني من طبرية إلى دمشق خوفا عليه، و خرج الناس لتلقيه، فأووه في خزائه بمقصورة الجامع).

(٣) جاء في «صبح الأعشى» للقلقشندی ٢ / ٤٨٦ ما يأتي: (و أجمع رأى الصحابة رضى الله عنهم على كتابة القرآن في الرق لطول بقائه، أو لأنه الموجود عندهم حينئذ، و بقي الناس على ذلك إلى أن ولي الرشيد الخلافة، و قد كثر الورق، و فشا عمله بين الناس أمر ألا يكتب الناس إلا في الكاغد ..).

(٤) «فضائل القرآن» لابن كثير ص ١٥ طبعه عيسى البابي الحلبي ١٣٧١ هـ - ١٩٥٢ م، الملحقه بالجزء الرابع من «تفسير ابن كثير».

(٥) «رحلة ابن بطوطة» ١/ ٥٤.

لمحات في علوم القرآن و اتجاهات التفسير، ص: ١٢١

و ذكر ابن بطوطة أيضا أنه رأى مصحفا من المصاحف العثمانية عند ما دخل البصرة في رحلته فقال:

و أهل البصرة لهم مكارم أخلاق، و إيناس للغريب و قيام بحقه، فلا يستوحش فيما بينهم غريب، و هم يصلون الجمعة في مسجد أمير المؤمنين على رضى الله عنه الذى ذكرته ... و هذا المسجد من أحسن المساجد، و صحنه متناهى الانفساح، مفروش بالحصباء الحمراء ... و فيه المصحف الكريم الذى كان عثمان رضى الله عنه يقرأ فيه لما قتل، و أثر تغيير الدم فى الورقة التى فيها قوله تعالى فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ «١».

و ذكر ابن بطوطة أنه رأى بعض تلك المصاحف العثمانية أو بعض صحائف منها خلال رحلته فى مراکش و غرناطة و بعض المدن الاخرى «٢».

و الله أعلم.

و يبدو أن ابن الجزرى المتوفى سنة ٨٣٣ هـ قد رأى المصحف الشامى الذى تحدثنا عنه آنفا «٣».

و استمر هذا المصحف الشامى محفوظا فى الجامع الأموى إلى مطلع القرن الرابع عشر، ثم فقد هذا المصحف. فبعضهم يرى أنه نقل الى استامبول، ثم لم يعرف مكان وجوده، و بعضهم يرى أنه موجود فى مكتبة من مكباتها. و بعضهم يرى أنه احترق.

قال الأستاذ محمد كرد على خلال حديثه عن الجامع الأموى:

(حتى إذا كانت سنة ١٣١٠ هـ سرت النار إلى جذوع سقوفه فالتهمتها فى أقل من ثلاث ساعات .. و حرق فيه مصحف كبير بالخط

(١) «رحلة ابن بطوطة» ١/ ١١٦.

(٢) نقل ذلك صبحى الصالح عن المستشرق كازانوف. و انظر «مباحث فى علوم القرآن» ص ٨٧.

(٣) «مباحث فى علوم القرآن» لصبحى الصالح ٨٨ - ٨٩.

لمحات فى علوم القرآن و اتجاهات التفسير، ص: ١٢٢

الكوفى، كان جىء به من مسجد عتيق فى بصرى، و كان الناس يقولون:

إنه المصحف العثمانى) «١».

و قال الدكتور عبد الرحمن الشهبندر:

(و كان لدمشق الشام أن حصلت على نسخة من هذه المصاحف العثمانية، و لكنها يا للأسف أتلفتها النار فى الحريق الذى التهم

الجامع الأموى منذ ثلاثين سنة) «٢» و قد كتب هذا الكلام فى شهر نيسان سنة ١٩٢٢ م.

و نقل الدكتور صبحى الصالح عن الدكتور يوسف العث عن الشيخ عبد المحسن الأسطوانى «٣» أنه قد رأى هذا المصحف قبل احتراقه و كان محفوظا بالمقصورة و له بيت خشب «٤».

و ذكر الأستاذ الكوثرى أن الشيخ عبد الحكيم الأفغانى المتوفى سنة ١٣٢٦ هـ (١٩٠٨ م) نسخ مصحفا مطابقا لرسم هذا المصحف العثمانى قبل وفاته و زعم الكوثرى أن هذا المصحف العثمانى نقل فى أثناء الحرب العامة الى استامبول «٥». أما مصحف الأفغانى فذكر أنه محفوظ عند بعض أصحابه بدمشق «٥».

و ذكر الكوثرى أيضا أن مصحف الكوفة كان فى حمص و أنه نقل إلى العاصمة استامبول فى أثناء الحرب العامة «٥» و لم يذكر فى أى مسجد كان فى حمص.

و كذلك فقد ذكر أن مصحف المدينة كان في المدينة و انه نقل أيضا

- (١) «خطط الشام» لمحمد كرد علي ٢٧٩ / ٥.
 - (٢) «مذكرات عبد الرحمن الشهبندر» صفحة ٣٤ طبع دار الإرشاد.
 - (٣) انظر ترجمته في «الأعلام» للزركلي و في كتاب «عشرة من الناس» لزهير المارديني.
 - (٤) «مباحث في علوم القرآن» ص ٨٨ - ٨٩.
 - (٥) «مقالات الكوثري» ص ١٢.
- لمحات في علوم القرآن و اتجاهات التفسير، ص: ١٢٣
- الى استامبول في أثناء الحرب «١».
- و ذكر الكوثري أن كثيرا (من الماكرين يجترئون على تلطيخ بعض المصاحف القديمة بالدم، ليظن أنه الذي كان بيد عثمان رضى الله عنه حينما قتل، و كم من مصاحف ملطخة بالدم في خزانات الكتب، و الله ينتقم منهم) «٢».
- و هناك الآن مصاحف أثرية في دار الكتب المصرية يقال عنها: إنها مصاحف عثمانية، و لكننا نستبعد أن تكون كذلك لوجود الزركشة و الزينة و النقوش الفاصلة بين السور، و لوجود علامات لبيان أعشار القرآن.
- قال الزرقاني: (و معلوم أن المصاحف العثمانية كانت خالية من كل هذا و من النقط و الشكل أيضا) «٣».

- (١) «مقالات الكوثري» ص ١٢ و إن صحَّ هذا الخبر فلعله هو الذي ذكره منير نصيف في مجلة العربى العدد ١١٠ (شهر كانون الثانى سنة ١٩٦٨) فى استطلاع قام به عن استامبول قال ص ٤٢ من العدد المذكور: (شاهدنا القرآن الكريم المخطوط على جلد الغزال، الذى كان يتلوه ثالث الخلفاء عثمان بن عفان رضى الله عنه عند ما استشهد فى منزله، و على صفحة منه رأينا آثار دمائه الطاهرة).
 - (٢) «مقالات الكوثري» ص ١٣.
 - (٣) «مناهل العرفان» ١ / ٣٩٧.
- و انظر خبر المصاحف العثمانية فى الكتب التى ذكرناها فى حواشى هذا البحث و انظر ما ذكره المقرئ فى «نفع الطيب» ٢ / ٨٦ و ٩٩ و ١٣٥. و مما يتصل بالمصاحف القديمة الخبر الذى نشرته جريدة الأهرام القاهرية بعددها الصادر بتاريخ ٨ / ٤ / ١٩٧٦ صفحة ٥.
- و جاء فى الخبر ما يأتى: (يدور الآن تحقيق حول المصحف الذى اختفى من دار الكتب، و تم العثور عليه بالصدفة عند ما اشترى الدكتور هنرى عوض من بائع (روبايكا) - أى بائع الملابس و الأمتعة العتيقة - بسبعين جنيها فى حين يؤكد و كيل الآثار بأن قيمته لا تقدر بثمان. و المصحف - موضوع الحديث - مكوّن من ١٤١ ورقة من الرق، كتبه أبو سعيد الحسن البصرى فى عام سبعة و سبعين هجرية .. خلال خلافة عبد الملك ابن مروان، و قد كتبه بالخط الكوفى الدقيق و فى كل صفحة ٣٠ سطرا. و فاتحة الكتاب و رؤوس السور و فواصل الآيات بها زخارف مذهبة. و هو أول مصحف مؤرخ موجود الآن فى العالم).
- لمحات في علوم القرآن و اتجاهات التفسير، ص: ١٢٤

خاتمة

و بذلك فاننا نستطيع الجزم بأن النقل للقرآن كان متواترا و يقول هذا بعض أعداء الاسلام أو بعض الناس الذين ليسوا مسلمين، فقد نقل الأستاذ الدكتور محمد عبد الله دراز ما يلى:

(قال لو بلوا: إن القرآن هو اليوم الكتاب الربانى الوحيد الذى ليس فيه تغيير يذكر) (و قال موير: إن المصحف الذى جمعه عثمان قد

تواتر انتقاله من يد ليد حتى وصل إلينا بدون أى تحريف و لقد حفظ بعناية شديدة بحيث لم يطرأ عليه أى تغيير يذكر، بل نستطيع أن نقول إنه لم يطرأ عليه أى تغيير على الاطلاق فى النسخ التى لا حصر لها و المتداولة فى البلاد الاسلاميه الواسعة فلم يوجد إلا قرآن واحد لجميع الفرق الاسلاميه المتنازعه، و هذا الاستعمال الاجماعى لنفس النص المقبول من الجميع حتى اليوم يعدّ أكبر حجة و دليل على صحه النص المنزل الموجود معنا) «١».

(١) «مدخل الى القرآن» ص ٤٠.

لمحات فى علوم القرآن و اتجاهات التفسير، ص: ١٢٥

الفصل الرابع كتابه المصاحف و تطورها

الاملاء العثماني:

الاملاء الذى كتبت به اللجنه املاء خاص بعصر الصحابه، و هو مختلف عن املائنا، فهو خال من النقط و الشكل و الزخرفه، و هو مخالف فى عدد من كلماته لقواعد الاملاء المعروفه، و ذكر السيوطى القواعد الستة التى ينحصر أمر الرسم فيها فقال: (و ينحصر أمر الرسم فى ست قواعد: الحذف، و الزيادة، و الهمز، و البدل، و الوصل، و الفصل، و ما فيه قراءتان فكتب على إحداهما) «١».

ثم فصل القول فى كل قاعدة، و ذكر ما لم يدخل تحت هذه القواعد منها.

و قد اكتسب هذا الرسم الذى سمي بالرسم العثماني كثيرا من القدسيه، بسبب إجماع المسلمين على استحسان عمل عثمان رضى الله عنه.

ان هذه المبالغه فى احترام هذا الرسم لتمثل لنا الامعان فى المحافظه على هذا الكتاب الكريم من كل زياده أو نقصان من قبل المسلمين، حتى اننا ما زلنا الى الآن نرى المصاحف مكتوبه بالرسم العثماني الذى كتبت به

(١) «الاتقان» ١٦٧ / ٢.

لمحات فى علوم القرآن و اتجاهات التفسير، ص: ١٢٦

المصاحف أيام عثمان رضى الله عنه، و هذا ما لم يحظ به أى كتاب فى تاريخ الفكر الانساني على الاطلاق «١».

تطور هذه الكتابه:

ان موضوع رسم المصحف علم قائم بذاته، و قد ألفت فيه المؤلفات قديما و حديثا.

فمن المؤلفين القدامى أبو حاتم السجستاني المتوفى سنة ٢٤٨ هـ (أو ٢٥٥ هـ) الذى ألف كتاب «رسم القرآن» و أبو عمرو الدانى المتوفى سنة ٤٤٤ هـ الذى ألف فى هذا الفن كتاب «المقنع» «٢» و أبو العباس أحمد بن محمد الازدى المراكشى المعروف بابن البنا المتوفى سنة ٧٢١ هـ الذى ألف كتاب «عنوان الدليل فى مرسوم خط التنزيل».

و من المؤلفين المحدثين الشيخ على محمد الضباع الذى ألف «سمير الطالبين فى رسم و ضبط الكتاب المبين». و الشيخ محمد خلف الحسينى الذى شرح أرجوزة المتولى، و ذيل الشرح بكتاب سماه: «مرشد الحيران الى معرفه ما يجب اتباعه فى رسم القرآن» «٣».

هذا و قد تعرضت كتابه المصحف الى تطور تناول منها الاعجام و الشكل و ما الى ذلك، أما هيكल حروف الكلمه فقد بقى على

حالته الاولى.

و الذى يذكره العلماء أن شخصيات مشهورة قامت بدور طيب فى

(١) انظر رأينا فى وجوب التزام كتابته تحت عنوان «كتاب المصحف و الرسم العثمانى» من هذا الفصل.

(٢) «كشف الظنون» ٢ / ١٨٠٩ و «مناهل العرفان» ١ / ٣٦٢ و قد نشر «المقنع» المستشرق أوتو برتزل عام ١٩٣٢ فى ألمانيا، و أعاد نشره محمد أحمد دهمان فى سنة ١٣٥٩ هـ بدمشق.

(٣) «مناهل العرفان» ١ / ٣٦٢.

لمحات فى علوم القرآن و اتجاهات التفسير، ص: ١٢٧

ادخال بعض التحسينات الاضائية على كتابه القرآن، و هذه الشخصيات هى:

أبو الاسود الدؤلى (١) و نصر بن عاصم (٢) أو يحيى بن يعمر (٣)، و الخليل ابن أحمد (٤) و هناك اختلاف فى نسبة الأولوية لبعض هؤلاء دون بعض.

و يبدو أن أقرب الأقوال للصواب فى تحديد دور كل منهم كالاتى:

١- ذهب بعضهم الى أن أبا الاسود الدؤلى المتوفى سنة ٦٩ هـ أراد أن يعمل كتابا فى العربية يقوم الناس به ما فسد من كلامهم، اذ كان ذلك قد فشا فى الناس. فقال:

أرى أن أبتدىء بإعراب القرآن أولا. فأحضر من يمسك المصحف، و أحضر صبغا يخالف لون المداد و قال للذى يمسك المصحف عليه:

إذا فتحت فمى «٥» فاجعل نقطة فوق الحرف.

و اذا كسرت فمى «٥» فاجعل نقطة تحت الحرف.

و اذا ضمنت فمى «٥» فاجعل نقطة أمام الحرف.

(١) هو ظالم بن عمر الدؤلى البصرى أول من أسس النحو كان شاعرا من سادات التابعين توفى سنة ٦٧ أو سنة ٦٩ هـ.

(٢) هو نصر بن عاصم الليثى النحوى، كان فقيها من كبار التابعين توفى سنة ٨٩ هـ.

(٣) هو يحيى بن يعمر العدوانى من علماء التابعين، كان فصيحا كاتباً ولى قضاء مرو، و توفى سنة ١٢٩ هـ.

(٤) هو الخليل بن أحمد الفراهيدى الازدى و اضع علم العروض ولد فى البصرة سنة ١٠٠ هـ و توفى فيها سنة ١٧٠ هـ.

(٥) وردت هكذا: (فمى) فى «الفهرست» لابن النديم ٦٦ و «نور القبس المختصر من المقتبس» لليغمورى ص ٤ و «المطالع النصرى»

ص ٢٠٥ و وردت هكذا: (فتحت شفتى) فى «نزهة الألباء» لابن الأنبارى ص ٢٠. لكن وردت هذه الكلمة فى رواية الدانى لهذه القصة

هكذا: (فاى) و ذلك فى أول كتاب «النقط» المطبوع بعد «المقنع» ص ١٢٤ و كذلك وردت فى «صبح الأعشى» ٣ / ١٥٦.

لمحات فى علوم القرآن و اتجاهات التفسير، ص: ١٢٨

فإن أتبع شيئا من هذه الحركة غنة (يعنى تنوينا) فاجعل نقطتين.

ف فعل ذلك حتى أتى على آخر المصحف «١».

اذن فعمل أبى الاسود هو وضع علامات تشير الى الفتحة و الكسرة و الضمة و التنوين. و كانت هذه الاشارات تكتب بمداد يخالف المداد الذى كتب به الاصل.

٢- و استمر الناس يقرءون فى مصحف عثمان و فى بعض المصاحف اشارات أبى الاسود، فلما كثر التصحيف و اللحن و انتشر بالعراق

فزع الحجاج بن يوسف الى كتابه، و سألهم أن يضعوا لهذه الحروف المتشابهة علامات، فيقال: أن نصر بن عاصم الليثي أو يحيى بن يعمر قام بإعجام الحروف المتشابهة و وضع النقط افرادا و ازواجا و خالف بين أماكنها «٢».

و ذكر ابن حجر عن هارون بن موسى أن أول من نقط المصاحف يحيى بن يعمر «٣». اذن فالعمل الثاني الذي تم زمن الحجاج هو تنقيط الحروف المتشابهة أزواجا و افرادا من فوق و من تحت.

٣- و جاء الخليل بن أحمد المتوفى سنة ١٧٠ هـ فكان أول من وضع

و هذه الرواية الأخيرة مخالفة لما ذكره النحويون من أن الأسماء الخمسة تعرب بالحروف إن لم تضاف إلى ياء المتكلم.

و قد تكون رواية (فاى) على لغة القصر، و إن كانوا ذكروا أن القصر ورد في ثلاثة أسماء فقط و هي (أب و أخ و حم). و انظر «المحكم في نقط المصاحف».

(١) ذكرنا المصادر التي أوردت هذه القصة في التعليق السابق.

(٢) «التنبيه على حدوث التصحيف» لحمزة الأصفهاني طبع دمشق صفحة ٢٧ و «وفيات الأعيان» ١/ ٣٤٤ و «مقدمتان في علوم القرآن» ٢٧٦ و «نقط المصحف» للداني طبع استانبول صفحة ١٣٢ و «كتاب التصحيف» لأبي أحمد العسكري و «ضحى الإسلام» ٢/ ٢٨٦.

(٣) «تهذيب التهذيب» ١١/ ٣٠٥.

لمحات في علوم القرآن و اتجاهات التفسير، ص: ١٢٩

الهمزة و التشديد و الروم و الأشمام «١».

و يقال: إن الخليل اخترع أيضا ضبط الحروف بالحركات فاستغنى الناس عن ضبط أبي الاسود «٢»، و كان العلماء يسمون ضبط الخليل شكل الشعر، و كان كثير منهم يكرهون استعماله «٣».

*** و ما زال كل ذى موهبة فنية في الخط يبذل قصارى جهده لبيدع في كتابة المصاحف. و قد قامت مهنة خاصة عرفت بكتابة المصاحف، يقوم رجالها بنسخ المصاحف لقاء أجر، و كان بعض أهل العلم يتخذها مورد عيش له.

و اختلف العلماء في الحكم على هذه الزيادات و التطورات.

* فمنهم من تشدد فحظرها، فقد ذكروا عن النخعي و ابن سيرين انهما كرها نقط المصاحف «٢» و روى عن الشعبي و إبراهيم كراهية النقط حتى بالحمرة «٥».

و كانوا يقولون: جردوا القرآن «٤».

قال الغزالي: و الظن بهؤلاء انهم كرهوا فتح هذا الباب خوفا من أن

(١) «الاتقان» ٢/ ١٧١ و «تهذيب اللغة» للأزهري ١/ ٥٠ و الروم: حركة مختلصة مختفية و هي أكثر من الاشمام لأنها تسمع، و الاشمام: ضم الشفتين كمن يريد النطق بضمه إشارة إلى أن الحركة المحذوفة ضمه من غير أن يظهر لذلك أثر في النطق. (أنظر في ذلك كتب التجويد و مباحث بناء الفعل للمجهول و الوقف في كتب قواعد اللغة العربية و كتب المعاجم مادة (روم) و مادة (شمم)).

(٢) «المحكم» للداني ص ٧ و «الاتقان» ٢/ ١٧١ و انظر ص ٢٦ من كتاب «سمير الطالبين في رسم و ضبط الكتاب المبين» للشيخ على محمد الضباع.

(٣) «المحكم» للداني.

(٥) «احياء علوم الدين» ١/ ٢٨٤ و انظر «المدخل» لابن الحاج ١/ ٧٤.

(٦) «احياء علوم الدين» ١/ ٢٨٤.

لمحات في علوم القرآن و اتجاهات التفسير، ص: ١٣٠

يؤدي الى احداث زيادات و حسم للباب، و تشوقا الى حراسة القرآن عما يطرق اليه تغييرا «١».

* و منهم من منع شكل المصحف إلا إذا احتاجت الكلمة الى شكل، فقد نقل عن ابن مجاهد أنه قال: ينبغي الا يشكل الا ما يشكل «٢».

* و منهم من أجازها بشرط أن تكتب بلون مخالف. قال الداني: لا استجيز النقط بالسواد لما فيه من التغيير لصورة الرسم، و أرى أن تكون الحركات و التنوين و التشديد و السكون و المد بالحمرة، و الهمزات بالصفرة «٣».

* و منهم من استحباها، و هو الصواب. قال النووي:

نقط المصحف و شكله مستحب لانه صيانة له من اللحن و التحريف «٤».

و قال الغزالي:

يستحب تحسين كتابة القرآن و تبيينه، و لا- بأس بالنقط و العلامات بالحمرة و غيرها، فانها تزيين و تبيين، و صد عن الخطأ و اللحن لمن يقرؤه.

ثم قال: و اذا لم يؤدي الى محذور و استقر أمر الأمة فيه على ما يحصل به مزيد معرفة فلا بأس به «١».

* و مما يندرج تحت عنوان تطور كتابة المصحف تلك الاشارات التي وضعوها عند انتهاء كل آية. و قد أخرج ابن ابي داود عن يحيى بن أبي كثير انه قال: كانوا لا يقرون شيئا مما في هذه المصاحف الا هذه النقط الثلاث التي عند رءوس الآي «٦».

(١) «احياء علوم الدين» ١/ ٢٨٤.

(٢) «الاتقان» ٢/ ١٧١.

(٣) «النقط» المنشور مع «المقنع» ص ١٢٥-١٢٦ و «الاتقان» ٢/ ١٧١.

(٤) «المصاحف» ١٤٣.

لمحات في علوم القرآن و اتجاهات التفسير، ص: ١٣١

و كذلك فان مما استحدث في المصاحف الفواتح و الخواتم و التعشير و التحزيب و التجزئة و كتابة اسماء السور و عدد الآيات و السجديات و اشارات الوقوف و أرقام الآيات.

و قال الاستاذ على محمد الضباع: (و أما النقط و الشكل و ما في حكمه من علامات الفواصل و السجديات و الاجزاء و الاحزاب و أقسامها و الخموس و العشور و المواقف و الفواتح و الخواتم فقد اختلف العلماء فيها على ثلاثة أقوال:

١- الجواز مطلقا.

٢- الكراهة مطلقا.

٣- الجواز في المصاحف التي يتعلم فيها الغلمان و من في حكمهم دون المصاحف الامهات و قد نسب الامام الداني في «المحكم» «١» هذه الأقوال الى أربابها. و العمل في وقتنا هذا على الترخيص في ذلك دفعا للالتباس و منعا للتحريف و الخطأ في كلام رب العالمين «٢».

*** كتابة المصحف و الرسم العثماني:

هناك آراء ثلاثة في كتابة المصاحف:

١- تحريم مخالفة مصحف عثمان في حرف، و وجوب كتابته على الكتبة الأولى.

٢- جواز مخالفته.

(١) «المحكم» للداني تحقيق عزة حسن.

(٢) «سمير الطالبين في رسم و ضبط الكتاب المبين» ص ٢٦ و انظر كتاب «الحوادث و البدع» للطروشى ص ٩٧ و انظر أيضا «مقدمتان في علوم القرآن» ص ٢٧٦.

لمحات في علوم القرآن و اتجاهات التفسير، ص: ١٣٢

٣- وجوب كتابته بالاملاء الشائع عند الناس و لا سيما للعامه و الطلبة الصغار.

* أما رأى الأول فهو رأى الذى مال اليه الكثرة من العلماء، و ليس الحق دائما مع الكثرة، و لا شك فى أن الدافع اليه الحرص على توفير السلامة لنص القرآن و المحافظة عليه من كل عوادى الزمان.

و من القائلين بهذا رأى الامام مالك الذى حكى عنه وجوب الكتابة على الكتبة الأولى «١».

و منهم الامام أحمد الذى كان يقول: تحرم مخالفة خط مصحف عثمان فى واو أو ألف أو ياء أو غير ذلك «٢». و قد كتب الاستاذ على محمد الضباع فصلا ضافيا فى كتابه «سمير الطالبين» «٣» و لم يأت بحجة شافية و لا دليل مقنع، و قد ذكر شيئا لا دليل عليه و هو أن النبى صلى الله عليه و سلم أملاه على الكتبة من تلقين جبريل ثم قال: «و يشهد لكونه من املائه صلى الله عليه و سلم ما ذكره صاحب «الإبريز» عن شيخه العارف بالله سيدى عبد العزيز الدباغ انه قال: رسم القرآن سر من أسرار المشاهدة و كمال الرفعة و هو صادر من النبى صلى الله عليه و سلم و ليس للصحابة و لا لغيرهم فى رسم القرآن و لا شعرة واحدة، و انما هو بتوقيف من النبى صلى الله عليه و سلم و هو الذى أمرهم أن يكتبوا على الهيئة المعروفة بزيادة الألف و نقصانها و نحو ذلك، لأسرار لا تهتدى اليها العقول إلا بفتح ربانى، و هو سر من الاسرار خص الله به كتابه العزيز دون سائر

(١) «الحوادث و البدع» ص ٩٧ و «المقنع» ٩- ١٠ و «الاتقان» ٢/ ١٦٧.

(٢) «الاتقان» ٢/ ١٦٧ و «البرهان» ١/ ٣٧٩ و قال أبو عمرو الدانى فى «المقنع» ص ٢٨:

يعنى الواو و الألف المزيديتين فى الرسم لمعنى المعدومتين فى اللفظ نحو الواو فى (أولوا الالباب) و (أولات) و (الربوا) و نحوه.

(٣) انظر «سمير الطالبين فى رسم و ضبط الكتاب المبين» ص ٢٣- ٢٤ و يعتمد مؤلفه على أن الرسم كان بإجماع الصحابة. و هذه دعوى يصعب على مدعيها أن يأتى عليها بدليل.

و انظر «عنوان البيان فى علوم التبيان» لمحمد حسنين مخلوف ص ٦٤- ٦٦.

لمحات فى علوم القرآن و اتجاهات التفسير، ص: ١٣٣

الكتب السماوية فكما أن نظم القرآن معجز فرسمه معجز أيضا، و هذا الكلام ليس عليه أى دليل و هو غاية فى مباحدة الحق.

* أما رأى الثانى فقد قال به جماعة من أهل العلم و حجتهم فى ذلك أن رسم المصحف اصطلاحى لا توقيفى. قال أبو شامة: (.. و أما ما يرجع إلى الهجاء و تصوير الحروف فلا اعتبار بذلك فى الرسم، فانه مظنة الاختلاف، و أكثره اصطلاح) «١».

و من القائلين بهذا رأى القاضى أبو بكر الباقلانى المتوفى سنة ٤٠٣ هـ و ابن خلدون المتوفى سنة ٨٠٨ هـ و سورد قول كل منهما فيما يأتى:

قال القاضى الباقلانى: (و أما الكتابة فلم يفرض الله على الأمة فيها شيئا اذ لم يأخذ على كتاب القرآن و خطاطى المصحف رسما بعينه دون غيره أوجبه عليهم و ترك ما عداه. اذ وجوب ذلك لا- يدرك الا- بالسمع و التوقيف، و ليس فى نصوص الكتاب و لا مفهومه أن رسم القرآن و ضبطه لا يجوز الا على وجه مخصوص، و حد محدود، لا يجوز تجاوزه، و لا فى نص السنة ما يوجب ذلك

و يدل عليه، و لا في اجماع الأمة ما يوجب ذلك، و لا دلت عليه القياسات الشرعية.

بل السنة دلت على جواز رسمه بأى وجه سهل، لأن رسول الله صلى الله عليه و سلم كان يأمر برسمه، و لم يبين لهم وجها معيناً، و لا نهى عن كتابته بغيره، و لذلك اختلفت خطوط المصاحف «٢»، فمنهم من كان يكتب الكلمة على مخرج اللفظ، و منهم من كان يزيد أو ينقص لعلمه ان ذلك اصطلاح،

(١) «المرشد الوجيز» ١٧٣ و انظر الأدلة الخمسة التي أوردها الكردي في كتابه «تاريخ القرآن و غرائب رسمه» ص ١٠١- ص ١٠٥.
(٢) قال ابن تيمية في «الفتاوى» ١٣ / ٤٢٠: (فإن مالكا كان يقول عن أهل الشورى ان لكل منهم مصحفا يخالف رسم مصحف عثمان) و انظر «المقنع» ٩٢ و «تاريخ القرآن و غرائب رسمه» لمحمد طاهر الكردي ص ٩٨.
لمحات في علوم القرآن و اتجاهات التفسير، ص: ١٣٤

و ان الناس لا يخفى عليهم الحال، و لأجل هذا بعينه جاز أن يكتب بالحروف الكوفية و الخط الاول، و أن تجعل اللام على صورة الكاف، و أن تعوج الألفات، و أن يكتب على غير هذه الوجوه، و جاز أن يكتب المصحف بالخط و الهجاء القديمين، و جاز أن يكتب بالخطوط و الهجاء المحدثه، و جاز أن يكتب بين ذلك.

و إذا كانت خطوط المصاحف و كثير من حروفها مختلفة متغايرة الصورة و كان الناس قد أجازوا ذلك، و أجازوا أن يكتب كل واحد منهم بما هو عادته، و ما هو أسهل و أشهر و أولى من غير تأثيم و لا تناكر، علم أنه لم يؤخذ في ذلك على الناس حد محدود مخصوص، كما أخذ عليهم في القراءة و الأذان.

و السبب في ذلك أن الخطوط إنما هي علامات و رسوم تجرى مجرى الاشارات و العقود و الرموز، فكل رسم دال على الكلمة مفيد لوجه قراءتها تجب صحته و تصويب الكتابة به على أى صورة كانت.

و بالجملة فكل من ادعى أنه يجب على الناس رسم مخصوص و جب ان يقيم الحجة على دعواه. و انى له ذلك؟ «١».
و قال ابن خلدون: (كان الخط العربي لأول الاسلام غير بالغ الى الغاية من الاحكام و الاتقان و الإجادة، و لا الى التوسط، لمكان العرب من البداوة و التوحش و بعدهم عن الصنائع، و انظر ما وقع لاجل ذلك في رسمهم المصحف، حيث رسمه الصحابة بخطوطهم، و كانت غير مستحكمة في الإجادة، فخالف الكثير من رسومهم ما اقتضته رسوم صناعة الخط عند أهلها، ثم اقتفى التابعون من السلف رسمهم فيها تبركا بما رسمه أصحاب رسول الله صلى الله عليه و سلم و خير الخلق من بعده، المتلقون لوحيه من كتاب الله

(١) «الانتصار» للباقلاني و قد نقلت هذا الكلام من مقدمة «تفسير المراغي» ١٣ / ١- ١٤.

لمحات في علوم القرآن و اتجاهات التفسير، ص: ١٣٥
و كلامه ... و لا تلتفتن في ذلك الى ما يزعمه بعض المغفلين من أنهم كانوا محكمين لصناعة الخط، و ان ما يتخيل من مخالفة خطوطهم لاصول الرسم ليس كما يتخيل، بل لكلها وجه. و يقولون في مثل زيادة الألف في (لا اذبحنه) «١» أنه تنبيه على أن الذبح لم يقع. و في زيادة الياء في (بأبيد) «٢» أنه تنبيه على كمال القدرة الربانية .. و أمثال ذلك مما لا أصل له الا التحكم المحض.

و ما حملهم على ذلك الا- اعتقادهم أن في ذلك تنزيها للصحابة عن توهم النقص في قلّة اجادة الخط، و حسبوا أن الخط كمال، فنزههم عن نقصه، و نسبوا اليهم الكمال بإجادته، و طلبوا تعليل ما خالف الإجادة من رسمه. و ليس ذلك بصحيح) «٣».

* و أما رأى الثالث فان أشهر القائلين به الامام العز بن عبد السلام رحمه الله المتوفى سنة ٦٦٠ هـ الذى يرى أنه لا- تجوز كتابة المصحف للعامة بالرسم العثماني الاول لثلا توقع هذه الكتابة في تغيير من الجهال.

و إليك كلامه كما نقله عنه الزركشى. قال الشيخ عز الدين بن عبد السلام: (لا تجوز كتابة المصحف الآن على الرسوم الاولى

باصطلاح الأئمة لثلا يوقع في تغيير من الجهال) «٤».

و من القائلين به من المعاصرين عدد من العلماء منهم العلامة الشيخ أحمد

(١) سورة النمل: ٢١.

(٢) سورة الذاريات: ٤٧.

(٣) «مقدمة ابن خلدون» ط وافي ٣/ ١٠٨٦-١٠٨٩ ط ٢، و في طبعه بولاق ٣٩٦، و في طبعه عبد الرحمن محمد في المطبعة البهية المصرية ٣٦٥، و في طبعه بيروت ٤١٩ و جاء كلام ابن خلدون هذا في الفصل الثلاثين في أن الخط و الكتابة من عداد الصنائع الانسانية.

(٤) «البرهان» ١/ ٣٧٩ و «إتحاف فضلاء البشر» ص ٩ و قد نقله أيضا المراغي في «تفسيره» ١/ ١٥.

لمحات في علوم القرآن و اتجاهات التفسير، ص: ١٣٦

مصطفى المراغي الذي قال في مقدمته تفسيره: (و قد جرينا على الرأي الذي أوجهه العز بن عبد السلام في كتابة الآيات أثناء التفسير للعلّة التي ذكرها، و هي في عصرنا أشد حاجة إليها من تلك العصور) «١».

و قد جرى الاستاذ سيد قطب- رحمه الله- على هذا الرأي فكتب الآيات في «الظلال» بالاملاء الحديث في الطبعة الأولى.

و يبدو أنه لا مانع عند أصحاب هذا الرأي من المحافظة على الرسم العثماني للخاصة باعتبار أنه من الآثار النفيسة التي ينبغي أن تبقى في أيدي العارفين.

و رأينا أن القول الأول غير صحيح، و أن أقرب هذه الأقوال للصواب هو القول الثالث و لئن قال العز بن عبد السلام: إن كتابة القرآن على الرسم العثماني توقع الجهال في زمانه في تغيير إن هذه الكتابة الآن توقع جمهور المثقفين و عامة الناس في هذا التغيير و التبديل، ذلك لأن الناس في زمانه كانوا يتلقون القرآن عن طريق المشافهة و الأخذ من الاستاذ في الكتاب، و الكتاب مدرسة قائمة على القرآن بشكل أصيل. و قد انقرضت هذه الكتابات اليوم من جميع انحاء العالم الاسلامي، و زاحمتها المدارس العصرية التي تقوم على مناهج متأثرة بحضارة الغرب، و وضعت في معظم بلاد المسلمين من قبل الاجانب أو تلامذتهم و عملائهم. و إذا نظرنا الى واقع المسلمين فقلما نجد مثقفا ممن خرّجته هذه المدارس و لم يتلق ثقافته من مصدر آخر قلما نجده يستطيع أن يقرأ القرآن قراءة سليمة.

و من أجل ذلك فاننا نرى أن يكتب القرآن للتعليم بالاملاء المعاصر و يحتفظ بالكتابة العثمانية أثرا نفيسا من آثار السلف. اننا بذلك نقرب القرآن للناس، و نحول دون أن تكون هناك هوة سحيقة بين الناس و بين

(١) «تفسير المراغي» ١/ ١٥.

لمحات في علوم القرآن و اتجاهات التفسير، ص: ١٣٧

القرآن، و تبقى المصاحف المكتوبة على الكتب الأولى دليلا على الاتصال بالاملاء السلف، و تطبع من أجل كثير ممن تعلموا القراءة في المصحف المكتوب تلك الكتابة، و من أجل معرفة القراءة الثابتة التي جعلوا من شروطها موافقة المصحف الامام.

أما أولئك الذين يظنون أنهم بمنعهم أي كتابة غير الكتابة الأولى يبقون على الكتابة ذاتها فهم مخطئون لأن الكتابة التي تجدها في المصاحف مشكولة منقوطة و ليست كذلك الكتابة الأولى، أضف الى ذلك أن عددا من طبعات المصاحف قد دخلها كثير أو قليل من التعديل في الاملاء.

و قد أحسن الاستاذ إبراهيم الابياري عند ما قال:

(و أخشى ما نخشاه نحن اليوم، أو بعد اليوم، أن يبقى القرآن برسمه القديم الذي يختلف و املاء العصر، فيخلق بلبلة على اللسان. و ما نحن في كل بيئة نملك حفاظا يضبطون الألسنة عن أن تلتوى، و إن ملكنا في كل بيئة حفاظا فمحال أن يجد كل قارئ حفاظا الى جواره.

يجب ان نخاف ما خافه السلف، و ان نحتاط كما احتاط السلف. و يجب أن نفصل بين وحي الله و اقلام الكتاب) «١».

*** نشر المصحف و طبعه في العصر الحاضر:

ما ان جاء العصر الحاضر و ظهرت الطباعة حتى شرعت المطابع تطبع المصحف و تعنى به عناية كبرى، و الطباعات الاولى طبعت اوربية اشرف عليها مستشرقون.

(١) «تاريخ القرآن» لابراهيم الايبارى ص ١٣٩ و انظر في رسم القرآن كتاب «تاريخ القرآن» لمحمد طاهر الكردى ص ١٠١ و ما بعدها و كتاب «القرآن المجيد» لمحمد عزة دروزة ص ١٢٨ و ما بعدها و كتاب «الفرقان» لابن الخطيب ص ٦٠ - ٩٠.

لمحات في علوم القرآن و اتجاهات التفسير، ص: ١٣٨

١- فقد طبع للمرة الأولى في البندقية من ايطاليا سنة ٩٣٧هـ / ١٥٣٠ م.

٢- ثم طبع في (هامبورغ) من المانيا سنة ١١٠٦هـ / ١٦٩٤ م.

٣- ثم طبع في (بادوا) من ايطاليا سنة ١١١٠هـ / ١٦٩٨ م.

٤- و الطبعة الاسلامية الأولى كانت في روسيا في مدينة (سانت بترس بورغ) سنة ١٢٠٢هـ / ١٧٨٧ م قام بها مولاي عثمان.

٥- ثم طبع في ايران طبعين حجريتين: الاولى في طهران سنة ١٢٤٤هـ / ١٨٢٨ م و الثانية في تبريز سنة ١٢٤٩هـ / ١٨٣٣ م.

٦- ثم توالى الطباعات المختلفة في اوربا، و من ذلك طبعة (فلوجل) للقرآن في (ليبزيغ) من المانيا سنة ١٢٥٠هـ / ١٨٣٤ م.

٧- و طبع مرات في الهند و الآستانه و البلاد العربية.

٨- و في سنة ١٣٣٧هـ / ١٩١٨ م. طبع المصحف طبعة جميلة مشرفة رائعة دقيقة دقة متناهية عرفت بطبعة الملك فؤاد. و قد أشرفت على طباعته لجنة مؤلفة من الاساتذة:

محمد على خلع الحسينى المتوفى سنة ١٣٥٧هـ / ١٩٣٩ م شيخ المقارئ المصرية.

و حفنى ناصف المتوفى سنة ١٣٣٨هـ / ١٩١٩ م المفتش الأول للغة العربية.

و مصطفى عنانى المتوفى سنة ١٣٦٢هـ / ١٩٤٣ م المدرس بمدرسة المعلمين الناصرية.

و احمد بن على الاسكندرى المتوفى سنة ١٣٥٧هـ / ١٩٣٨ م المدرس بمدرسة المعلمين الناصرية.

و في الطبعة الثانية للمصحف قام بتصحيحه و مراجعته مراجعة دقيقة على

لمحات في علوم القرآن و اتجاهات التفسير، ص: ١٣٩

المصحف الذى ظهر فى عهد الملك فؤاد شيخ المقارئ المصرية الشيخ على محمد الضباع مراجع المصاحف الشريفة بمشيخة المقارئ.

٩- و ما زالت المطابع تنشر الملايين من نسخ المصاحف، و لم تستطع طبعة أخرى أن تزاحم طبعة مصحف الملك فؤاد حتى الآن فى دقتها و جودتها.

لمحات في علوم القرآن و اتجاهات التفسير، ص: ١٤١

الباب الثالث علوم القرآن

إشارة

علوم القرآن هي المباحث التي تتعلق بالقرآن و جوانب منه. و يبدو أن عددا من الأئمة المتقدمين ألفوا كتباً في موضوعات تتصل بالقرآن، ذكر بعضها ابن النديم في «الفهرست» (١).
 و هذه هي المرحلة الأولى في نشوء ما عرف بعلوم القرآن.
 ثم جمعت هذه المباحث تحت عنوان (علوم القرآن)، ثم لم يلبث أن أصبح هذا العنوان علماً على علم بذاته، أرادوه أن يكون نظيراً لعلم المصطلح أو علوم الحديث.
 و من المفيد أن نذكر فيما يأتي بعض أسماء المؤلفين المتقدمين، و ما ألفوا من كتب في هذا الموضوع.
 فمن أقدم هؤلاء المؤلفين أولئك الذين تركوا كتباً في التفسير، من أشهرهم سعيد بن جبير المتوفى سنة ٩٥ هـ و شعبة بن الحجاج المتوفى سنة ١٦٠ هـ، و ابن جرير الطبري المتوفى سنة ٣١٠ هـ.
 و منهم أبو عبيدة المتوفى سنة ٢٠٩ هـ الذي ألف كتاب «غريب القرآن».

(١) «الفهرست» من ص ٥٦-٦٤.

لمحات في علوم القرآن و اتجاهات التفسير، ص: ١٤٢
 و مؤرخ السدوسي المتوفى سنة ١٩٥ هـ الذي ألف كتاب «غريب القرآن».
 و الأصمعي المتوفى سنة ٢١٤ هـ الذي ألف كتاب «لغات القرآن».
 و محمد بن أيوب الضريس المتوفى سنة ٢٩٤ هـ الذي ألف في موضوع المكي و المدني (١).
 و خلف بن هشام البزار المتوفى سنة ٢٢٩ هـ الذي ألف «كتاب القراءات».
 و أبو حاتم السجستاني المتوفى سنة ٢٤٨ هـ أو ٢٥٥ هـ الذي ألف كتاب «رسم القرآن» و كتاب «النقط و الشكل».
 و محمود بن الحسن الذي ألف كتاب «متشابه القرآن».
 و أبو عبيد القاسم بن سلام المتوفى سنة ٢٢٤ هـ الذي ألف كتاب «ناسخ القرآن و منسوخه».
 و الإمام الشافعي المتوفى سنة ٢٠٤ هـ الذي ألف كتاب «أحكام القرآن».
 و علي بن المديني المتوفى سنة ٢٣٤ هـ الذي ألف كتاب «أسباب النزول».
 و ابن قتيبة المتوفى سنة ٢٧٦ هـ الذي ألف كتاب «مشكل القرآن».
 الى غير ذلك من موضوعات لا يكاد يحصيها العد.
 أما أول من جمع هذه العلوم في كتاب واحد فمن الصعب الجزم

(١) حقق هذا الكتاب مسفر سعيد دماس بإشرافي و نال به شهادة الماجستير في جامعة الملك سعود سنة ١٤٠٣ هـ.

لمحات في علوم القرآن و اتجاهات التفسير، ص: ١٤٣

بتحديده، و يذكر الاستاذ الزرقاني (١) أن أول من ألف في علوم القرآن هو علي بن إبراهيم بن سعيد المشهور بالحوفي المتوفى سنة ٤٣٠ هـ و قد ترك كتاب «البرهان في علوم القرآن». و هذا غلط، و قد اوقع الزرقاني في هذا الغلط الخطأ في عنوان الكتاب، فليس اسمه كما ذكره، بل اسمه كما في «كشف الظنون» (٢): «البرهان في تفسير القرآن» و هو كتاب في التفسير لا في علوم القرآن.

ثم ألف ابن الجوزي المتوفى سنة ٥٩٧ هـ كتابين في علوم القرآن هما:
«فنون الأفتان في علوم القرآن» «٣» و «المجتبى في علوم تتعلق بالقرآن» «٤».
ثم ألف أبو شامة المتوفى سنة ٦٦٥ هـ كتاب «المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز» «٥».
ثم جاء الزركشى المتوفى سنة ٧٩٤ هـ و ألف كتابه المشهور: «البرهان»

(١) انظر «مناهل العرفان»: ٢٧/١ - ٢٨.

(٢) «كشف الظنون» ١/ ٢٤٢. أقول: و مخطوطة الكتاب موجودة، و قد بلغنى ان جامعة من الجامعات العربية تعترم طبعه. و انظر كتاب «المدخل لدراسة القرآن» لمحمد أبو شهبه ص ٣٥.

(٣) قال صلاح المنجد في «معجم المخطوطات المطبوعة» ٣/ ١٧: [نشره أحمد الشرقاوى و إقبال المراكشى فى الدار البيضاء سنة ١٩٧٠ م]. و لم أر هذه النشرة، ثم وقفت على طبعة سيئة جدا للكتاب نشرته مكتبة ابن سينا فى القاهرة سنة ١٤٠٨ (١٩٨٨) و على غلاف الكتاب ما يأتى:

فنون الأفتان فى عجائب علوم القرآن للحافظ ... ابن الجوزى - دراسة و تحقيق محمد إبراهيم سليم. و قد أفسد الكتاب إفسادا كبيرا، و جاء بما لم نعهده فى التحقيق. و إنا لله و إنا إليه راجعون. و انظر ما ذكره العلوجى فى «مؤلفات ابن الجوزى» حول هذا الكتاب ص ٤٠ و ص ١٣٠.

(٤) ذكر العلوجى فى ص ١٥٨ اماكن وجود مخطوطات لهذا الكتاب.

(٥) و قد حققه طيار آلتى قولاج و نشرته دار صادر فى بيروت سنة ١٣٩٥ هـ (١٩٧٥ م).

لمحات فى علوم القرآن و اتجاهات التفسير، ص: ١٤٤

فى علوم القرآن» «١».

ثم جاء البلقينى المتوفى سنة ٨٤٢ و ألف كتابه «مواقع العلوم من مواقع النجوم».

و أخيرا جاء السيوطى المتوفى سنة ٩١١ هـ و ألف كتابه الجامع:

«الاتقان فى علوم القرآن».

هذا و للمعاصرين كتب عدة فى علوم القرآن، منها الموجز و منها ما فوق ذلك و منها الجيد و منها ما دون ذلك.

و سندرس فى هذا الباب موضوعات ثلاثة هى: المكى و المدنى، و المحكم و المتشابه، و القراءات. و نرد القراء الراغبين فى الاطلاع على العلوم الاخرى من علوم القرآن، إلى مطالعة كتب علوم القرآن المطولة.

(١) طبعه محمد أبو الفضل إبراهيم و صدر فى أجزاء أربعة.

لمحات فى علوم القرآن و اتجاهات التفسير، ص: ١٤٥

الفصل الأول المكى و المدنى

إشارة

استمر نزول القرآن ثلاثا و عشرين سنة. و قد وقع خلال هذه المدة حادث عظيم لعله أعظم الأحداث فى حياة النبى صلى الله عليه و سلم بعد البعثة. هذا الحادث هو الهجرة الى المدينة المنورة.

و كان هذا القرآن الكريم يتنزل في مكة على النبي صلى الله عليه و سلم ليواجه به مجتمع الجاهلية العنيد، و ليوجه القلة المستضعفة المغلوبة على أمرها ممن آمن و اهتدى.

و لكنه في المدينة كان يواجه مجتمعا قائما على أساس الايمان و الانقياد لتعاليم هذا الدين، فكان من الطبيعي أن يكون هناك اختلاف بين موضوعات كل من المرحلتين، و يتبع هذا الاختلاف في الموضوع الاختلاف في خصائص الاسلوب.

لقد نزل القرآن ليربي أمة العقيدة، التي تبقى مهمتها ما بقيت على الأرض حياة ... فلا عجب إذن أن يتبين العلماء نوعين في هذا القرآن.

و إن مما يكاد يأخذ بالألباب هذه العناية التي لقيها هذا الكتاب الكريم، فلقد نقل المسلمون عن آياته: متى نزلت؟ حتى إننا لنستطيع القول: إنه ليست هناك آية إلا و قد ورد ما يدل على تاريخ نزولها. بل اننا لنجد أكثر من ذلك دلالة على العناية بالكتاب الكريم، فلقد ذكر المؤلفون في

لمحات في علوم القرآن و اتجاهات التفسير، ص: ١٤٦

علوم القرآن الحضري منه و السفري، و الليلي منه و النهاري، و الصيفي منه و الشتائي، و الفراشي و النومي، و ما الى ذلك من علوم تجدها في كتب علوم القرآن مما يؤكد هذه العناية، التي لم يعرفها تاريخ الفكر الانساني بالنسبة الى كتاب آخر سماوى أو ارضي.

*** تعريف المكي و المدني:

القول الصحيح الراجح أن المكي ما نزل من القرآن قبل الهجرة، و أن المدني ما نزل بعدها.

و هناك قولان آخران في تعريفهما لا يصحان و لا يطردان و هما:

١- المكي ما خوطب به أهل مكة، و المدني ما خوطب به أهل المدينة.

٢- المكي ما نزل في مكة، و المدني ما نزل في المدينة.

*** خصائص المكي:

١- نرى المكي غالبا يعالج موضوع بناء العقيدة بطريقة وجدانية و عقلية. و موضوعه الأساسي في اختصار كما يقول الاستاذ سيد قطب (حقيقته الألوهية و حقيقة العبودية و حقيقة العلاقات بينهما، و تعريف الناس بربهم الحق الذي ينبغي أن يدينوا له و يعبدوه، و يتبعوا أمره و شرعه، و تنحية كل ما أدخل على العقيدة الفطرية الصحيحة من غش و دخل و انحراف و التواء، ورد الناس الى إلههم الحق الذي يستحق الدينونة لربوبيته) «١».

(١) «في ظلال القرآن» ١١ / ٨٩ و انظر أيضا ٧ / ٢٩.

لمحات في علوم القرآن و اتجاهات التفسير، ص: ١٤٧

٢- و نرى في هذا النوع من القرآن جدالا للمشركين يبين خطأهم الواضح، و الغاءهم العقل، و اتباعهم العادات المألوفة، التي وجدوا عليها آباءهم، و نرى فيه هجوما عنيفا على الشرك و الوثنية و العادات القبيحة، و زجرا و تهديدا و وعيدا للكافرين الذين يصدون عن ذكر الله و يعرضون عن آياته.

٣- و نرى أن القرآن المكيّ يكثر من عرض قصص المكذبين.

٤- و نرى ان المكي يغلب على آياته القصر، و تكثر فيه كلمة (كلا) التي فيها زجر، و يكثر فيه افتتاح السور بالحروف من امثال (ق) و

(حم) و (كهيعص). قال الزركشي: (و كل سورة فيها حروف المعجم فهي مكية إلا البقرة و آل عمران. و في الرعد خلاف) «١». و أسلوب عرضه أسلوب موح عميق الايقاع، بالغ التأثير حيث تشترك في أداء هذا الغرض كل خصائص التعبير من البناء اللفظي إلى المؤثرات الموضوعية «٢».

خصائص المدني:

١- نرى المدني غالباً يعالج بناء المجتمع المسلم، قال ابن القيم: (خاطبهم بقوله يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا و الخطاب بذلك كله مدني، فأما الخطاب ب يا أَيُّهَا النَّاسُ فمشارك) «٣»، و يعالج بناء الاسرة المسلمة بتفصيل احكام الشريعة في نواحي الحياة المختلفة، من معاملات و زواج و طلاق و ميراث، كما نرى في سورة البقرة و سورة النساء المدنيتين. و كانت هذه الاحكام معتمدة على العقيدة و منبثقة عنها. و لا يعني هذا خلوّ المكّي من أحكام

(١) «البرهان» ١ / ١٨٨.

(٢) «في ظلال القرآن» ١١ / ٨٩ و ج ٢٩ ص ٧.

(٣) «زاد المعاد» ٢ / ٥٨.

لمحات في علوم القرآن و اتجاهات التفسير، ص: ١٤٨

تشريعية، بل هناك أحكام ترجع إلى العبادات و المعاملات، لكن كلامنا عن الغالب «١».

٢- و نرى في هذا النوع من القرآن فضحا للمناققين، و كشفاً لمؤامراتهم، و عرضاً لتناقضاتهم و تسفيها لشعاراتهم المخادعة التي يطرحونها، كما نرى في سورة النساء و سورة المائدة و سورة المنافقين.

٣- و نرى فيه مجادله لاهل الكتاب، و مناقشة لآرائهم التي تعارض أحيانا حقائق التاريخ و إليك المثال الآتي: كان اليهود يدعون ان إبراهيم يهودي و كانت النصراني تدعى انه نصراني، فنزل قوله تعالى: يا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ وَ الْإِنجِيلِ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ «٢».

٤- و نرى فيه ذكراً لاحكام الجهاد و الحرب و السلم و الهدنة مما يتصل بشئون الدولة المسلمة و علاقاتها الدولية كما في الأنفال و التوبة و محمد.

٥- و نلاحظ أن هذه الاغراض و غيرها عرضت بأسلوب يناسبها، فليس من شك في ان موضوع النص يحدد لون الاسلوب و طريقته، و لهذا فاننا نرى ان الآيات في القرآن المدني يغلب عليها الطول.

و لكن اسلوب القرآن في النوعين: المكّي و المدني يبقى هو الاسلوب المعجز الذي تميز عن اساليب البشر، و يبقى هو الاسلوب الذي بلغ الذروة في الجمال و البيان و الروعة.

كيف نعرف المكّي من المدني؟

نرجع في ذلك الى ما ورد عن الصحابة الذين عاصروا الوحي و شهدوا

(١) انظر كتاب شيخنا محمد الخضر حسين «محمد رسول الله» ص ١٦٥.

(٢) سورة آل عمران: ٦٦.

لمحات في علوم القرآن و اتجاهات التفسير، ص: ١٤٩

مكانه، و عاشوا أسباب نزوله. جاء في صحيح البخارى و مسلم «١» عن ابن مسعود رضى الله عنه قال: (و الله الذى لا إله غيره ما أنزلت سورة من كتاب الله إلا- أنا أعلم أين أنزلت؟ و لا أنزلت آية من كتاب الله إلا أنا أعلم فيم أنزلت؟ و لو أعلم أحدا أعلم منى بكتاب الله تبلغه الابل لركبت اليه) و قد أورد السيوطى فى «الاتقان» السور المدنية و السور المكية و السور التى اختلف فى تحديدها العلماء، و فصل فى ذلك تفصيلا جيدا. و ينبغى أن نشير الى أن بعض السور كان مؤلفا من النوعين المكى و المدني. و قد اشارت معظم المصاحف المطبوعة الى المكى و المدني منه، اعتمادا على ما ذكره العلماء.

*** فوائد معرفة المكى و المدني:

- ١- معرفة النسخ و المنسوخ على وجه يحدد لنا الحكم الباقى الواجب اتباعه.
- ٢- معرفة طريقة القرآن التى سلكها فى تنشئة الأمة المسلمة و تربيتها و الخطوات التى خطاها فى اقامة الدولة الاسلامية حتى يكون فى ذلك عبرة لدعاة الاصلاح، و قادة الفكر الاسلامى الذين يتطلعون الى استئناف الحياة الاسلامية من جديد.
- ٣- التعرف على مدى الخدمة الفائقة و العناية البالغة التى حظى بها القرآن الكريم من المسلمين من عهد الصحابة حتى يومنا هذا.

(١) انظر باب القراء من اصحاب النبى صلى الله عليه و سلم من «صحيح البخارى» ١٥٤ / ٦ و انظر باب فضائل عبد الله بن مسعود و أمه من «صحيح مسلم» ١٤٨ / ٧ و انظر «الكفاية» للخطيب ص ٥٦٩.

لمحات فى علوم القرآن و اتجاهات التفسير، ص: ١٥٠

٤- و اخيرا فاننا نستفيد من معرفتنا للمكى و المدني من القرآن فى فهم الآيه و تفسيرها على وجه افضل و اكمل، و لا سيما ان وقفنا مع ذلك على اسباب النزول. و من أوضح الأمثلة على ذلك آيات الجهاد التى نزلت على مراحل «١».

(١) انظر «زاد المعاد» ط الأرنؤوط بدمشق ١٥٨ / ٣ و «معالم فى الطريق» ط وهبه بمصر لسيد قطب: فصل الجهاد فى سبيل الله ص ٧٥. لمحات فى علوم القرآن و اتجاهات التفسير، ص: ١٥١

الفصل الثانى المحكم و المتشابه

إشارة

ذكر القرآن الكريم نفسه أن منه آيات محكمات، و أن منه آيات متشابهات، و ذلك فى قوله تعالى: هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَ أُخْرُ مُتَشَابِهَاتٌ. فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَ ابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ. وَ مَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ. وَ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ: آمَنَّا بِهِ. كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَ مَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ «١» و سنعرف المراد من (المحكم) و (المتشابه)، و لكننا نود قبل ذلك أن نشير إلى أن هاتين الكلمتين وردتا بمعنى آخر فى آيات آخر من كتاب الله. من ذلك قوله تعالى: كِتَابٌ أَحْكَمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ «٢» أى أحكمت فى النظم و الرصف.

و من ذلك قوله تعالى: اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِي تَفْشَعُرُ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَ قُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ. ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ. وَ مَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ «٣».

(١) سورة آل عمران: ٧.

(٢) سورة هود: ١.

(٣) سورة الزمر: ٢٣.

لمحات في علوم القرآن و اتجاهات التفسير، ص: ١٥٢

أى يشبه بعضه بعضا في الهداية و البلاغة و السلامة من التناقض و التفاوت و يصدق بعضه بعضا. و هاتان الكلمتان: (المحكم و المتشابه) جاءتا في آيتي هود و الزمر على أنهما وصف للقرآن كله، فهو كتاب أحكمت آياته كلها في النظم، و تشابهت آياته كلها في الحسن و البلاغة و التأثير. بينما تدل آية آل عمران التي أوردنا في مطلع هذا البحث على أن بعض آيات القرآن محكم و بعضها متشابه. فما تعريفهما؟

تعريف المحكم و المتشابه

المحكم - لغة - اسم مفعول من أحكم؛ أى أتقن. يقال: بناء محكم، أى متقن لا وهن فيه و لا خلل.

و المتشابه - لغة - اسم فاعل من تشابه أى أشبه بعضه بعضا.

أما من ناحية الاصطلاح فللعلماء تعريفات عدة لهما. و أحسن هذه التعريفات التعريف الآتى:

المحكم: ما عرف المراد منه إما بالظهور و إما بالتأويل «١».

و المتشابه: ما تعدد ذلك. و استأثر الله بعلمه، كقيام الساعة، و الحروف المقطعة في أوائل السور «١».

قال القرطبي: هذا أحسن ما قيل في المتشابه.

و قيل في تعريفهما: المحكم: ما لا يحتمل إلا وجهها واحدا و المتشابه: ما احتمل أوجها فاشتبه منه مراد المتكلم على السامع «٣».

(١) «تفسير القرطبي» ١٠ / ٤ و «الاتقان» ٢ / ٢ و «الكليات» ٢٥٧ / ٤.

(٣) «الكليات» ٢٥٧ / ٤ و انظر تعريفات أخرى أوردتها السيوطي في «الاتقان» و انظر «الاحكام في أصول الأحكام» للآمدى طبع الرياض

١ / ١٦٥ سنة ١٣٨٧ هـ.

لمحات في علوم القرآن و اتجاهات التفسير، ص: ١٥٣

إذن فالمحكم و المتشابه نوعان موجودان في القرآن، و يتعلقان - كما رأيت - بوضوح المعنى و عدمه.

و هذا أمر طبيعي فالتفاوت في الوضوح يوجد في كل كلام، فهناك الواضح الذى لا غموض فيه و لا يحتاج إلى جهد في فهمه و تفسيره، بل معناه مفهوم يتبادر الى الذهن مباشرة، و هناك نصوص محتملة ليست في تلك الدرجة من الوضوح، و لا يقوى الناس جميعا على فهمها و إدراك مغزاها.

و الآية المتقدمة تشير إلى أن الذين يريدون الحق لا يذهبون الى تلك النصوص المتشابهة و يحملونها ما لا تحمل، و لا يستغلون غموضها لتأويلها.

بما يتناسب و اغراضهم، فذلك فعل الذين في قلوبهم زيغ، و أما المؤمنون العلماء فانهم يلتزمون الواضح فيعملون به و يؤمنون بالمتشابه انه من عند الله، و يدعون محاولة التعسف في فهمه و تأويله.

*** هل المتشابه مما يمكن معرفته؟

اختلف العلماء في ذلك على قولين:

الأول: انه يمكن الاطلاع على علم المتشابه للراسخين في العلم الذين يعلمون تأويله، و اختار هذا القول الامام النووي فقال في «شرح مسلم»:

إنه الاصح، لانه يبعد أن يخاطب الله عباده بما لا سبيل لاحد من الخلق إلى معرفته.

الثاني: أنه لا يمكن لأحد الاطلاع على علمه و لا يعلمه الا الله، و أما الراسخون في العلم فانهم يقولون: آمننا به كل من عند ربنا.

و أيد السيوطي هذا القول بأنه قول اكثر الصحابة و التابعين.

لمحات في علوم القرآن و اتجاهات التفسير، ص: ١٥٤

و هذا الرأي الذي نرجحه، و هو الصواب إن شاء الله تعالى.

و قد اختص الله بمعرفته كما قال عز من قائل: فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَ ابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ. وَ مَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ. وَ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَ مَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ.

و هذا القول يقتضى الوقوف على قوله وَ مَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ ثم تأتي واو الاستئناف و يبدأ كلام جديد هو: وَ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا. و مما يدل على ذلك ما ذكر ابن قدامة في «روضه الناظر» حيث قال:

[... لأن في الآية قرائن تدل على أن الله سبحانه متفرد بعلم المتشابه، و أن الوقوف الصحيح عند قوله تعالى وَ مَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ لفظاً و معنى:

أما اللفظ فلأنه لو أراد عطف (الراسخين) لقال: (و يقولون آمننا به) بالواو.

و أما المعنى فلأنه ذم مبتغى التأويل، و لو كان ذلك للراسخين معلوماً لكان مبتغيه ممدوحاً لا مذموماً.

و لأن قولهم آمنا به يدل على نوع تفويض و تسليم لشيء لم يقفوا على معناه، سيما إذا أتبعوه بقولهم كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا فذكرهم ربهم هاهنا يعطى الثقة به و التسليم لأمره، و أنه صدر من عنده كما جاء من عنده المحكم.

و لأن لفظه (أما) لتفصيل المجمل. فذكره لها في الذين في قلوبهم زيغ مع وصفه إياهم باتباع المتشابه و ابتغاء تأويله يدل على قسم آخر يخالفهم في هذه الصفة و هم الراسخون.

لمحات في علوم القرآن و اتجاهات التفسير، ص: ١٥٥

و لو كانوا يعلمون تأويله لم يخالفوا القسم الأول في ابتغاء التأويل و إذ قد ثبت أنه غير معلوم التأويل لأحد فلا يجوز حمله على غير ما ذكرنا] «١».

و ممّا يؤيد أن الواو استثنائية لا- عاطفة دلالة الاستقراء في القرآن ذلك أنه تعالى إذا نفى عن الخلق شيئاً و أثبت لنفسه فقد دل الاستقراء- كما يقول الأستاذ الشنقيطي في «أضواء البيان»- [أنه لا يكون له في ذلك الاثبات شريك كقوله تعالى قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ «٢».

و قوله لَا يُجَلِّيهَا لِوَفْتِهَا إِلَّا هُوَ «٣».

و قوله كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ «٤».

فالمطابق لذلك أن يكون قوله وَ مَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ معناه أنه لا يعلمه إلا هو وحده كما قاله الخطابي و قال: لو كانت الواو في قوله وَ الرَّاسِخُونَ للنسق- أى للعطف- لم يكن لقوله كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا فائدة.

و القول بأن الوقف تام على قوله إِلَّا اللَّهُ و أن قوله وَ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ ابتداء كلام هو قول جمهور العلماء للأدلة القرآنية التي ذكرنا. و ممن قال بذلك عمر و ابن عباس و عائشة و عروة بن الزبير و عمر بن عبد العزيز و ابن مسعود و أبي بن كعب و غيرهم كثير] «٥».

أنواع المحكم:

المحكم درجات في وضوحه، و من أجل ذلك يتفاوت الناس في

(١) روضة الناظر ١/ ١٨٦- ١٨٩ طبع مكتبة المعارف بالرياض سنة ١٤٠٤ هـ (١٩٨٤).

(٢) سورة النمل: ٦٥.

(٣) سورة الأعراف: ١٨٧.

(٤) سورة القصص: ٨٨.

(٥) «أضواء البيان» ٢/ ٢٣٦.

لمحات في علوم القرآن و اتجاهات التفسير، ص: ١٥٦

استيعابه كله و فهمه و الإحاطة بمعانيه و مدلولاته.

فهناك آيات و اضحات جدا يستطيع أن يفهمها الناس العاديون الذين عرفوا اللغة العربية و وعوها.

* و هناك آيات لا يفهمها إلّا العلماء الواقفون على أسرار العربية القادرون على الإفادة من قواعد الاستنباط و أصول الفقه و قواعد البلاغة و الذين أوتوا موهبة التدوّق للكلام الجميل، و هذا التفاوت في الوضوح أمر مشاهد معروف حتى في كلام البشر، فهذه مواد القوانين لا يستوى الخاصّة من القضاة في فهمها، و هذه القوائد الشعرية، و النصوص النثرية متفاوتة في وضوحها و فيها نصوص لا يفهمها و لا يتدوّقها إلا من أوتي حظا حسنا من الثروة اللغوية و الحسّ الجمالي. و إدخال الآيات التي من هذا القبيل في المتشابه غلط دون شك.

أنواع المتشابه:

المتشابه أنواع بحسب موضوعه، و ذلك كالحروف المقطعة و معرفة وقت الساعة «١»، و معرفة حقيقة ما تدل عليه الأسماء و الصفات و ما إلى ذلك.

و كل ذلك مما لا يعلم تأويله إلا الله تبارك و تعالى. و هو درجات فبعضها أشدّ تشابها من بعض. هذا ما نراه في أنواع المتشابه. أما العلماء الذين يقولون: إنّ المتشابه يمكن أن يعرف فقد ذكروا أنواعا عدة له، و معظمها من المحكم الذي لا يعرفه إلا العلماء المتدوّقون مما سبق ذكره آنفا.

و توسعوا في ذلك توسعا كبيرا حتى جعلوا الكلمة الغريبة التي يكشف عن معناها في كتب غريب القرآن أو معجمات اللغة جعلوها من المتشابه.

و قسموا المتشابه تقسيمات متعددة، و سلّم بهذه التقسيمات إماما سريعا، و إن كنا لا نسلّم بصحتها كلها.

(١) أنظر مقدمة الطبري لتفسيره ١/ ٧٤ تحقيق محمود شاكر.

لمحات في علوم القرآن و اتجاهات التفسير، ص: ١٥٧

التقسيم الأول:

ذكروا أنّ المتشابه ثلاثة أنواع:

١- متشابه من جهة اللفظ: و هو الذى أصابه الغموض بسبب اللفظ و هو نوعان:

أ- نوع يرجع إلى الألفاظ المفردة: و ذكروا له ضربين:

ضربا يرجع إلى الغرابة مثل (الأب) فى قوله تعالى: وَ فَآكِهَةٌ وَ أَبًا «١».

و ضربا يرجع إلى الاشتراك «٢».

ب- نوع يرجع إلى جملة الكلام المركب: و ذكروا لذلك ثلاثة أضرب:

ضرب ينشأ عن اختصار الكلام.

و ضرب ينشأ عن بسط الكلام.

و ضرب ينشأ بسبب نظم الكلام.

و ذكروا لكل من هذه الأنواع أمثلة تفنع المرء بأن الذى ذهبوا إليه فى تفسير المتشابه غير صحيح.

٢- و متشابه من جهة المعنى: و هو الذى أصابه الغموض بسبب المعنى نفسه. و ذكر الراغب فى «مفرداته» أن منه أوصاف الله تعالى و أوصاف القيامة؛ إذ هو سبحانه ليس كمثل شىء، و أحوال القيامة ممّا لا نستطيع تصورها، لأن فيها ما لا عين رأت و لا أذن سمعت و لا خطر على قلب بشر.

و قد ذهب ابن تيمية رحمه الله إلى أن اعتبار آيات الصفات من المتشابه

(١) سورة عبس: ٣١.

(٢) أنظر فى الاشتراك «المزهر» ١/ ٣٦٩ و «فقه اللغة» لمحمد المبارك ١٩٨ و كتب فقه اللغة الأخرى.

لمحات فى علوم القرآن و اتجاهات التفسير، ص: ١٥٨

غلط، و ردّ على القائلين بذلك ردّا مفصلا «١»، و إن كان قد قرّر أنّ حقيقة ما تدلّ عليه الآيات من حقائق الأسماء و الصفات من المتشابه الذى لا يعلمه إلا الله، قال: (و أما حقيقة ما دلّ عليه ذلك من حقائق الأسماء و الصفات فهذا من تأويل المتشابه الذى لا يعلمه إلا الله) «٢».

٣- و متشابه من جهتهما- أى من جهة اللفظ و المعنى- و ذكروا له خمسة أنواع «٣».

التقسيم الثانى:

و ذكروا للمتشابه تقسيما آخر من حيث إمكانية معرفته فقالوا: إنه ينقسم إلى ثلاثة أقسام «٤»:

١- قسم لا سبيل إلى الوقوف عليه كوقت الساعة و خروج الدابة.

٢- و قسم للانسان سبيل إلى معرفته كالألفاظ الغريبة.

٣- و قسم متردد بين الأمرين، يختصّ بمعرفته بعض الراسخين فى العلم و يخفى على من دونهم.

قلت: و المتشابه من هذه الأضرب هو الأول. أما الألفاظ الغريبة و الضرب الذى يستطيع إدراكه الراسخون فى العلم فهو من المحكم، لأنّ المحكم- كما ذكرنا آنفا- يتفاوت و وضوحا و سهولة، فمنه ما يحتاج إلى مزيد نظر و تأمل ليوقف المرء على معناه و حقيقته.

المنحرفون و المتشابه:

المؤمنون يتبعون المحكم و يؤمنون بالمتشابه و يقولون: آمنا به كل من

(١) «الفتاوى» ٢٩٤ / ١٣.

(٢) «الفتاوى» ٦٥ / ٣.

(٣) أنظرها في «المفردات» ٢٦١ و «الاتقان» ٥ / ٢.

(٤) وانظر «المفردات» و «الاتقان» و «الكليات» ٢٥٩ / ٤.

لمحات في علوم القرآن و اتجاهات التفسير، ص: ١٥٩

عند ربنا، و الذين في قلوبهم زيغ يتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة.

هذه حقيقة قررتها الآية الكريمة، و جاء التاريخ تطبيقا واقعا لمضمونها، فما من فرقة ضالة أرادت كسب الأنصار إلى آرائها إلا و

لجأت إلى المتشابه تؤوله على الوجه الذي يروق لها و يتفق مع أصولها و مبادئها ...

و في ذلك تشويه لصورة هذا الدين و نيل منه و إخراج للآيات عن حقيقتها.

و يبدو أن هذا مسلك طبيعي للمنحرفين، ذلك لأن المحكم من آيات القرآن الواضح الدلالة لا مجال فيه للفساد و الافتراء و التحريف

... أما الكلام الذي يكون غير واضح المعنى ففيه المجال الرحب أمام تلك الفرق المنحرفة لتقول: إن المراد بهذه الآية هو كذا و كذا.

و تأتي بضلالاتها و تقررها.

و إذا كان المنحرفون قد أقدموا على تفسير المحكم تفسيراً باطلاً فإنهم في المتشابه أشد إفساداً و تحريفاً.

ذكر ابن الجوزي نقلاً عن غلاة الشيعة الذين يعتقدون بعقيدة التناسخ الباطلة و ينكرون القيامة، فنقل عنهم قولهم: (و أما النفوس

المنكوسة المغموسة في عالم الطبيعة المعرضة عن طلب رشدتها من الأئمة المعصومين فإنها أبداً في النار، على معنى أنها تناسخ في

الأبدان الجسمانية و كلما فارقت جسداً تلقاها آخر و استدلووا بقوله تعالى: كَلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُوداً غَيْرَهَا «١» «٢».

و نقل ابن الجوزي عنهم أنهم يفسرون الصيام بالامساک عن كشف السر، و يفسرون البعث يوم القيامة بالاهتداء إلى مذاهبهم «٣». و

هذا كله

(١) النساء: ٥٦.

(٢) القرامطة لابن الجوزي بتحقيقنا ص ٦١.

(٣) القرامطة لابن الجوزي بتحقيقنا ص ٦٤.

لمحات في علوم القرآن و اتجاهات التفسير، ص: ١٦٠

باطل من القول و تعطيل للنصوص، و تضييع للواجبات. إذا كان صنيعهم بالنصوص المحكمة هكذا فما ذا يكون موقفهم من

المتشابه؟.

إنهم دون شك سيجدون فيه بغيتهم، فيذهبون في تحريف النص و تأويله المذاهب التي تنصر باطلهم.

و سأضرب مثلاً واحداً على اتباع المتشابه من قبل بعض الفرق الزائغة و هذا المثل هو الحروف المقطعة التي تأتي في أوائل بعض

السور.

و الموقف السليم في تفسيرها أن الله أعلم بمراده.

و لكن الناس المنحرفين وقفوا منها مواقف غريبة أذكر منها موقفين منكرين:

* فقد ذهب فريق منهم يفسرون هذه الحروف على أنها رموز لكلمات يستدلون منها على أحقية سيدنا على بالخلافة ... بل استدل بها

بعضهم على أن علياً كان أحق بالرسالة من محمد صلى الله عليه و سلم كما ذكر ذلك السيد محمد رشيد رضا «١»، و هذا باطل دون

شك.

* و ذهب فريق ثان يفسرون هذه الحروف بحساب الجمل و يستنتجون من ذلك وقت قيام الساعة، و يهدون بهديانات باطله «٢». و هكذا فإن الاتجاه إلى تأويل المتشابه على النحو المذكور ليس له دليل من عقل و لا نقل، و هو وسيلة من وسائل نشر الزيغ و الانحراف.

(١) أنظر كتابه «الوحدة الاسلامية» من ص ٢٦ حتى ٢٩ طبع المكتب الاسلامي.
(٢) و انظر «تفسير البيضاوي» ١/ ٤٤ و «البحر المحيط» ١/ ٣٤ و «الدر المنثور» ١/ ٢٣ و ٢/ ٥. و (الجمل) على وزن (سكر) و انظر «تاج العروس» ٧/ ٢٦٤.

لمحات في علوم القرآن و اتجاهات التفسير، ص: ١٦١

فوائد المتشابه:

قد يرد سؤال هو: ما الحكمة في إنزال المتشابه و وجوده في الكتاب العزيز؟ و الجواب على ذلك أن فوائد المتشابه تختلف بالنسبة إلى ما يمكن علمه و إلى ما لا يمكن علمه «١».

أولاً: فوائد المتشابه الذي يمكن علمه عديدة نذكر منها أربعا هي:

١- حث العلماء على النظر الموجب للعلم بغوامضه و البحث عن دقائقه.

٢- ظهور التفاضل و تفاوت الدرجات إذ لو كان القرآن كله محكما لا يحتاج الى تأويل لاستوت منازل الخلق و لم يظهر فضل العالم على غيره.

٣- الحصول على الثواب الأكبر، ذلك لأن المتشابه يوجب مزيد المشقة في الوصول الى المراد، و زيادة المشقة توجب مزيد الثواب.

٤- تحصيل العلوم الكثيرة، ذلك لأن المتشابه يوجب فهمه التعمق في معرفة النحو و المعاني و غيرها و الوقوف على أساليب العرب و العلوم الأخرى.

هذا على رأى الذين يسمون هذا النوع من الكلام متشابها و قد ذكرنا رأينا في ذلك واضحا.

ثانيا: فوائد المتشابه الذي لا يمكن علمه عديدة نذكر منها أربعا و هي:

١- ابتلاء العباد بالوقوف عنده، و التوقف فيه، و التفويض و التسليم، و التعبد بالاشتغال به من جهة التلاوة كالمسوخ و ان لم يجز العمل بما فيه.

و في ذلك اختبار إيمان المؤمن الذي يستسلم لكل ما جاءه عن الله فهو يؤمن بما جاءه من عند الله، فهمه أم لم يفهمه، و يردد عند قراءته: آمنا به كل من عند ربنا.

(١) أنظر «البرهان» للزرکشی ٢/ ٧٥.

لمحات في علوم القرآن و اتجاهات التفسير، ص: ١٦٢

٢- و من حكم وجود المتشابه الذي استأثر الله بعلمه في القرآن استكمال جوانب التأثير في العقيدة، و ذلك لتوافر للعقيدة الصفة المهمة التي تجعلها عقيدة تملأ النفس، و تحوز الإعجاب. قال الأستاذ سيد قطب رحمه الله: [إن العقيدة التي لا غيب فيها و لا مجهول، و لا حقيقة أكبر من الإدراك البشري المحدود ليست عقيدة، و لا تجد فيها النفس ما يلبي فطرتها و أشواقها الخفية إلى المجهول المستتر وراء الحجب المسدلة] «١».

و هذا أمر مشاهد يدركه الواعون المتتبعون لأحوال الناس الشباب خاصة في ديار الغرب، الذين يندفع عدد منهم إلى تبني عدد من الأفكار التي تدعو إلى أمور غيبية بعيدة عن دنيا الواقع.

إنها فطرة الله .. من أجل ذلك كان المتشابه في القرآن يؤدي دورا ضخما في ملء هذا الجانب في النفس الإنسانية.

٣- إقامة الحجج على الناس جميعا بهذا الكتاب، الذي جاء بكل ما يتطلع الناس إليه أفرادا و جماعات، سواء كان في العقيدة التي تنأى عن الخرافة و الباطل، و تدعو إلى الإيمان بحقائق يدرك الناس بعضها و يعجز العقل البشري عن إدراك بعضها، أو كان في التشريع المتكامل أو في الحياة الروحية السامية التي أقامها بين الناس.

٤- و ذكر العلماء أيضا أن من حكم المتشابه إقامة الحجج على العرب البلغاء الأبياء حيث نزل القرآن بلغتهم، و مع ذلك فقد عجزوا عن الوقوف على معنى بعض الآيات، فدل ذلك على أنه منزل من عند الله تبارك و تعالى.

*** هذا و مبحث المحكم و المتشابه من المباحث التي كثر الكلام فيها

(١) خصائص التصور الاسلامي ص ١١٤ (في أول كلامه عن التوازن).

لمحات في علوم القرآن و اتجاهات التفسير، ص: ١٦٣

و التأليف و قد يجعل بعضهم المحكم قسيما للمنسوخ. و نحسب أن ما ذكرنا في هذا الفصل يمكن أن يعدّ من معالم هذا المبحث الواسع، و للقارئ الراغب في التوسع ان يرجع إلى المراجع التي ذكرت في حواشي هذا البحث «١».

(١) أنظر في المحكم و المتشابه كتب أصول الفقه و نذكر منها:

«الموافقات» ٥٦/٣ و «المستصفي» و «البرهان» للجويني ٤٢٢/١ و «الاحكام» للآمدى ١٦٥/١ و «إرشاد الفحول» ٣١ و «أصول الفقه» لخلاف و «اصول الفقه» للخضري ١٤١-١٥٦ و «أصول الفقه» لمحمد أبي زهرة و كتب التفسير، و نذكر منها:
«تفسير الطبري» ١٦٩/٦ و «تفسير القرطبي» ٩/٤ و «فتح القدير» للشوكاني و «تفسير القاسمي» و «أضواء البيان» ٢٣٣/١ و «تفسير المنار» ٢٣٠-١٦٣/٣ و «تفسير سورة الاخلاص» لابن تيمية، و الكتب المؤلفة في هذا الموضوع، و نذكر منها «الاكليل في المتشابه و التأويل» لابن تيمية.

لمحات في علوم القرآن و اتجاهات التفسير، ص: ١٦٤

الفصل الثالث القراءات

تعريفها:

القراءات: جمع قراءة، و هي في اللغة مصدر قرأ.

و في الاصطلاح: علم بكيفية أداء كلمات القرآن من تخفيف و تشديد و غيرهما، و اختلاف ألفاظ الوحي في الحروف. و قال الزركشي في «البرهان»:

القرآن و القراءات حقيقتان متغايرتان، فالقرآن هو الوحي المنزل على محمد صلى الله عليه و سلم للبيان و الاعجاز، و القراءات هي اختلاف ألفاظ الوحي المذكور في الحروف و كفيتهما من تخفيف و تشديد و غيرهما «١».

و لا بد فيها من التلقى و المشافهة، لأن في القراءات أشياء لا تحكم إلا بالسمع و المشافهة.

شروط القراءة الصحيحة:

اشترط القراء شروطا ثلاثة لصحة القراءة و اعتبارها، و هي:

١- موافقتها لرسم المصحف الامام «٢».

(١) «البرهان» ٣١٨ / ١ و انظر «الاتقان» ٨٠ / ١.

(٢) انظر النقول التي ساقها السيوطي في اشتراط موافقة مصحف من مصاحف عثمان. في الاتقان» ٧٥ / ١.

لمحات في علوم القرآن و اتجاهات التفسير، ص: ١٦٥

٢- نقلها بالتواتر: هذا مذهب الاصوليين و فقهاء المذاهب الأربعة و المحدثين، و بناء على ذلك فلا تثبت القراءة بالسند الصحيح غير المتواتر و لو وافقت رسم المصحف و وافقت وجهها من وجوه العربية «١».

٣- موافقتها لوجه من وجوه العربية.

و متى اختل ركن من هذه الأركان الثلاثة أطلق عليها شاذة، و قد يطلقون عليها ضعيفة أو باطله. قال ابن الجزري في أول كتابه «النشر» بعد أن ذكر هذه الشروط: «و متى اختل ركن من هذه الأركان الثلاثة أطلق عليها ضعيفة أو شاذة أو باطله سواء كانت عن السبعة أم عن أكبر منهم. و هذا هو الصحيح عند ائمة التحقيق من السلف و الخلف» «٢».

و قال الكواشي: (و متى فقد شرط من الثلاثة فهو من الشاذ) «٣».

أما إذا توافرت هذه الأركان فهي القراءة الصحيحة التي لا يجوز ردها و لا يحل إنكارها، بل هي من الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن، و وجب على الناس قبولها سواء أ كانت عن الائمة السبعة أم عن غيرهم من الائمة المشهورين «٤»

القراءات وحي:

و القراءات وحي تلقاه الرسول صلى الله عليه و سلم من جبريل، و قرأه الرسول على

(١) انظر «غيث النفع» للصفافسي ص ١٧ المطبوع مع «شرح الشاطبية» لابن القاصح المسمى «سراج القارئ المبتدى و تذكارة المقرئ

المنتهى» و انظر «النشر» لابن الجزري و انظر تعليق سعيد الافغانى حول هذه النقطة في كتابه «اصول النحو» ص ٥٩ و انظر «البرهان» ٨١ / ٣١٩ و «الاتقان» ٧٦ / ١ و ٨٠.

(٢) «النشر» لابن الجزري.

(٣) «الاتقان» ٨١ / ١.

(٤) انظر «النشر» لابن الجزري ٩ / ١.

لمحات في علوم القرآن و اتجاهات التفسير، ص: ١٦٦

الصحابة، و نقلت عنه بالتواتر كما ذكرنا آنفا.

فقد ثبت في الصحاح عن عائشة و ابن عباس أن جبريل كان يعارض النبي صلى الله عليه و سلم بالقرآن في كل عام مرة، فلما كان العام الذي قبض فيه عارضه مرتين «١»:

عن عائشة رضى الله عنها قالت: كان أزواج النبي صلى الله عليه و سلم عنده، فأقبلت فاطمة تمشي، ما تخطئ مشيتها من مشية رسول الله شيئا، فلما رآها رحب بها و قال: «مرحبا بابنتي» ثم أجلسها عن يمينه- أو عن شماله- و سارّها، فبكت بكاء شديدا، فلما رأى جزعها سارّها الثانية فضحكت. فقلت لها:

خصك رسول الله صلى الله عليه و سلم من بين نساءه بالسرار ثم أنت تبكين؟
فلما قام رسول الله صلى الله عليه و سلم سألتها: ما قال لك رسول الله صلى الله عليه و سلم؟ قالت:
ما كنت أفشى على رسول الله صلى الله عليه و سلم سرّه. فلما توفى رسول الله صلى الله عليه و سلم قالت:
عزمت عليك بما لى عليك من الحق لما حدثتني ما قال لك رسول الله صلى الله عليه و سلم.
فقلت: أما الآن فنعم، أما حين سارني في المرة الأولى، فأخبرني أن جبريل كان يعارضه القرآن في كل سنة مرة، و أنه عارضه الآن
مرتين «و إنى لا أرى الأجل إلا قد اقترب فاتقى الله و اصبرى، فإنه نعم السلف أنا لك» فبكيت بكائي الذى رأيت، فلما رأى جزعى
سارني الثانية فقال:
«يا فاطمة أما ترضين أن تكوني سيدة نساء المؤمنين؟ أو سيدة نساء هذه الأمة؟» فضحكت ضحكى الذى رأيت «٢».

(١) انظر «فتاوى ابن تيمية» ٣٩٥ / ١٣ و «النشر» ٣٢ / ١.

(٢) متفق عليه، و هذا لفظ مسلم. و انظره في «صحيح مسلم» ١٤٢ / ٧ و في «صحيح البخارى» ١٦٣ / ٤. و انظره في «رياض الصالحين»
باب حفظ السر ص ٣٠٣، و انظر الحديث من رواية أبى هريرة أيضا في «مسند أحمد» ٣٣٦ / ٢ و ٣٥٥ و «ابن ماجه» ١ / ٥٦٢ و
«الدارمي» ٢٧ / ٢.

لمحات في علوم القرآن و اتجاهات التفسير، ص: ١٦٧

و كانت هذه العرضة الأخيرة تتضمن طرقا مختلفة لاداء بعض الكلمات، كما كانت تتضمن اختلافات بعض ألفاظ الوحي.
و من المعلوم أن الصحابة قد اختلف أخذهم عن رسول الله صلى الله عليه و سلم، فمنهم من أخذ عنه طريقه ما، و منهم من أخذ
طريقه أخرى، ثم تفرقوا في البلاد و هم على هذا الحال، فاختلف بسبب ذلك أخذ التابعين عنهم، و أخذ تابعى التابعين عن التابعين و
هلم جرا .. حتى وصل الأمر على هذا النحو إلى الأئمة القراء الذين سجلوا هذه القراءات ... و كانت القراءات المختلفة.

*** حديث الأحرف السبعة:

لمس المسلمون أثر هذا الاختلاف في القراءة الذى أشرنا اليه في عهد النبوة، كما في حديث عمر و هشام الآتى، و هو حديث
الاحرف السبعة.

و قد التبس أمر هذا الحديث على كثير من الناس، حيث ظن بعضهم ان المراد بالأحرف السبعة القراءات السبع، و هو وهم أشار اليه
الامام الحافظ أبو شامة بقوله:

(ظن قوم أن القراءات السبع الموجودة الآن هي التي أريدت في الحديث، و هو خلاف إجماع أهل العلم قاطبة، و إنما يظن ذلك
بعض أهل الجهل) «١».

و قال ابن عمار أيضا:

(لقد فعل مسبح هذه السبعة ما لا ينبغي له، و أشكل الأمر على العامة بإيهامه كل من قل نظره أن هذه القراءات هي المذكورة في
الخبر، وليته اذ

(١) ذكر ذلك ابن حجر في «فتح البارى» ٣٠ / ٩ و انظر «تفسير الطبرى» ٦٥ / ١ و تعليق محمود محمد شاكر.

لمحات في علوم القرآن و اتجاهات التفسير، ص: ١٦٨

اقتصر نقص على السبعة أو زاد ليزيل الشبهة) «١».

وقد ذهب بعض أهل العلم الى أن حديث الأحرف السبعة تواتر عن النبي صلى الله عليه وسلم، و ألف فيه كثير من العلماء رسائل خاصة «٢». و ممن ألف في الحديث المذكور الامام الحافظ أبو شامة المتوفى سنة ٦٦٥ هـ و ابن الجزرى المتوفى سنة ٨٣٣ هـ الذى ألف فيه جزءا تتبع رواياته ليدل على أنه متواتر.

و نصّ الحديث كما أخرجه البخارى و مسلم عن عمر بن الخطاب قال:

سمعت هشام بن حكيم يقرأ سورة الفرقان فى حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستمعت لقراءته فإذا هو يقرأها على حروف كثيرة لم يقرئها رسول الله صلى الله عليه وسلم فكذبت أساوره «٣» فى الصلاة، فانتظرت حتى سلم، ثم لبثته بردائه «٤» فقلت: من أقرأك هذه السورة؟ قال: أقرأنيها رسول الله صلى الله عليه وسلم.

قلت له: كذبت، فو الله ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أقرأني هذه السورة التى سمعتك تقرأها. فانطلقت أقوده إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم. فقلت: يا رسول الله إنى سمعت هذا يقرأ بسورة الفرقان على حروف لم تقرأها، و أنت أقرأنى سورة الفرقان. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أرسله يا عمر. اقرأ يا هشام».

فقرأ هذه القراءة التى سمعته يقرأها، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «هكذا أنزلت» ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ان هذا القرآن انزل على سبعة أحرف. فاقروا ما تيسر منه» و اللفظ للبخارى «٥».

(١) انظر «فتح البارى» ٣٠ / ٩.

(٢) انظر «غيث النفع» للصفافسى ص ٤.

(٣) أى أعاجله و أوأثبه.

(٤) أى جمعت الرداء فى موضع لبته أى عنقه و امسكته به و جذبته به.

(٥) انظر «صحيح البخارى» ١٥٢ / ٦ و «صحيح مسلم» ٢ / ٢٠٢ و أخرجه معهما الترمذى

لمحات فى علوم القرآن و اتجاهات التفسير، ص: ١٦٩

و أخرج مسلم «١» عن أبى بن كعب أن النبى صلى الله عليه وسلم كان عند أضواء «٢» بنى غفار فأتاه جبريل عليه السلام فقال: إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على حرف.

فقال: أسأل الله معافاته و مغفرته، و إن أمتى لا تطيق ذلك.

ثم أتاه الثانية فقال: إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على حرفين.

فقال: أسأل الله معافاته و مغفرته و إن أمتى لا تطيق ذلك. لمحات فى علوم القرآن و اتجاهات التفسير ١٦٩ حديث الأحرف السبعة: ص: ١٦٧

جاءه الثالثة فقال: إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على ثلاثة أحرف.

فقال: أسأل الله معافاته و مغفرته و إن أمتى لا تطيق ذلك.

ثم جاء الرابعة فقال: إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على سبعة أحرف، فأيا حرف قرءوا عليه فقد أصابوا.

و من الجدير بالذكر التنبيه الى أن السبعة هنا يراد بها مدلولها الرقمى، و لولا التدرج الوارد فى هذا الحديث لما كان هناك مانع من أن يكون قد أريد بها التعدد، لأن من عادة العرب أن تستعمل السبعة لتدل على التعدد فى الآحاد، و السبعين فى العشرات، و السبعائة فى المئات «٣».

٦٢ / ٤ و أبو داود ١٠١ / ٢ و النسائي ١١٥ / ٢ و مالك في «الموطأ». ٢٠١ / ١ و انظر الحديث في «جامع الأصول» لابن الاثير ٣ / ٣١ و «تفسير ابن جرير» طبعة دار المعارف تحقيق محمود شاكر ١ / ٢٤ و رقم الحديث ٢٥. و رواه الشافعي في «الرسالة» فقرة رقم ٧٥٢.

(١) انظر «صحيح مسلم» ٢ / ٢٠٣ و أخرجه أيضا أبو داود ١٠٢ / ٢ و أحمد ١٢٨ / ٥ و الترمذى ٤ / ٦١ و النسائي ٢ / ١٥٢ و انظره في «جامع الأصول» ٣ / ٣٥.

(٢) الاضائة: الماء المستنقع كالغدير جمعها أيضا مثل حصاة حصى، و جاء في «معجم البلدان»؛ هو موضع قريب من مكة.

(٣) انظر «النشر» لابن الجزرى ١ / ٢٤.

لمحات في علوم القرآن و اتجاهات التفسير، ص: ١٧٠

و قد أجمع العلماء «١» المعتد بهم على أن حديث الأحراف السبعة ليس المراد به القراءات السبع المشهورة. قال ابن الجزرى في «النشر»:

(و انما أطلنا في هذا الفصل لما بلغنا عن بعض من لا علم له أن القراءات الصحيحة هي التي عند هؤلاء السبعة، و أن الأحراف السبعة التي أشار إليها النبي صلى الله عليه و سلم هي قراءة هؤلاء السبعة. بل غلب على كثير من الجهال أن القراءات الصحيحة هي التي في «الشاطبية» و «التيسير» (٢) و يريد بالجملة الأخيرة أن القراءات الصحيحة أكثر من التي توجد في هذين الكتابين.

و قد نقلنا قول الامام أبى شامة في ذلك قبل قليل.

و ليس المراد بالحديث أن كل كلمة تقرأ على سبعة أوجه:

و اختلفوا في المراد به على أقوال متعددة، و قد أورد السيوطى خمسة و ثلاثين قولاً ذكرها في «الاتقان» (٣) و قال: إنها أربعون. و نقل الأستاذ الزرقانى أن هذه الأقوال تصل الى أربعين، و فصل القول في أحد عشر قولاً، و أورد بايجاز تسعة أقوال أخرى (٤).

و قال ابن حجر في «فتح البارى»: «و ذكر القرطبي عن ابن حبان انه بلغ الاختلاف في معنى الأحراف السبعة الى خمسة و ثلاثين قولاً و لم يذكر القرطبي منها سوى خمسة و قال المنذرى: أكثرها غير مختار. و لم أقف على كلام ابن حبان في هذا بعد تتبعي مظانه من «صحيحه» (٥)».

(١) نص على هذا الاجماع ابن تيمية في «الفتاوى» ١٣ / ٣٩٠ و ابن الجزرى في «النشر» ١ / ٢٤.

(٢) «النشر» ١ / ٣٦.

(٣) «الاتقان» ١ / ٤٥ النوع السادس عشر و انظر «شرح السنة» ٤ / ٥٠٦ - ٥١٢.

(٤) «مناهل العرفان» ١ / ١٤٨ - ١٧٧.

(٥) «فتح البارى» ٩ / ٢٣.

لمحات في علوم القرآن و اتجاهات التفسير، ص: ١٧١

و لن نستطيع استقصاء هذه الأقوال كلها هنا، و لكننا سنورد القول الذى نرجحه، و يمكن لمن يريد التوسع فى ذلك أن يرجع إلى المراجع المذكورة فى حواشى البحث.

و هذا رأى الذى سنورده منسوب الى الجمهور من أهل الفقه و الحديث (١).

و قد ذهب اليه ابن جرير و غيره فقالوا: ان القراءة على الأحراف السبعة يراد بها سبع لغات، أى سبع لغات من لغات العرب المشهورة فى كلمة واحدة و معنى واحد، أى أوجه من الألفاظ المختلفة فى كلمة واحدة و معنى واحد.

نحو (هلم، و أقبل، و تعال، و عجل، و أسرع، و قصدى، و نحوى) فهذه ألفاظ سبعة معناها واحد و هو طلب الاقبال.

و قد حكى هذا القول ابن تيمية فقال:

(يقول ابن جرير وغيره: ان القراءة على الأحرف السبعة لم تكن واجبة على الأمة، و انما كان جائزا لهم، مرخصا لهم فيه، و قد جعل اليهم الاختيار في أى حرف اختاروه) «٢».

ثم قال: (و من هؤلاء من يقول: إن الترخيص في الأحرف السبعة كان في أول الاسلام لما في المحافظة على حرف واحد من المشقة عليهم، فلما تذلت ألسنتهم بالقراءة، و كان اتفاهم على حرف واحد يسيرا عليهم و هو أرفق بهم، جمعوا على الحرف الذى كان فى العرضة الأخيرة و يقولون: إنه نسخ ما سوى ذلك) «٣».

(١) «مناهل العرفان» ١ / ١٦٧.

(٢) «فتاوى ابن تيمية» ١٣ / ٣٩٦.

(٣) «فتاوى ابن تيمية» ١٣ / ٣٩٧.

لمحات في علوم القرآن و اتجاهات التفسير، ص: ١٧٢

هل الأحرف السبعة موجودة في المصاحف العثمانية؟

الجواب على ذلك مرتبط بالمراد من الأحرف السبعة:

فعلى قول ابن جرير الذى اخترناه و ذكرناه قبل قليل أن الذى فى المصاحف العثمانية انما هو الحرف الذى ارتضته الأمة زمن عثمان و هو الذى وافق العرضة الأخيرة. و أما الأحرف الأخرى فقد اندثرت، لأن القراءة بها لم تكن على سبيل الالزام، و انما كانت على سبيل الرخصة. قال ابو عمر ابن عبد البر: (الا ان مصحف عثمان الذى بأيدى الناس اليوم هو حرف واحد، و على هذا أهل العلم) «١».

أما القراءات فمن الجلى الواضح أن أكثرها موجود فى المصحف، بل لقد اشترط القراء كما سبق ان ذكرنا موافقة القراءة لرسم مصحف عثمان حتى تكون قراءة صحيحة و هذا القول هو الأرجح و الله أعلم.

و هناك قول آخر نقله العلامة أبو شامة المقدسى عن أحمد بن عمار المقرئ و هو من رجال القرن الخامس نشير إليه كما رواه عنه أبو شامة، قال ابن عمار:

[أصح ما عليه الحدائق من أهل النظر فى معنى ذلك أن ما نحن عليه فى وقتنا هذا من هذه القراءات هو بعض الحروف السبعة التى نزل عليها القرآن]. و تفسير ذلك أن الحروف السبعة التى أخبر النبى صلى الله عليه و سلم أن القرآن نزل عليها تجرى على ضربين: أحدهما: زيادة كلمة و نقص أخرى، و إبدال كلمة مكان أخرى، و تقديم كلمة على أخرى،

(١) «البرهان» ١ / ٢٢١ و انظر فى هذا الموضوع «الاتقان» ١ / ٤٩ هذا و قد أنكر ابن حزم هذا القول فى «الفصل» ٢ / ٧٧ - ٧٨ قال: [و أما قول من قال أبطل الأحرف الستة فقد كذب من قال ذلك. و لو فعل ذلك عثمان أو أراه لخرج عن الإسلام] و ابن حزم مخطئ فى قوله. سامحه الله و إيانا.

لمحات في علوم القرآن و اتجاهات التفسير، ص: ١٧٣

و ذلك نحو ما روى ... «١» فهذا الضرب و ما أشبهه متروك لا تجوز القراءة به ... و الضرب الثانى: ما اختلف القراء فيه من إظهار، و إدغام، و روم، و إشمام، و قصر، و مد، و تخفيف، و شد، و إبدال حركة بأخرى و ياء بباء، و واو بفاء، و ما أشبه ذلك من الاختلاف المتقارب. فهذا الضرب هو المستعمل فى زماننا هذا، و هو الذى عليه خط مصاحف الأمصار، سوى ما وقع فيه من اختلاف فى حروف يسيرة.

ثبت بهذا أن هذه القراءات التى نقرؤها هى بعض من الحروف السبعة التى نزل عليها القرآن، استعملت لموافقته المصحف الذى

اجتمعت عليه الأمة، و ترك ما سواها من الحروف السبعة لمخالفته لمرسوم خط المصحف، إذ ليس بواجب علينا القراءة بجميع الحروف السبعة التي نزل عليها القرآن، و إذ قد أباح النبي صلى الله عليه و سلم لنا القراءة ببعضها دون بعض لقوله تعالى فَأَقْرَأُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ «٢» فصارت هذه القراءة المستعملة في وقتنا هذا هي التي تيسرت لنا بسبب ما رواه سلف الأمة، رضوان الله عليهم من جمع الناس على هذا المصحف، لقطع ما وقع بين الناس من الاختلاف و تكفير بعضهم لبعض» [٣].

تاريخ القراءات:

كان موضوع القراءات من أهم الموضوعات التي واجهت اللجنة الكريمة المكلفة بهذه المهمة العظيمة: مهمة كتابة المصحف. وقد وجدت هذه اللجنة في عدم نطق المصحف و عدم شكله حلا جيدا لمشكلة استيعاب معظم القراءات، إذ أصبح المصحف في كتابته هذه متسعا لعدد كبير من القراءات المتناقلة في عصرهم.

(١) و ذكر أمثلة على الزيادة، و النقص و الإبدال، و التقديم.

(٢) سورة المزمل: ٢٠.

(٣) «المرشد الوجيز» ١٤٠-١٤٢.

لمحات في علوم القرآن و اتجاهات التفسير، ص: ١٧٤

يقول ابن الجزرى الدمشقى المتوفى سنة ٨٣٣هـ:

(و جردت هذه المصاحف جميعها من النقط و الشكل «١») ليحتملها ما صح نقله، و ثبتت تلاوته عن النبي صلى الله عليه و سلم، إذ كان الاعتماد على الحفظ لا على مجرد الخط. و كان من جملة الأحرف التي أشار النبي صلى الله عليه و سلم بقوله: «أنزل هذا القرآن على سبعة أحرف» فكتبت المصاحف على اللفظ الذي استقر عليه في العرضة الأخيرة عن رسول الله صلى الله عليه و سلم كما صرح به غير واحد من أئمة السلف كمحمد بن سيرين و غيره) «١».

و من المعلوم أن الصحابة رضوان الله عليهم تفرقوا في الأمصار المفتوحة فكان منهم فريق في العراق، و فريق في الشام، و فريق في اليمن ... و هكذا.

و كان الصحابي يقرئ أهل المصر الذين يقيم فيهم القراءة التي تلقاها عن رسول الله صلى الله عليه و سلم في مصحف عثمان. قال ابن الجزرى: (و قرأ كل أهل مصر بما في مصحفهم، و تلقوا ما فيه عن الصحابة الذين تلقوه من في رسول الله صلى الله عليه و سلم ثم قاموا بذلك مقام الصحابة الذين تلقوه عن النبي صلى الله عليه و سلم) «٣».

و نبغ عدد من التابعين يؤدون هذه المهمة في المدينة و مكة و البصرة و الكوفة و الشام.

قال ابن تيمية: (فانه - أي ابن مجاهد - أحب أن يجمع المشهور من قراءات الحرمين و العراقين و الشام، إذ هذه الأمصار الخمسة هي التي خرج منها علم النبوة من القرآن و تفسيره، و الحديث و الفقه من الأعمال الباطنة و الظاهرة و سائر العلوم الدينية) «٤».

و يقول ابن الجزرى:

(١) «النشر» ١ / ٧ - ٨.

(٣) «النشر» ١ / ٨.

(٤) «فتاوى ابن تيمية» ١٣ / ٣٩٠.

لمحات في علوم القرآن و اتجاهات التفسير، ص: ١٧٥

(ثم تجرد قوم للقراءة و الأخذ، و اعتنوا بضبط القراءة أتم عناية، حتى صاروا في ذلك أئمة يقتدى بهم و يرحل اليهم و يؤخذ عنهم، أجمع أهل بلدهم على تلقي قراءتهم بالقبول، و لم يختلف عليهم فيها اثنان و لتصديهم للقراءة نسبت إليهم:

* فكان بالمدينة أبو جعفر يزيد بن القعقاع ت ١٣٠ هـ، ثم شيبه بن نصاح ت ١٣٠ هـ ثم نافع بن أبي نعيم ت ١٦٩ هـ.

* و كان بمكة عبد الله بن كثير ت ١٢٠ هـ، و حميد بن قيس الأعرج ت ١٣٠ هـ، و محمد بن محيصن.

* و كان بالكوفة يحيى بن وثاب ت ١٠٣ هـ، و عاصم بن أبي النجود ت ١٥٦ هـ، و سليمان الأعمش ت ١٤٨ هـ، ثم حمزة ت ١٥٦ هـ ثم الكسائي ت ١٨٩ هـ.

* و كان بالبصرة عبد الله بن أبي اسحاق ت ١١٧ هـ، و عيسى بن عمر ت ١٤٩ هـ، و أبو عمرو ابن العلاء ت ١٥٤ هـ، ثم عاصم الجحدري ت ١٢٨ هـ، ثم يعقوب الحضرمي ت ٢٠٥ هـ.

* و كان بالشام عبد الله بن عامر ت ١١٨ هـ، و عطية بن قيس الكلابي ت ١٢١ هـ، و اسماعيل بن عبد الله بن المهاجر، ثم يحيى بن الحارث الذماری ت ١٤٥ هـ، ثم شريح بن يزيد الحضرمي ت ٢٣٠ هـ.

ثم إنَّ القراء بعد هؤلاء المذكورين كثروا و تفرقوا في البلاد و انتشروا و خلفهم أمم بعد أمم عرفت طبقاتهم ... «١».

ثم جاء أبو عبيد القاسم بن سلام المتوفى ٢٢٤ هـ فجمع القراءات في كتاب، و كان أول أمام معتبر يقوم بهذه المهمة، و كان عدد القراء الذين

(١) «النشر» ١ / ٩.

لمحات في علوم القرآن و اتجاهات التفسير، ص: ١٧٦

تعرض لهم في كتابه قرابة ٢٥ قارئاً مع السبعة المشهورين «١».

ثم قامت بعده محاولات عديدة قام بها أعلام من القراء، فمن ذلك ما جمعه أحمد بن جبير بن محمد الكوفي نزيل انطاكية و المتوفى ٢٥٨ هـ.

و جاء بعده القاضي إسماعيل بن اسحاق المالكي ت ٢٨٢ هـ صاحب قالون الذي ألف كتاباً في القراءات جمع فيه قراءة عشرين، منهم هؤلاء السبعة.

و كان بعده محمد بن جرير الطبري ت ٣١٠ هـ الذي جمع كتاباً حافلاً سماه «الجامع» فيه نيف و عشرون قراءة.

و جاء بعده أبو بكر محمد بن أحمد بن عمر الداغوني ت ٣٢٤ هـ الذي جمع أيضاً كتاباً في القراءات.

و كان أبو بكر أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد التميمي أول من اقتصر على قراءات هؤلاء السبعة فقط «٢». و كان ابن مجاهد حافظاً مقدماً في علم القراءات، ولد في بغداد سنة ٢٤٥ هـ و كان كثير التلاميذ، شديد الورع، راغباً في الخير، توفي يوم الأربعاء في ٢٠ شعبان سنة ٣٢٤ هـ «٣».

قال ابن تيمية:

(فلما أراد ابن مجاهد ذلك جمع قراءات سبعة مشاهير من أئمة قراء هذه الأمصار ليكون ذلك موافقاً لعدد الحروف التي أنزل عليها القرآن، لا لاعتقاده أو اعتقاد غيره من العلماء أن القراءات السبع هي الحروف السبعة، أو أن هؤلاء السبعة هم الذين لا يجوز أن يقرأ بغير قراءاتهم) «٤».

(١) «النشر» ١ / ٣٣ - ٣٤.

(٢) انظر «النشر» ١/ ٣٤ فقد ذكر ابن الجزرى هناك أسماء الكتب التي ألفت في القراءات و قد أحصى و استقصى، جزاه الله خيرا.

(٣) انظر ترجمته في «غاية النهاية في طبقات القراء» ١/ ١٣٩.

(٤) «فتاوى ابن تيمية» ١٣/ ٣٩٠.

لمحات في علوم القرآن و اتجاهات التفسير، ص: ١٧٧

و قال مكى:

(من ظن أن قراءة هؤلاء القراء كنافع و عاصم هي الأحرف السبعة التي في الحديث فقد غلط غلطا عظيما) «١» و قال: (و يلزم من هذا أن ما خرج عن قراءة هؤلاء السبعة مما ثبت عن الأئمة و وافق خط المصحف أن لا يكون قرآنا و هذا غلط عظيم) «١» و قال: (و السبب في الاقتصار على السبعة مع ان في ائمة القراء من هو أجل منهم قدرا، أو مثلهم، أكثر من عددهم، ان الرواة عن الائمة كانوا كثيرا جدا فلما تقاصرت الهمم اقتصروا مما يوافق خط المصحف على ما يسهل حفظه و تنضبط القراء به، فنظروا الى من اشتهر بالثقة، و الأمانة، و طول العمر في ملازمة القراءة به، و الاتفاق على الأخذ عنه، فأفردوا من كل مصر إماما واحدا) «٣».

*** ملاحظات:

و نختم هذا العرض السريع بملاحظات هامة:

١- القراءات الصحيحة الثابتة كثيرة، و ليست محصورة بالقراءات السبع التي جمعها ابن مجاهد، بل ربما كان كثير مما يروى عن غير هؤلاء السبعة أصح من كثير مما فيها «٤» و الجهلة هم الذين يظنون أن كل ما لم يأت في قراءات هؤلاء السبعة شاذ. و انما أوقع هؤلاء في الشبهة سوء فهمهم لحديث الأحرف. يقول ابن الجزرى: (و لذلك كره كثير من الائمة المتقدمين اقتصار ابن مجاهد على سبعة من القراء و خطئوه في ذلك) «٤».

٢- لا خلاف بين المسلمين في أن القراءات المشهورة الصحيحة الثابتة

(١) «الاتقان» ١/ ٨٠-٨١. و انظر «الابانة عن معاني القراءات» لمكى ص ٣٦.

(٣) «الاتقان» ١/ ٨١.

(٤) انظر «النشر» ١/ ٣٦ و «المرشد الوجيز» ١٥٠ و ما بعدها.

لمحات في علوم القرآن و اتجاهات التفسير، ص: ١٧٨

بالشروط المعروفة لا يمكن أن تتناقض بحال من الأحوال «١».

و رأى العلماء ان اختلافها واحد من أمرين:

أ- إما أن يكون عائدا للفظ، و المعنى واحد، مثل، الامالة و عدمها، و الادغام و عدمه. و ترفيق اللامات و تغليظها.

ب- و إما أن يكون اختلافها في المعنى و لكن بشكل لا تناقض فيه مثل (باعد) و (بعد) «٢» و هذه القراءات الثابتة التي يتغير فيها المعنى، كلها حق، يجب الايمان بها كلها، و اتباع ما تضمنته من المعنى علما و عملا، و لا يجوز ترك موجب احداها لأجل الأخرى.

٣- القراءات كلها من الحرف الذى وصل إلينا، و لكن كثيرا من القراءات الصحيحة لم تستوعبه القراءات السبع أو العشر.

*** حكم تعدد القراءات «٣»:

١- التخفيف و التيسير على هذه الامة في قراءة القرآن: ففي الناس المرأة و الشيخ و الانسان العادى ممن لا يقدر على النطق بغير

لهجاتهم و قد آانس الرسول صلى الله عليه و سلم ذلك، فطلب من ربه المعافاة فاستجاب له، و خفف على أمته، و انزل القرآن على قراءات متعددة.

٢- شرح الالفاظ: فمثلا القراءة التي وردت الآية فيها كما يأتي:

- (١) و كذلك الأحرف السبعة أيا كان تفسيرها، لا يمكن أن تتناقض أبدا.
- (٢) الآية ١٩ من سورة سبأ. و الآية بتمامها: فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَ مَزَقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ و انظر القراءات في كلمة (باعد) في «البحر المحيط» ٧/ ٢٧٢-٢٧٣. و «النشر» ٢/ ٣٥٠.
- (٣) انظر تفصيل ذلك في «النشر» ١/ ٥٢ و «الاتقان» ١/ ٨٢ و «مناهل العرفان» ١/ ١٣٨.

لمحات في علوم القرآن و اتجاهات التفسير، ص: ١٧٩

(و تكون الجبال كالصوف المنفوش) «١» أفادت في شرح كلمة (العهن) الواردة في القراءة الأخرى المعروفة: وَ تَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمُنْفُوشِ «١».

٣- بيان حكم من الاحكام: مثل قوله تعالى وَ إِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَالِأَلَّةِ أَوْ امْرَأَةٌ أَوْ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا الشُّدُسُ «٣».

قرأ سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه «و له أخ أو اخت من أمه» بزيادة (من أمه) «٤».

و كذلك قوله تعالى فَاعْتَرِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَ لَا تَقْرُبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ «٥» فقراءة (يطهرن) بالتشديد مبينة لمعنى قراءة التخفيف.

٤- دفع توهم ما ليس مرادا: مثل قوله تعالى يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ «٦» قرئ «فامضوا الى ذكر الله» فالقراءة الأولى توهم وجوب السرعة في المشى إلى صلاة الجمعة، و لكن القراءة الثانية رفعت هذا التوهم.

٥- تحدى القرآن جميع العرب، فلو أتى بلغة دون لغة لقال الذين لم يأت بلغتهم: لو أتى بلغتنا لأتينا بمثله.

٦- ان وجود القراءات حمل النحويين على توجيهها، فأغنى هذا التوجيه العربي. قال الزركشى: (و قد اعتنى بتوجيه القراءات الأئمة، و أفردوا فيه كتبا. منها كتاب «الحجة» لأبي على الفارسي و كتاب

(١) سورة القارعة: ٥.

(٣) سورة النساء: ١٢.

(٤) انظر «تفسير الطبري» ٨/ ٦٢.

(٥) سورة البقرة: ٢٢٢.

(٦) سورة الجمعة: ٩.

لمحات في علوم القرآن و اتجاهات التفسير، ص: ١٨٠

«الكشف» لمكي و كتاب «المحتسب في توجيه الشواذ» لابن جنى «١».

٧- و من فوائد تعدد القراءات اظهار سر الله في كتابه و صيانتة له عن التبديل و الاختلاف مع كونه على هذه الأوجه الكثيرة.

القراء العشرة و روايتهم:

القراء العشرة هم القراء الذين عنى العلماء بنقل قراءاتهم و هم على قسمين:

* سبعة اختارهم ابن مجاهد.

* و ثلاثة اختارهم ابن الجزرى فكملاوا العشرة.

و سنورد فيما يأتي أسماء هؤلاء القراء و أسماء روايتهم و سنوات وفياتهم في جدولين نلحق بكل منهما بعض الملاحظات:

١- جدول بأسماء القراء السبعة و روايتهم:

إشارة

١- نافع بن عبد الرحمن المدني / و راويه هما:

(ت ١٦٩) / ١- قالون: عيسى بن ميناء ت ٢٢٠-٢ ورش: عثمان بن سعيد ت ١٩٧ عبد الله بن كثير المكي / و راويه هما:

(ت ١٢٠) / ١- قنبل: محمد بن عبد الرحمن ت بعد ٢٨٠-٢ البزري: احمد بن محمد ت ٢٤٠-٣ أبو عمرو بن العلاء البصري / و راويه هما:

(ت ١٥٤) / ١- الدوري: حفص بن عمر ت ٢٥٠.

(١) «البرهان» ١ / ٣٣٩ و «الاتقان» ١ / ٨٢-٨٣ و قد حقق «الكشف» محيي الدين رمضان و نشره مجمع اللغة العربية بدمشق. ١٩٧٤ ثم نشرته مؤسسة الرسالة بيروت ١٩٨١.

لمحات في علوم القرآن و اتجاهات التفسير، ص: ١٨١

٢- السوسي: صالح بن زياد ت ٢٤١.

٤- عبد الله بن عامر الشامي / و راويه هما:

(ت ١١٨) / ١- ابن ذكوان: عبد الله بن أحمد ت ٢٤٢.

٢- ابن عمار: هشام بن عمار ت ٢٤٥.

٥- عاصم بن أبي النجود الكوفي / و راويه هما:

(ت ١٢٧ هـ) / ١- شعبه بن عياش ت ١٩٤-٢ حفص بن سليمان ت قريبا من ١٩٠-٦ حمزة بن حبيب الزيات الكوفي / و راويه هما:

(ت ١٥٦) / ١- خلف بن هشام البزار ت ٢٢٩-٢ خلاد بن خالد ت ٢٢٠-٧ علي بن حمزة الكسائي الكوفي / و راويه هما:

(ت ١٨٩) / ١- الدوري: (انظره عند أبي عمرو ابن العلاء) ٢- الليث بن خالد أبو الحارث ت ٢٤٠.

الملاحظات حول القراء السبعة:

١- ان هؤلاء القراء السبعة من أمصار العلم المعروفة التي انبثقت منها علم النبوة- كما يقول ابن تيمية- و هي: مكة و المدينة، و الكوفة و البصرة، و الشام، و يلاحظ من معرفة أحوال هؤلاء القراء ان حظ الكوفة أكبر من غيرها من الأمصار اذ كان منها ثلاثة من سبعة و هم: عاصم و حمزة و الكسائي.

لمحات في علوم القرآن و اتجاهات التفسير، ص: ١٨٢

٢- ان هؤلاء القراء جميعا كانوا من رجال القرن الثاني الهجري، أدرك معظمهم القرن الأول، و تلقوا عن الصحابة، و لذلك فقد كان معظمهم من التابعين، و أولهم وفاة هو ابن عامر توفي سنة ١١٨ و آخرهم وفاة الكسائي توفي سنة ١٨٩.

٣- ان هؤلاء القراء من الموالى باستثناء قارئتين و هما ابو عمرو بن العلاء و عبد الله بن عامر.

- ٤- ان هؤلاء القراء جميعا كانوا من المعمرين الذين أتيح لهم أن يقرأوا الناس القرآن مدة طويلة، و تخرجت عليهم أجيال.
- ٥- ان هؤلاء القراء كانوا جميعا من العلم و الورع و الاستقامة و الخلق بالمكان الأسمى.
- ٦- يلاحظ ان بعض القراء تلقى روايتهم القراءة عنهم مباشرة، و بعضهم تلقى الرواة المذكورون القراءة عنهم بالواسطة.

ب- جدول بأسماء القراء الثلاثة المكملين للعشرة:

إشارة

- ١- ابو جعفر يزيد بن القعقاع / و راويه هما:
- المخزومي المدني (ت ١٣٠) / ١- عيسى بن وردان (ت ١٤٠) ٢- سليمان بن حجاز (ت بعد ١٧٠) ٢- يعقوب بن اسحاق الحضرمي / و راويه هما:
- البصري (ت ٢٠٥) / ١- رويس محمد بن المتوكل (ت ٢٣٨) ٢- روح بن عبد المؤمن الهذلي (ت ٢٣٥)
- لمحات في علوم القرآن و اتجاهات التفسير، ص: ١٨٣
- ٣- خلف بن هشام البزار / و راويه هما:
- البغدادي (ت ٢٢٩) و انظره عند حمزة الكوفي في الجدول السابق. / ١- اسحاق بن إبراهيم بن عثمان الوراق (ت ٢٨٤) ٢- ادريس بن عبد الكريم الحداد (ت ٢٩٢)

الملاحظات حول القراء الثلاثة:

- ١- هؤلاء القراء الثلاثة من رجال القرن الثاني الهجري فأخروهم وفاة توفي بالربع الثاني من القرن الثالث الهجري.
- ٢- يلاحظ ان في هؤلاء القراء من ينتسب الى المدينة و البصرة بالاضافة الى خلف الذي كان راويا لحمزة الكوفي.
- ٣- كذلك كان هؤلاء القراء الثلاثة من الفضل و التقوى و المعرفة بمكانة عاليه شأنهم شأن سابقهم.

لمحات في علوم القرآن و اتجاهات التفسير، ص: ١٨٥

القسم الثاني التفسير و اتجاهاته

إشارة

- لمحات في علوم القرآن و اتجاهات التفسير، ص: ١٨٧
- كلامنا عن التفسير سيكون في أبواب ثلاثة: واحد في أصوله و آخر في تاريخه و ثالث في اتجاهاته.
- و نقدم بين يدي كلامنا هذا بحثا في التفسير لغة و اصطلاحا و الفرق بينه و بين التأويل.

التفسير:

- التفسير في اللغة: الايضاح و التبيين. و وزنه تفعيل من الفسر، و هو البيان و الكشف. قال الله تعالى: وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ

بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا» (١).

- التفسير في الاصطلاح: هو علم يفهم به كتاب الله و ذلك ببيان معانيه و استخراج أحكامه و حكمه و قد يدعى التفسير تأويلا. و قالوا في تعريفه: هو علم باحث عن معنى نظم القرآن بحسب الطاقة البشرية، و بحسب ما تقتضيه القواعد العربية. و الغرض منه: معرفه معاني النظم.

(١) سورة الفرقان: ٣٣.

لمحات في علوم القرآن و اتجاهات التفسير، ص: ١٨٨

و فائدته: حصول القدرة على استنباط الأحكام الشرعية على وجه الصحة.

و موضوعه: كلام الله سبحانه الذي هو منبع كل حكمه و معدن كل فضيلة.

و غايته: التوصل إلى فهم معاني القرآن و استنباط حكمه ليفاز به إلى السعادة الدنيوية و الآخروية (١).

و قال أبو حيان في تعريفه: هو علم يبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن و مدلولاتها و أحكامها الإفرادية و التركيبية و معانيها التي تحمل عليها حالة التركيب و تتمات لذلك (٢).

التفسير و التأويل:

اختلف العلماء في تحديد معناهما:

فقال قوم: إنهما بمعنى واحد. و قال آخرون: التفسير أعم من التأويل لأنه يستعمل في الكتب الإلهية و غيرها، و أما التأويل فأكثر ما يستعمل في الكتب الإلهية (٣)، تقول: فسرت الكلمة الواردة في بيت الشعر، و لا تقول: أولت ذلك.

و قالوا: أكثر ما يستعمل التفسير في الألفاظ و المفردات، أما التأويل فأكثر ما يستعمل في المعاني و الجمل (٤).

(١) «كشف الظنون» ١/ ٤٢٧.

(٢) «البحر المحيط» ١/ ١٣-١٤ و انظر شرحه لمفردات هذا التعريف هنا.

(٣) نقل ذلك الزركشي في «البرهان» ٢/ ص ١٤٩ و السيوطي في «الاتقان» ٢/ ١٧٣ عن الراغب، و انظر مقدمة التفسير للراغب ٤٠٢ و هو ملحق بكتاب «تنزيه القرآن» للفاضل عبد الجبار.

(٤) «الاتقان» ٢/ ١٧٣.

لمحات في علوم القرآن و اتجاهات التفسير، ص: ١٨٩

و قد حقق شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله القول في كلمة (التأويل) في استعمال السلف و المتأخرين تحقيقا جيدا فنقل فحواه فيما يأتي:

- قرر- رحمه الله- أن السلف استعملوا هذا اللفظ في معنيين:

* أحدهما: تفسير الكلام و بيان معناه، سواء وافق ظاهره أو خالفه فيكون التأويل و التفسير عند هؤلاء متقاربا أو مترادفا.

* و ثانيهما: هو نفس المراد بالكلام فان كان الكلام طلبا كان تأويله نفس الفعل المطلوب، و إن كان خبرا كان تأويله نفس الشيء المخبر به.

و من ذلك قوله تعالى:

هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلَهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ قَدْ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَ ضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿١﴾.

و قرر أن (التأويل) في عرف المتأخرين هو صرف اللفظ عن المعنى الراجح الى المعنى المرجوح لدليل يقترب به كقولهم: هذا الحديث مؤول، أى مصروف عن كذا محمول على غيره. و لا بد من دليل يعتمده المؤول «٢».

وقد أورد السيوطي في «الاتقان» نقولا كثيرة عن العلماء في التفريق بينهما «٣».

(١) سورة الأعراف: ٥٣.

(٢) انظر «مجموع فتاوى ابن تيمية» ١٣ / ٢٨٣.

(٣) «الاتقان» ٢ / ١٧٣.

لمحات في علوم القرآن و اتجاهات التفسير، ص: ١٩١

الباب الأول أصول التفسير

إشارة

أصول التفسير مبحث مهم تفرقت موضوعاته في مقدمات بعض المفسرين و في كتب أصول الفقه. و من أشهر الذين أفردوه من المتقدمين ابن تيمية في رسالته خاصة طبعت بعنوان «مقدمة في أصول التفسير»، و أفرده بالتأليف من المتأخرين العلامة الشيخ عبد الحميد الفراهي من علماء الهند و ترك رسالته عنوانها: «التكميل في أصول التأويل» يقول في مقدمتها:

(و لم نحتاج الى تأسيس هذا الفن لترك العلماء اياه بالكلية، فانك تجد طرفا منه في أصول الفقه و لكنه غير تمام «١»).

و البحث في أصول التفسير ما زال متسعا لمزيد من الدراسة و التأليف.

و سنلمس هذا المبحث لمسات تتناول النقاط الثلاث الآتية:

١- سنذكر أولا العلوم التي لا بد من تحصيلها ليتسنى لنا أن نفسر القرآن.

٢- كما نذكر ما يشترطه العلماء عادة في المفسر.

٣- و نشير الى أهم قواعد أصول التفسير.

(١) «التكميل في أصول التأويل» ص ١.

لمحات في علوم القرآن و اتجاهات التفسير، ص: ١٩٢

أولا: العلوم التي يحتاج اليها المفسر عديدة أهمها:

١- اللغة و الاشتقاق: لأننا باللغة نعرف معاني المفردات، و فهم حقائق الألفاظ المفردة يكون باستقصاء المعاني التي دلت عليها هذه الكلمة في آيات القرآن. و لا بد للوصول الى هذا المقصد من الاطلاع على معاني المفردات زمن التنزيل، إذ كلما استطعنا تحديد مدلول هذه الكلمة في ذاك الزمن كنا أقدر على فهم معنى الكلمة المراد.

قال مجاهد:

(لا يحل لأحد يؤمن بالله و اليوم الآخر أن يتكلم في كتاب الله إذا لم يكن عالما بلغات العرب) «١».

و مما يتصل بمعرفة المفردات معرفة المترادف و المشترك و ما الى ذلك من أنواع اللغوة. و كذلك فان معرفة الاشتقاق تعين على الفهم الدقيق للآية.

٢- النحو و الصرف: لأن فهم المعنى يتوقف في أحيان كثيرة على معرفة الاعراب، و يقع الذين يجهلون هذين العلمين و يتصدون للتفسير في أغلاط شنيعة كما حدث لبعضهم في شرح الآية: **يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمامِهِمْ** «٢» فقد فهموا الامام أنه جمع أم، و أن الناس يدعون يوم القيامة بامهاتهم دون آبائهم قال الزمخشري: (و هذا غلط أوجه جهله بالتصريف، فإن (أما) لا تجمع على (إمام)) «٣».

٣- الأدب و علوم البلاغة: ذلك لأن مراعاة ما يقتضيه الاعجاز أمر لازم في التفسير، فلا بد من إشارة الى نواحي الجمال الفني في الآية و تحليلها.

(١) «الاتقان» ٢ / ١٨١.

(٢) سورة الاسراء: ٧١.

(٣) انظر «الاتقان» ٢ / ١٨١ و انظر «الأسرار المرفوعة» ٤٩٥-٤٩٦.

لمحات في علوم القرآن و اتجاهات التفسير، ص: ١٩٣

و من أجل ذلك كله كان التذوق الأدبي أمرا ضروريا لكل من يتصدى للتفسير، و لا ينمو هذا التذوق إلا بعد طول معاناة لكلام البلغاء و قراءة آثارهم و حفظ مختارات منها، و اطلاع على نتاج النقاد، و دراسة للشعر و الرسائل و الخطب و اشتغال بالكتابة، قال الزمخشري:

(من حق مفسر كتاب الله الباهر، و كلامه المعجز، ان يتعاهد بقاء النظم على حسنه، و البلاغة على كمالها، و ما وقع به التحدى سليما من القادح) «١».

٤- علوم القرآن: ذلك لأن معرفة هذه العلوم من أهم الأدوات التي لا بد منها لعملية التفسير.

فمعرفة أسباب النزول تساعد كثيرا على فهم الآيات الفهم الصحيح الدقيق، و تجنب المفسر أغلطا كان من المحتمل أن يقع فيها. و كذلك فان معرفة المكي و المدني تعين في ادراك معاني الآيات، و لتأخذ على ذلك مثلا آيات الجهاد، فاننا- عند ما نعرف المكي و المدني منها- نتصور الجهاد على الوجه الصحيح السليم «٢».

و كذلك فان معرفة الناسخ و المنسوخ لها أهميتها القصوى في تفسير الآيات التي تقرر حكيمين مختلفين في موضوع واحد. و كذلك فان المحكم و المتشابه من الأمور الأساسية في التفسير، حتى نتخلص من عناء الدخول في متاهات المتشابه، و لنصرف جهدنا و طاقاتنا في تفسير المحكم.

٥- علم أصول الدين و التوحيد: و ذلك لأن هذا الكتاب الكريم- كما

(١) «الاتقان» ٢ / ١٨١.

(٢) انظر «زاد المعاد» ٣ / ١٥٨ و «معالم في الطريق» ٧٥ و تفسير سورة الأنفال و سورة براءة من كتاب «في ظلال القرآن».

لمحات في علوم القرآن و اتجاهات التفسير، ص: ١٩٤

سبق أن أسلفنا- يتضمن نظرة جديدة الى الكون و الحياة و الانسان متمثلة في العقيدة الاسلامية، فادراك أصول هذه العقيدة يساعد مساعده تامه في شرح الآيات الكريمة المتعلقة بذلك.

٦- علم أصول الفقه: لأننا بواسطة هذا العلم نستطيع أن نعرف استنباط الاحكام من النص، و وجه الاستدلال على الأحكام.

و لعل هذا العلم من أهم العلوم التي نستفيد منها في قواعد أصول التفسير.

٧- الحديث النبوي و الفقه و السيرة:

أما الحديث ففيه تفسير لعدد من آيات القرآن، إذ كانت مهمة النبي صلى الله عليه و سلم الأولى تبيان ما نزل إليه، و فيه تفصيل للمجمل و بيان للمبهم.

و أما الفقه الاسلامي فانه يعرض الأحكام الاسلامية التي ذكرها القرآن مبوبة مجموعة، فيساعد استحضارها على تصور دقيق لمعاني آيات الأحكام.

و أما السيرة ففيها تجلية لكثير من الآيات، و ذلك كما في آيات الأنفال التي تتحدث عن غزوة بدر، و آيات آل عمران التي تتحدث عن غزوة أحد.

٨- علوم أخرى: كالعلوم الاجتماعية و العقلية و الكونية و ما يتصل بالثقافة العامة، فالتاريخ و الجغرافيا و الاجتماع و علم النفس و الفلك .. كل هذه العلوم مما يساعد على تفسير القرآن تفسيراً يتصل بحياة الناس.

ثانياً: الشروط التي يشترطها العلماء في المفسر:

و نستطيع أن نقسمها الى ثلاثة أقسام:

١- شروط عملية: تتلخص باتقان المفسر قدراً جيداً من العلوم التي ذكرناها آنفاً.

لمحات في علوم القرآن و اتجاهات التفسير، ص: ١٩٥

٢- شروط عقلية: و هي أن يكون المفسر موهوباً ذا قدرات عقلية ممتازة، قوى الاستدلال حسن الاستنباط، قادراً على الترجيح إن تعارضت الأدلة، عارفاً باختلاف الأقوال على حقيقته، إذ كثيراً ما يكون الاختلاف تنوع لا اختلاف تضاد «١».

٣- شروط دينية و خلقية: و هي أن يكون صحيح العقيدة، مؤدياً للواجبات الدينية، ملتزماً بالأداب و الأخلاق الاسلامية التي دعا إليها الاسلام و أن يكون محرراً من سلطان الهوى، شديد الخشية لله.

*** ثالثاً: قواعد أصول التفسير:

و سنتصر على الإشارة الى أهمها، لأنني أرى ان محل ذكرها كتب أصول التفسير ذاتها. قال الفراهي:

(و هذه الأصول تقسم الى قسمين: الأول ما يعصم عن الزيغ في التأويل، و الثاني ما يهدي إلى الحكم التي يتضمنها كتاب الله) «٢».

* و من أهم الاصول التي يجب مراعاتها أن تكون خطوات التفسير متدرجة كما يلي:

١- تفسير القرآن بالقرآن:

لأننا نجد أحياناً ان ما اجمل في موضع قد فصل في موضع آخر كما سندكر ذلك بالتفصيل في موضعه إن شاء الله.

٢- تفسير القرآن بالسنة:

(١) و قد فصل ابن تيمية هذا في رسالته تفصيلاً حسناً انظر ص ٣٨ من رسالة ابن تيمية و انظر «توجيه النظر» ص ٢ و انظر ص ٢١٠ من هذا الكتاب.

(٢) «التكميل في أصول «التأويل» ص ١٣.

لمحات في علوم القرآن و اتجاهات التفسير، ص: ١٩٦

لأنها الشارحة للقرآن الموضحة له.

٣- تفسير القرآن بما قاله الصحابة:

لأنهم شاهدوا من القرائن والأحوال التي رافقت نزول القرآن ما يجعل فهمهم أدق وأتم، ولأن لغة القرآن هي لغتهم يدركون من أسرارها بالفطرة ما لا يدركه المتأخرون بالتعلم.

* ومن القواعد ما يذكره الأصوليون من أن صيغته الأمر إذا جاءت بعد حظر دلت على الإباحة وذلك كقوله تعالى في سورة الجمعة: وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ. فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ ﴿١﴾. فقوله تعالى فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ إنما هو للإباحة لا للوجوب.

* ومن القواعد ما ذكره ابن القيم في كتابه «بدائع الفوائد» (٢). ومن ذلك قوله: (و تستفاد الإباحة من لفظ الإحلال، و رفع الجناح، و الإذن، و العفو، و إن شئت فافعل و إن شئت فلا- تفعل، و من الامتنان بما في الأعيان من المنافع و ما يتعلق بها من الأفعال نحو مِنْ أَصْوَافِهَا وَ أَوْبَارِهَا وَ أَشْعَارِهَا أَثَانًا ﴿٣﴾ و نحو وَ بِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٤﴾ و من السكوت عن التحريم) (٥).

(١) سورة الجمعة: ٩- ١٠.

(٢) انظر «بدائع الفوائد» ٢/٤- ١٠ و قد نقل معظمها عبد الرحمن السعدى فى كتابه «فوائد قرآنية» ١٠٥- ١١٣.

(٣) سورة النحل: ٨٠ و الآية بتمامها: وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَ يَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَ مِنْ أَصْوَافِهَا وَ أَوْبَارِهَا وَ أَشْعَارِهَا أَثَانًا وَ مَتَاعًا إِلَى حِينٍ.

(٤) سورة النحل: ١٦.

(٥) «بدائع الفوائد» ٦/٤.

لمحات في علوم القرآن و اتجاهات التفسير، ص: ١٩٧

الباب الثانى تاريخ التفسير

إشارة

سنلم فى فصول هذا الباب المامه سريعه بتاريخ التفسير، نستعرض نشوءه أيام النبى صلى الله عليه و سلم و نموه فى عهد الصحابه و التابعين، ثم نتحدث عن توسعه فيما بعد ذلك حتى ننتهى فى استعراضنا الى العصر الحديث، و سنقسم كلامنا حول تاريخ التفسير الى أربعة فصول:

لمحات فى علوم القرآن و اتجاهات التفسير، ص: ١٩٩

الفصل الأول التفسير فى عهد النبى صلى الله عليه و سلم

القرآن كتاب عربى مبين، نزل على الرسول الكريم صلى الله عليه و سلم ليبلغه قومه العرب الفصحاء البلغاء، فلم يستغلق فهمه بالاجمال على معظمهم، إذا استثنينا ما تشابه منه هو الذى أنزل عليك الكتاب منه آيات مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخْرُ مُتَشَابِهَاتٌ، فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ، وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ، وَ مَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ ﴿١﴾.

فهمه العرب، و كان سببا فى دخول عدد كبير منهم فى الاسلام، و لكن معانى القرآن لا تحد و لا يحاط بها، و لما كان الرسول صلى الله عليه و سلم أكثر الخلق فهما لهذا الكتاب كان من مهماته الأساسية ان يبين للناس ما نزل اليهم، قال تعالى: وَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴿٢﴾.

و القرآن يحوى - كما سبق أن أشرنا لذلك - نظرة إلى الحياة و الكون و الانسان جديدة على العرب، و من أجل ذلك فهم محتاجون الى مزيد من الشرح و البيان لها حتى يقفوا عليها، و يعوها حق الوعى، لا سيما و أن فى القرآن المجمل، و العام، و المشكل، و فيه مفردات لا يفهمها بعضهم، فقد كان بعض الصحابة يكتفى بفهم المعنى الاجمالى لآيات القرآن و يؤخذ

(١) سورة آل عمران: ٧.

(٢) سورة النحل: ٤٤.

لمحات فى علوم القرآن و اتجاهات التفسير، ص: ٢٠٠

بسحرها و جمالها، و إننا لنقرأ فى أخبارهم أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه لم يعرف معنى كلمة (الأب) فى قوله تعالى: وَ فَكَيْهَةً وَ أَبًا «١» و نقرأ أن ابن عباس لم يعرف معنى كلمة (فاطر) حتى سمع أعرابيا يوردها فى جملة: اخرج أبو عبيد فى «الفضائل» من طريق مجاهد عن ابن عباس قال: كنت لا أدري ما فاطر السموات حتى أتانى اعرابيان يختصمان فى بئر فقال أحدهما: أنا فطرتها. يقول: أنا ابتدأتها «٢».

و نقرأ أن عدى بن حاتم فهم الخيط الأبيض و الخيط الاسود بالمعنى المادى، فجاء بعقالين احدهما أبيض و الآخر أسود، و ظن أنه ما لم يتبيننا فلانسان الصائم أن يأكل و يشرب، فهم ذلك من قوله تعالى: وَ كُلُوا وَ اشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ «٣».

إذن فقد كان الصحابة يتفاوتون فى فهم القرآن تبعاً لما يأتى:

١- يتفاوتون تبعاً لمواهبهم.

٢- يتفاوتون تبعاً لاطلاعهم على لغتهم و أدبها و لهجاتها.

٣- يتفاوتون تبعاً لمعرفة أسباب النزول.

و هكذا فإن كثيراً من مواضع القرآن كانت تثير بعض الاسئلة عند بعض الصحابة فيتوجهون بها إلى الرسول صلى الله عليه و سلم فى حياته. و كان يسأل بعضهم بعضاً عن معانى المفردات الغامضة و الآيات بعد وفاته صلى الله عليه و سلم.

(١) سورة عبس: ٣١ و هذا الخبر مروى عن أبى بكر أيضاً و انظر «تفسير ابن كثير» ١ / ٥ و «فتح البارى» ١٣ / ٢٧٠ - ٢٧٢ و انظر «الاتقان» ١ / ١١٣. و الأب: المرعى المتهى للرعى و الجز.

(٢) «الاتقان» ١ / ١١٣ و انظر كلامنا على التفسير اللغوى. و انظر «البرهان» للزركشى ٢ / ١٦٢ و «تأويل مختلف الحديث» ص ٢٠ و «الباعث على الخلاص» ١٤٩.

(٣) سورة البقرة: ١٨٧ و انظر الخبر فى «صحيح البخارى» ٦ / ٢٢. أقول: و فهم عدى رضى الله عنه غير صحيح: و قد نبهه رسول الله صلى الله عليه و سلم الى الحق فى الموضوع.

لمحات فى علوم القرآن و اتجاهات التفسير، ص: ٢٠١

الفصل الثانى التفسير فى عهد الصحابة

إشارة

كانت مادة التفسير فى عهد الصحابة قائمة على ما يأتى:

١- تفسير القرآن بالقرآن: و سنتحدث عن ذلك مفصلا عند كلامنا على التفسير بالمأثور.

٢- ما كان يحفظه الصحابة من تفسيرات النبي صلى الله عليه و سلم: و قد نقلت لنا كتب السنة ما كان الصحابة يحفظونه من تفسير رسول الله صلى الله عليه و سلم لبعض الآيات.

أما كمية ما فسره النبي صلى الله عليه و سلم و تناقلته الصحابة فمختلف بها عند العلماء، فمنهم من يذهب إلى أنه صلى الله عليه و سلم فسر القرآن كله، و منهم من يذهب إلى أن الذي فسره قليل جدا، و الحق في الوسط فليس ما فسره النبي صلى الله عليه و سلم قليلا، فهذه أبواب التفسير في كتب السنة حافلة، كما أنه لم يستوعب القرآن كله.

٣- ما كانوا يستنبطونه من الآيات: و كان يعتمد ذلك على قوة فهمهم وسعة إدراكهم، و على معرفتهم بأوضاع اللغة و أسرارها، و أحوال الناس و عاداتهم في جزيرة العرب.

٤- ما كانوا يسمعون من أبناء أهل الكتاب الذين دخلوا في الاسلام

لمحات في علوم القرآن و اتجاهات التفسير، ص: ٢٠٢

و حسن إسلامهم، و هذا المصدر تجده أكثر ما تجده في قصص الأنبياء، و هو مصدر هين يسير.

*** و من المفيد أن نذكر أشهر الصحابة في التفسير:

أشهرهم عشرة هم:

١- عبد الله بن عباس ٦- عمر بن الخطاب ٢- عبد الله بن مسعود ٧- عثمان بن عفان ٣- علي بن أبي طالب ٨- زيد بن ثابت ٤- أبي بن كعب ٩- أبو موسى الأشعري ٥- أبو بكر الصديق ١٠- عبد الله بن الزبير و أهم هؤلاء في التفسير الأربعة الأوائل، و قد رتبهم حسب أهميتهم في التفسير و كثرة ممارستهم له، فأوسع الصحابة اشتغالا بالتفسير هو عبد الله ابن عباس رضى الله عنهما.

ابن عباس «١»:

هو عبد الله بن عباس الذي كان يلقب بحبر الأمة، ولد قبل الهجرة بثلاث سنوات، و غزا في افريقية، و توفي بالطائف سنة ٦٨ هـ، و كان من العلماء الكبار في التفسير، و كان ذلك بركة دعاء الرسول صلى الله عليه و سلم حيث قال:

«اللهم فقهه في الدين و علمه التأويل» «٢»، و بنشأته في بيت النبوة، و ملازمته

(١) أنظر ترجمته في «سير أعلام النبلاء» ٣/ ٣٣١ و «وفيات الأعيان» ٣/ ٦٢ و «البداية و النهاية» ٨/ ٢٩٥ و «الإصابة» ٢/ ٣٣٠ و «تهذيب التهذيب» ٥/ ٢٧٦ و «أعلام الموقعين» ١/ ١٨ و ما بعدها. و «تهذيب الأسماء و اللغات» ١/ ٢٧٤.

(٢) أورده البخاري في «صحيحه» ١/ ٢٢ عن ابن عباس قال: ضمّني رسول الله صلى الله عليه و سلم و قال: «اللهم علمه الكتاب»، و أخرجه البخاري أيضا بلفظ: «اللهم فقهه في الدين»

لمحات في علوم القرآن و اتجاهات التفسير، ص: ٢٠٣

الصحابة، و بمعرفته للعربية و آدابها و الوقوف على أسرارها، و بسبب جمعه عددا من المزايا التي قل ان تجتمع في واحد من الذكاء النادر، و الذهن الجوال، و القريحة الوقادة، و الرأى الصائب، و الدين المتين، و الايمان الراسخ.

و قد أثنى عليه ابن مسعود و كان يقول: «نعم ترجمان القرآن ابن عباس» «١».

و قد كثرت الروايات عن ابن عباس كثرة كبيرة.

و هناك طرق عديدة نقلت عن ابن عباس، و هي متفاوتة في القوة، و قد ذكر بعضها السيوطي في «الاتقان» و سأقتصر على ذكر ثلاث طرق إحداها واهية جدا.

* أجود الطرق هي طريق معاوية بن صالح «٢» عن علي بن ابي طلحة «٣» عن ابن عباس. و ابن أبي طلحة يروي عن مجاهد عن ابن

١ / ٣٤، و أخرجه مسلم ١٩٢٧ / ٤ بلفظ «اللهم فقهه...»، و الخطيب في «الكفاية» ٣٨٤ و انظر ابن ماجه ١ / ٥٨ و الترمذى ٤ / ٣٥١. و ذكر ابن حجر في «فتح البارى» ١ / ١٧٠ أن هذا الحديث أخرجه أحمد و ابن حبان و الطبرانى و ابن سعد و البغوى في «معجم الصحابة»، و أورده ابن حجر أيضا في «الإصابة» ٢ / ٣٢٢.

(١) أخرجه أبو شيبة زهير بن حرب في «كتاب العلم» ص ١٢٠ رقم الحديث ٤٨. و قال الشيخ ناصر الالبانى فى تعليقه عليه: (و السند اليه صحيح على شرط الشيخين). و أخرجه ابن كثير فى مقدمته «تفسيره» ١ / ٤ و قال: (فهذا إسناد صحيح الى ابن مسعود أنه قال عن ابن عباس هذه العبارة و قد مات ابن مسعود رضى الله عنه فى سنة ٣٢ و عمر بعده عبد الله بن عباس ستا و ثلاثين سنة، فما ظنك بما كسبه من العلوم بعد ابن مسعود.) و قد نقل هذا الكلام بحروفه الزركشى فى «البرهان» ١ / ٨ و هو تلميذ ابن كثير و لم يعزه لأحد، و أخرجه أيضا ابن حجر فى «الإصابة» ٢ / ٣٢٤.

(٢) هو معاوية بن صالح بن حدير الحضرمى الحمصى، أحد الأعلام، و قاضى الأندلس. مات سنة ١٥٨ هـ أخرج له مسلم و الأربعة.

(٣) روى ابن أبى طلحة عن ابن عباس مرسلًا؛ لأنه لم يسمع منه. أصله من الجزيرة، و انتقل إلى حمص. قال ابن حجر فى «تهذيب التهذيب» ٧ / ٣٤٠: [و نقل البخارى من تفسيره رواية معاوية بن صالح عنه عن ابن عباس شيئا كثيرا فى التراجم و غيرها، و لكنه لمحات فى علوم القرآن و اتجاهات التفسير، ص: ٢٠٤ و هذه الطريق اعتمد رجالها مسلم و أحمد و أصحاب السنن.

* و هناك طريق أخرى صحيحة و هى: قيس بن مسلم الكوفى «١»، عن عطاء بن السائب «٢»، عن سعيد بن جبير «٣»، عن ابن عباس. و هذه الطريق يعتمدها الحاكم فى «مستدرکه» و ذكر أنها صحيحة على شرط الشيخين.
* أما الطريق الواهية الضعيفة فهى:

محمد بن السائب الكلبي، عن أبى صالح «٤»، عن ابن عباس، و ممن يروى عن الكلبي محمد بن مروان السدى الصغير. قال السيوطى: فان انضم الى ذلك رواية محمد بن مروان السدى الصغير فهى سلسلة الكذب «٥». أما تفسير ابن عباس المطبوع بعنوان «تنوير المقباس من تفسير ابن

لا يسميه، و يقول: (قال ابن عباس) أو [يذكر عن ابن عباس] و أخرج له مسلم و أبو داود و النسائى و ابن ماجه.

(١) هو قيس بن مسلم الكوفى. موثق. مات سنة ١٢٠ هـ و أخرج له البخارى و مسلم و الأربعة.
(٢) هو أحد الأئمة كان يختم كل ليلة. و أخرج له البخارى حديثا واحدا متابعه فى ذكر الحوض، و أخرج له الأربعة و قد اختلط فى آخر عمره. مات سنة ١٣٦ و انظر ترجمته فى «تهذيب التهذيب» ٧ / ٢٠٣.
(٣) هو سعيد بن جبير و انظر ترجمته فى مبحث التفسير فى عهد التابعين.

(٤) محمد بن السائب الكلبي كذاب ساقط سبئى و قد نقل سفيان الثورى عنه انه قال: ما حدثت عن أبى صالح عن ابن عباس فهو كذب فلا ترووه. قال السيوطى فى «الدر المنثور» ٦ / ٤٢٣: [و الكلبي اتهموه بالكذب. و قد مرض فقال لأصحابه فى مرضه: كل شىء حدثتكم به عن أبى صالح كذب] مات سنة ١٤٦. و أما أبو صالح المعروف بباذان أو باذام فأكثر علماء الرجال يطعن فيه و من اعتدل قال: ليس به بأس و اذا روى عنه الكلبي فليس بشىء. و أبو صالح لم يسمع من ابن عباس. أنظر «التاريخ الكبير» للبخارى ٢ / ١٤٤ و «الميزان» ١ / ٢٩٦ و «المجروحين» لابن حبان ١ / ١٨٥.

(٥) «الاتقان» ٢ / ١٨٩.

لمحات في علوم القرآن و اتجاهات التفسير، ص: ٢٠٥

عباس» (١) و الذى جمعه الفيروزآبادى صاحب «القاموس» فإن روايته كلها تدور حول الشخص الذى ذكرناه قبل قليل و هو: محمد بن مروان السدى الصغير، و من أجل ذلك فلا يطمأن بحال من الأحوال إلى ما انفرد به هذا الكتاب.

*** و شأن عبد الله بن مسعود (٢) و على بن أبى طالب و أبى بن كعب شأن كبير فى التفسير و لا نستطيع أن نفصل القول فى ذلك، فنكتفى بما أوردناه عن ابن عباس رضى الله عنهم جميعا.

و ليس هؤلاء الصحابة المذكورون هم الذين اشتغلوا بالتفسير فقط، بل إن عددا كبيرا من الصحابة رضوان الله عليهم كانوا يفسرون فى بعض الأحيان، و لكن هؤلاء الذين نوهنا بهم هم المكثرون. و قد انتشروا فى الآفاق.

*** قيمة تفسير الصحابة «٣»:

ننظر فى التفسير المنقول عن الصحابة:

١- فان كان مرفوعا الى النبي صلى الله عليه و سلم فهو حديث، له حكم الحديث أى يكون حجة ان صح سنده.

٢- و ان لم يكن مرفوعا ننظر فيه فان كان متعلقا بأسباب النزول أو

(١) طبع فى مصر فى المطبعة الازهرية سنة ١٣١٦ هـ و بهامشه «أسباب النزول» للسيوطى و «الناسخ و المنسوخ» لابن حزم و قد طبع طبعات أخرى أنظر «معجم المطبوعات» ١ / ١٥٨.

(٢) تتضح منزلة ابن مسعود فى التفسير من قوله الذى مرّ معنا فى مبحث المكي و المدنى.

(٣) و سنذكر هذا التفسير مرة أخرى فى التفسير بالمأثور.

لمحات فى علوم القرآن و اتجاهات التفسير، ص: ٢٠٦

بما لا يكون من قبيل رأى و الاجتهاد أعطى حكم المرفوع و كان حجة إن صح سنده.

٣- أما اذا كان من قبيل الاجتهاد و الاستنباط أو ليس متعلقا بأسباب النزول كان موقوفا على الصحابي. و قد اختلف العلماء بالنسبة إلى الموقوف هذا: فمنهم من يقول: إنه رأى لا يلزم، و منهم من يقول: إنه رأى يلزم.

قال الزركشى فى «البرهان» (١):

ينظر فى تفسير الصحابي فإن فسره من حيث اللغة فهم أهل اللسان.

فلا شك فى اعتماده، و إن فسره بما شاهدته من الأسباب و القرائن فلا شك فيه.

و جاء فى مقدمة «تفسير ابن كثير» (٢):

«اذا لم نجد التفسير فى القرآن، و لا- فى السنة رجعنا فى ذلك الى أقوال الصحابة فإنهم أدرى بذلك لما شاهدوه من القرائن و الأحوال التى اختصوا بها، و لما لهم من الفهم التام و العلم الصحيح و العمل الصالح لا سيما علماؤهم و كبراؤهم».

و إن اختلفوا اخترنا من أقوالهم ما يكون أكثر انسجاما مع السياق، و إن أجمعوا على رأى لزمننا الأخذ به.

*** و يتحصل من ذلك ان التفسير المروى عن الصحابي إن كان متعلقا بأسباب النزول او بما لا يمكن ان يكون من قبيل رأى و

الاجتهاد كان

(٢) «تفسير ابن كثير» ٣/١.

لمحات في علوم القرآن و اتجاهات التفسير، ص: ٢٠٧
 ملزما، و كذلك إن كان تفسيراً يعتمد على اللغة التي هم أدري الناس بها فهو ملزم أيضا.
 أما الشيء الذي ليس داخلا فيما ذكرناه فهو بشكل عام غير ملزم.
 و ينظر الى كل رأى على حدة.

لمحات في علوم القرآن و اتجاهات التفسير، ص: ٢٠٨

الفصل الثالث التفسير في عهد التابعين

إشارة

جاء التابعون فنقلوا روايات التفسير عن الصحابة، و زادوا فيها ما استنبطوه بأنفسهم، و ما زال التفسير يتضخم في عهدهم حتى اجتمع منه الشيء الكثير.
 و لكن هذه الأقوال في التفسير لم تكن مجموعة و لا مرتبة بشكل منظم وفق ترتيب المصحف، بل كانت تروى منثورة تفسيراً لآيات متفرقة بين روايات لا علاقة لها بالتفسير، أى إن التفسير كان مختلطاً بالحديث غير مميز عنه.
 و كان التابعون من أهل كل قطر يعنون برواية ما سمعوه و ما ورد من التفسير عن الصحابي الذي يقيم في بلدهم.
 * فاختص المكيون برواية ما ورد من التفسير عن ابن عباس. و أشهر المكيين الذين قاموا بذلك مجاهد «١» و عكرمة «٢» و سعيد بن جبير «٣».

(١) هو مجاهد بن جبر المكي، المخزومي بالولاء، ابو الحجاج، ولد سنة ٢١ هـ شيخ القراء و المفسرين، عرض القرآن على ابن عباس ثلاثين مرة، و كان من أئمة الحديث و الفقه و كان ثقة عابداً مجتمعا على فضله، توفي سنة ١٠٤ هـ. هذا و قد حقق عبد الرحمن الطاهر السورتى كتاباً مخطوطاً جمعه جامع بعنوان «تفسير مجاهد» و طبع في قطر سنة ١٣٩٦ هـ (١٩٧٦ م).

(٢) هو عكرمة مولى ابن عباس، أبو عبد الله المدنى البربرى، ولد سنة ٢٥ هـ أثنى عليه ابن عباس فقال: ما حدثكم عكرمة عنى فصدقوه فانه لم يكذب على، توفي سنة ١٠٥ هـ.

(٣) هو سعيد بن جبير، الأسدى بالولاء، تابعى من كبار العلماء، أخذ عن عبد الله بن

لمحات في علوم القرآن و اتجاهات التفسير، ص: ٢٠٩

* و اختص المدنيون برواية ما ورد من التفسير عن أبى بن كعب «١».

و أشهر المدنيين الذين قاموا بذلك: أبو العالية «٢»، و زيد بن أسلم «٣».

* و عنى التابعون الكوفيون برواية ما ورد من التفسير عن ابن مسعود.

و أشهر الكوفيين الذين قاموا بذلك: علقمة بن قيس «٤» و إبراهيم النخعى «٥» و الشعبى «٦».

و هذه المدارس الثلاث أهم مدارس التفسير عند التابعين.

عباس، و قتله الحجاج بواسط سنة ٩٥ هـ. و قيل: إن قتله كان آخر سنة ٩٤ هـ و انظر «تهذيب التهذيب» ١١/٤ - ١٤.

- (١) هو الصحابي الجليل أبي بن كعب بن قيس الانصاري الخزرجي، سيد القراء، شهد بدرًا و المشاهد كلها، و كان من كتبه النبي صلى الله عليه و سلم و كان من أصحاب الفتيا، يسأله عمر عن النوازل و يرجع اليه في المعضلات، توفي بالمدينة سنة ٣١ هـ.
- (٢) هو رفيع بن مهران، ابو العالیه، البصري الفقيه المقرئ، رأى أبا بكر، و قرأ القرآن على أبي و غيره، و سمع من عمر و ابن مسعود و علي و عائشة. و روى عنه قتادة و أبو العلاء، كان ابن عباس يرفعه على سريره و قریش اسفل منه يقول: هكذا العلم يزيد الشريف شرفا و يجلس المملوك على الاسرة. توفي سنة ٩٣ هـ. و انظر «الفقيه و المتفقه» ١ / ٣١ و «تهذيب التهذيب» ٣ / ٢٨٤ و «ابن الجزري» ١ / ٢٨٤ و «معرفة القراء» للذهبي ١ / ٤٩ و «اللباب» ٢ / ٤٦ و «طبقات المفسرين» للداودي ١ / ١٧٢ و «الحلية» ٢ / ٢١٧ و «الخلاصة».
- (٣) هو زيد بن أسلم العدوي بالولاء المدني الفقيه المفسر، ذكروا انه ترك كتابا في التفسير رواه ابنه عبد الرحمن. توفي سنة ١٣٦ هـ.
- (٤) هو علقمة بن قيس، أبو شيبيل، ولد في حياة النبي صلى الله عليه و سلم، و اشتهر بالقراءات، و كان قوي الذاكرة. قال: ما حفظت و أنا شاب فكأنما أقرؤه من ورقة. كان فقيه العراق، و هو من اهل الكوفة، توفي سنة ٦٤ هـ على الأرجح.
- (٥) هو إبراهيم بن يزيد النخعي الكوفي، فقيه العراق، روى عن بعض الصحابة. كان يصوم يوما و يفطر يوما. مات سنة ٩٥ هـ.
- (٦) هو عامر بن شراحيل ابو عمرو الهمداني الكوفي، من أكابر التابعين، ولد في خلافة عمر، سمع من ابن عمر، و ولي قضاء الكوفة. كان جوادا سريع الحفظ، جريئا في الحق توفي سنة ١٠٣ هـ.
- لمحات في علوم القرآن و اتجاهات التفسير، ص: ٢١٠

قيمه تفسير التابعين:

اختلف العلماء في الأخذ بأقوال التابعين في التفسير، فمنهم من ذهب إلى الأخذ بأقوالهم. و منهم من لم ير ذلك. يروى عن أبي حنيفة أنه قال: (ما جاء عن رسول الله صلى الله عليه و سلم فعلى الرأس و العين، و ما جاء عن الصحابة تخيرنا، و ما جاء عن التابعين فهم رجال و نحن رجال).

و هذا القول يدل على أننا غير ملزمين بأخذ أقوال التابعين فهم رجال و نحن رجال - كما يقول ابو حنيفة - و هذا القول هو الصواب. أما القول الذي يلزم بالأخذ بما ورد عن التابعين فهو موضع نظر ..

نعم اذا اجمع التابعون على رأى فعندئذ يتوجب الأخذ به لأن إجماعهم يدل على وجود نص ملزم و الله أعلم.

*** ملاحظة:

يبدو في كثير من الروايات في المسألة الواحدة عن الصحابة أو التابعين أو عن صحابي واحد اختلاف أو تعارض. و لكن التعمق في هذه الأقوال يقنع بأنها غير متناقضة و لا متعارضة و أنها تعود الى أصل واحد، و بينها عموم و خصوص، و كثيرا ما بين ابن جرير في تفسيره انها غير متعارضة.

و قد نبه على مثل هذا الاختلاف الموهوم ابن تيمية في رسالته في أصول التفسير «١» و نقله عنه الشيخ طاهر الجزائري بتلخيص جيد «٢» فقال:

(١) «مقدمة في أصول التفسير» ص ٣٨.

(٢) «توجيه النظر» ص ٢.

لمحات في علوم القرآن و اتجاهات التفسير، ص: ٢١١

(الخلافاً بين السلف في التفسير قليل، و غالب ما يصح عنهم من الخلاف يرجع الى اختلاف تنوع لا اختلاف تضاد ...) و قال ابن كثير: (يقع في عباراتهم - أى التابعين - تباين في الألفاظ يحسبها من لا علم عنده اختلافاً فيحكيها أقوالاً و ليس كذلك، فإن منهم من يعبر عن الشيء بلازمه أو بنظيره و منهم من ينص على الشيء بعينه، و الكل بمعنى واحد في أكثر الأماكن فليتفظن اللبيب لذلك و الله الهادي) «١».

أما إذا لم نستطع التوفيق بينها، فينظر في أسانيدها، فإن وجدت بدرجته من الصحة متقاربة نظر فيها و أخذ ما يكون أقرب لنص الآية و الله أعلم.

(١) «تفسير ابن كثير» ١/ ٥.

لمحات في علوم القرآن و اتجاهات التفسير، ص: ٢١٢

الفصل الرابع تاريخ التفسير فيما بعد عهد التابعين

هذا الفصل يتناول موضوع تاريخ التفسير خلال اثني عشر قرناً، أى منذ منتصف القرن الثاني الهجرى حتى العصر الحاضر، و ليس ذلك مما يتسع له وقت الدراسة و لا منهاجها، و من أجل ذلك، فسنقتصر على ذكر خطوط عريضة في غاية الأيجاز.

بعد عصر التابعين قام تابعو التابعين بجمع أقوال الصحابة و التابعين في التفسير التي وصلت اليهم، و غالباً ما كان أبناء القطر يجمعون أقوال من سكن قطرهم من الصحابة و التابعين.

و وجد أناس كانوا يرحلون الى الأقطار المختلفة ليجمعوا ما قيل في التفسير على انه باب من أبواب الحديث، لأن هؤلاء الأئمة كانوا علماء في الحديث، و من الواضح أن الحديث كان يجمع العلوم الاسلامية كلها، و كان التفسير من أهم أبوابه، و يشبه الاستاذ أحمد أمين الحديث من حيث جمعه للعلوم بالفلسفة عند الاقوام الأخرى فيقول:

(و هكذا فمتزلة الحديث بالنسبة للعلوم الدينية كمتزلة الفلسفة للعلوم العقلية كانت الفلسفة شاملة لكل فروع البحث العقلي، ثم أخذ ينفصل عنها علم النفس و علم الطبيعة و علم الاجتماع) «١».

(١) «ضحى الاسلام» ٢/ ١٣٨.

لمحات في علوم القرآن و اتجاهات التفسير، ص: ٢١٣

* ثم كانت بعد ذلك الخطوة الأخيرة و هى انفصال التفسير عن الحديث، و اعتباره علماً قائماً بنفسه، و وضعت التفاسير المستقلة لكل آيات القرآن مرتبة حسب ترتيب المصحف.

*** ثم تأثر التفسير باتجاهات متعددة خلال العصور المختلفة، و سنخص هذه الاتجاهات بباب طويل هو الباب الثالث، و سيكون ذلك بمثابة عرض تاريخي للتأليف في التفسير. و لا بد من أن يتأثر المفسر بالسمات العامة لعصره، فالكتب التي ألفت في القرون الأولى حتى القرن الخامس تغلب عليها الأصالة، بينما كتب المتأخرين يغلب عليها الجمع.

*** أما الكتاب الاول في مجال التفسير فهذا ما يزال مجال بحث و دراسة و الشيء المؤكد أن القرن الأول ألفت فيه بعض كتب التفسير، و لكننا لا نستطيع الجزم في الاولية في هذا الموضوع، و قد وصل الينا نبأ تأليف تفسير في وقت مبكر، فقد قرأنا في كتب الرجال و التراجم «١» أن عبد الملك ابن مروان المتوفى سنة ٨٦ هـ طلب من سعيد بن جبير المتوفى سنة ٩٤ هـ أو سنة ٩٥ هـ أن يكتب له تفسيراً للقرآن و أن سعيداً هذا قد استجاب و كتب تفسيراً، و قد وجده عطاء بن دينار المتوفى سنة ١٢٦ هـ.

و بناء على هذا الخبر فإننا نستطيع أن نقرر ان كتاباً في تفسير القرآن كان موجوداً قبل سنة ٨٦ هـ و لا يبعد أن يكون هذا الكتاب هو

أول كتاب في التفسير، و الله أعلم.

*** أما القرن الثاني فيبدو انه كان حافلا بكتب التفسير:

(١) «الجرح و التعديل» لابن ابي حاتم ٣/ ٣٣٢ و «تهذيب التهذيب» ٧/ ١٩٨.

لمحات في علوم القرآن و اتجاهات التفسير، ص: ٢١٤

فابن خلكان «١» يذكر ان عمرو بن عبيد المتوفى سنة ١٤٤ هـ كتب تفسيراً للقرآن قدمه للحسن البصرى المتوفى سنة ١١٠ هـ. و أخبار الكتب المؤلفة في هذا القرن مستفيضة.

و لعل من أقدم ما وصل إلينا من كتب التفسير كتاب «معاني القرآن» للفراء المتوفى سنة ٢٠٧ هـ. و سنتحدث عنه بشيء من التفصيل فيما بعد، و قد قوبل عمله باستحسان كبير لا سيما من الكوفيين، فقد نقل ابن النديم في «الفهرست» «٢» كلمة عن ثعلب يقول فيها: (كان السبب في إملاء كتاب الفراء في المعاني أن عمر بن بكر من أصحابه و كان منقطعاً إلى الحسن بن سهل «٣»). فكتب إلى الفراء أن الأمير الحسن بن سهل ربما سألتني عن الشيء بعد الشيء من القرآن فلا يحضرني، فإن رأيت أن تجمع لي أصولاً أو تجعل في ذلك كتاباً أرجع إليه فقلت.

فقال الفراء لأصحابه: اجتمعوا حتى أمل عليكم كتاباً في القرآن و جعل لهم يوماً. فلما حضروا خرج إليهم، و كان في المسجد، رجل يؤذن و يقرأ بالناس في الصلاة، فالتفت إليه الفراء فقال له: اقرأ بفاتحة الكتاب نفسرها، ثم نوفي الكتاب كله. فقرأ الرجل، و يفسر الفراء. فقال ابو العباس ثعلب: لم يعمل أحد قبله مثله و لا أحسب أن أحداً يزيد عليه).

و يبدو ان كلمة ثعلب إنما تعني الثناء على صنيع الفراء، و لا تعني البدء بكتابه التفسير «٤». يريد أن يقول: لم يسبقه بهذه الإجابة أحد. و تتمه الجملة تؤكد ذلك و هي (و لا أحسب أن أحداً يزيد عليه).

(١) «وفيات الاعيان» ١/ ٤٨٦ طبع بولاق.

(٢) «الفهرست» ص ١٠٥.

(٣) هو وزير المأمون، و أحد كبار القادة، و هو والد بوران زوجة المأمون، سنة ٢٣٦ هـ.

(٤) و قد أخطأ أحمد أمين عند ما مال الى هذا الرأي (انظر «ضحى الاسلام» ٢/ ١٤١).

لمحات في علوم القرآن و اتجاهات التفسير، ص: ٢١٥

اذن فقد كانت هناك مؤلفات في التفسير قبل كتاب الفراء، و لكن لم يصل إلينا إلا أنباؤها «١».

*** و ما زالت كتب التفسير تتوالى، يستفيد المتأخر من الذين سبقوه، و يأتي بجديد في فهم كتاب الله، و تدبر معانيه، حتى جاء ابن جرير الطبرى، و وضع تفسيره الذى ضم كثيراً مما فى الكتب التى ألفت فى التفسير قبله على غالب الظن.

*** و هكذا يتبين لنا أن التفسير قد كتب فى وقت مبكر، ثم عند ما ازدهر التدوين فى القرنين الثانى و الثالث كانت حركة نشيطة للتأليف فى التفسير، و قد وصل إلينا كثير من هذه الآثار.

و دخلت فى التفسير شوائب غريبة عنه من الأحاديث الموضوعية، و الاسرائيليات.

و كانت على مر العصور غزارة فى مؤلفات التفسير، و تنوع فى مناهج المفسرين، تبعاً للتنوع فى اختصاص كل منهم. و قد حاول كل صاحب فن أن يجعل من تفسير القرآن مجالاً لإظهار براعته فى فنه، و أضحى التفسير إطاراً يتبارى فيه المختصون فى الشؤون العلمية المختلفة ليصبوا فيه المعلومات التى تتعلق باختصاصهم، فالنحوى يكتب فى التفسير فإذا تفسيره كتاب نحو، و الفيلسوف يكتب فى

التفسير فإذا تفسيره كتاب في علم الكلام، و الفقيه يكتب في التفسير فيخرج تفسيره كتابا في الفقه، و البلاغى

(١) نشرت مجلة أضواء الشريعة في العدد الخامس أن كتاب تفسير القرآن لسفيان الثوري المتوفى سنة ١٦١ هـ طبع بتحقيق السيد امتياز على عرشى في رامبور بالهند في مجلد واحد يضم ما وجد من أصول الكتاب من أول القرآن حتى سورة الطور. و فيه فهرس.

لمحات في علوم القرآن و اتجاهات التفسير، ص: ٢١٦

يكتب في التفسير فيضحى تفسيره مرجعا في البلاغة، و المحدث يكتب في التفسير فيكون كتاب تفسيره كتاب حديث ... و هكذا .. قال السيوطى: (ثم صنف بعد ذلك قوم برعوا في علوم، فكان كل منهم يقتصر في تفسيره على الفن الذى يغلب عليه، فالنحوى تراه ليس له هم إلا-الإعراب و تكثير الأوجه المحتملة فيه، و نقل قواعد النحو و مسائله و فروعه و خلافياته، كالزجاج و الواحدى فى «البيسط» و أبى حيان فى «البحر» و «النهر»؛ و الاخبارى ليس له شغل إلا-القصص و استيفائها، و الاخبار عمن سلف سواء كانت صحيحة أو باطلة كالثعلبى؛ و الفقيه يكاد يسرد فيه الفقه من باب الطهارة إلى أمهات الأولاد، و ربما استطرد إلى إقامة أدلة الفروع الفقهيّة التى لا-تعلق لها بالآية و الجواب من أدلة المخالفين، كالقرطبى، و صاحب العلوم العقلية خصوصا الإمام فخر الدين قد ملأ تفسيره بأقوال الحكماء و الفلاسفة ..) «١» و ما زال كل ذى موهبة و علم يسهم فى التفسير و يكشف عن شىء جديد من أسرار هذا الكتاب الكريم التى لا تنتهى.

(١) «الاتقان» ٢ / ١٩٠.

لمحات في علوم القرآن و اتجاهات التفسير، ص: ٢١٧

الباب الثالث اتجاهات التفسير

إشارة

ظهرت اتجاهات متعددة فى التفسير. و غرضنا فى هذا الباب بحث أهم هذه الاتجاهات و دراسة خصائصها. و سنخص بالذكر و الدراسة فى كل اتجاه كتابا هاما من كتب التفسير يمثل هذا الاتجاه.

و قد أوليت الاتجاه اللغوى شيئا من العناية مراعاة للمختصين باللغة العربية الذين كتبت لهم بحوث هذا الكتاب.

أما هذه الاتجاهات التى سنفرد كل واحد منها بفصل فى هذا الباب فهى الاتجاه اللغوى. و التفسير بالأثر، و التفسير بالرأى، و التفسير العلمى، و التفسير الاصلاحى، و سنشير بعد ذلك فى فصل واحد إلى اتجاهات اخرى مثل التفسير الموضوعى و الفقهى و الاشارى. و ليس من شك فى أن أهم هذه المدارس التفسيرية مدرستان قامتتا منذ وقت مبكر هما مدرسة التفسير بالمأثور و مدرسة التفسير بالرأى.

لمحات في علوم القرآن و اتجاهات التفسير، ص: ٢١٩

الفصل الأول الإتجاه اللغوى فى تفسير القرآن

إشارة

إن هذا الاتجاه من أقدم الاتجاهات التى وجدت فى التفسير، كما سنرى من استعراض كتب غريب القرآن و إعرابه. و لتيسير بحثه سنقسمه ثلاثة أقسام، و ان كانت هذه الأقسام متداخلة أحيانا:

١- القسم الأول: ما يتعلق بمفردات اللغة: وقد ترك لنا العلماء المتقدمون طائفة من المؤلفات عرفت بكتب غريب القرآن.

٢- القسم الثاني: ما يتعلق بالنحو والقضايا الإعرابية.

٣- القسم الثالث: ما يتعلق بالبلاغة و الاساليب البيانية.

و لعل هذا الاتجاه بأقسامه هذه من أهم الاتجاهات التي تعنى دارسى العربية فى دراستهم للتفسير لاتصالها بدراستهم الاختصاصية.

١- القسم المتعلق بمفردات اللغة أو (كتب غريب القرآن):

إشارة

فى القرآن كلمات غريبة، و هى اما أن يكون معناها غامضا، لا يفهم إلا بعد بحث و تنقيب و جهد، و اما أن يكون معناها معروفا لدى قوم دون غيرهم، لأنها مستعملة فى لغتهم.

و يبدو أن وجود كلمات فى القرآن لا يعرف بعض الناس معناها أمر قديم، ففى أخبار الصحابة ما يدل على ذلك، و قد ذكرنا فى مبحث

لمحات فى علوم القرآن و اتجاهات التفسير، ص: ٢٢٠

التفسير فى عهد النبى صلى الله عليه و سلم أن عمر بن الخطاب لم يعرف معنى كلمة (الأب).

قال السيوطى: (فهذه الصحابة و هم العرب العرباء، و أصحاب اللغة الفصحاء، و من نزل القرآن عليهم بلغتهم، توقفوا فى ألفاظ لم يعرفوا معناها فلم يقولوا شيئا، فاخرج أبو عبيد فى «الفضائل» عن إبراهيم التيمى: أن أبا بكر الصديق سئل عن قوله تعالى: (وَ فَاكِهَةً وَ أَبًا) فقال:

أى سماء تظلنى، و أى أرض تقلنى إن أنا قلت فى كتاب الله ما لا أعلم؟

و اخرج عن أنس: أن عمر بن الخطاب قرأ على المنبر (وَ فَاكِهَةً وَ أَبًا) فقال:

هذه الفاكهة قد عرفناها، فما الأب؟ ثم رجع إلى نفسه فقال: إن هذا لهو التكلف يا عمر) «٢».

و الكتب التى عالجت إيضاح هذه المفردات دعيت بكتب غريب القرآن.

و يحسن أن نورد قول الخطابى الذى يشرح كلمة الغريب قال أبو سليمان الخطابى:

(الغريب من الكلام إنما هو الغامض البعيد عن الفهم، كما أن الغريب من الناس إنما هو البعيد عن الوطن المنقطع عن الأهل.

و الغريب من الكلام يقال به على وجهين:

أحدهما: أن يراد به أنه بعيد المعنى غامضه، لا يتناوله الفهم إلا عن بعد و معاناة فكر. و الآخر: أن يراد به كلام من بعدت به الدار من

شواذ قبائل العرب، فإذا وقعت إلينا الكلمة من لغاتهم استغربناها) «٣».

و التأليف فى غريب القرآن قديم. و أول من يعزى إليه كتاب فى غريب

(١) سورة عبس: ٣١.

(٢) «الاتقان»: ١١٣/١ و انظر الفصل الأول المتعلق بالتفسير فى عهد النبى صلى الله عليه و سلم.

(٣) «كشف الظنون»: ١٢٠٣/٢.

القرآن هو الصحابي عبد الله بن عباس. و كانت هناك - كما يذكر بروكلمان - نسخة من كتابه في برلين قبل الحرب العالمية الثانية، و تدور شكوكة عديدة حول صحة نسبه إلى ابن عباس.

و يرى الدكتور حسين نصار (١) ان هذا الكتاب كان يضم بعض الأقوال التي ادلى بها ابن عباس في تفسير الغريب من الفاظ القرآن، و انه لم يكن هو الذي دونها في كتاب، و إنما جمعها بعض رواة هذه الأقوال، و يحتج لرأيه هذا بأن أحدا من مترجمي ابن عباس لم ينسب إليه مثل هذا الكتاب.

و ذكر السيوطي في «الاتقان» ما رآه صحيحا عنه فقال:

(و أولى ما يرجع إليه في ذلك ما يثبت عن ابن عباس و اصحابه الآخذين عنه، فإنه ورد عنهم ما يستوعب تفسير غريب القرآن بالاسانيد الصحيحة الثابتة، و ها أنا أسوق هنا ما ورد من ذلك عن ابن عباس عن طريق ابن أبي طلحة خاصة فإنها من أصح الطرق عنه، و عليها اعتمد البخاري مرتبا على السور) (٢) و لا يبعد أن يكون أحد العلماء استخرج هذه النقول و وضع لها عنوانا هو (غريب القرآن) لابن عباس.

و ألف الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي كتابا عنوانه: «معجم غريب القرآن مستخرجا من صحيح البخاري» و أورد فيه ما ورد عن ابن عباس من طريق ابن أبي طلحة خاصة، و طبعه سنة ١٣٦٩ هـ (١٩٥٠ م).

و تذكر المصادر ان من العلماء المتقدمين الذين ألفوا في هذا الموضوع أبان بن تغلب البكري المتوفى سنة ١٤١ هـ الذي دون كتابا في غريب القرآن، و ذكر ياقوت في «معجم الأدباء» (٣) أن أبان كان يذكر في كتابه

(١) «المعجم العربي»: ١ / ٤٤.

(٢) «الاتقان» ١ / ١١٤.

(٣) «معجم الادباء» ١ / ١٠٨.

لمحات في علوم القرآن و اتجاهات التفسير، ص: ٢٢٢

شواهد من الشعر، فجاء فيما بعد عبد الرحمن بن محمد الأنزدي، فجمع من كتاب أبان و محمد بن السائب و أبي روق عطية بن الحارث فجعله كتابا ذكر ما اختلفوا فيه و ما اتفقوا عليه.

و سنذكر فيما يلي اسماء نفر من العلماء المتقدمين الذين ألفوا في غريب القرآن:

* منهم محمد بن السائب الكلبي الكوفي المتوفى سنة ١٤٦ هـ.

* و منهم أبو فيد مؤرج بن عمرو السدوسي البصري المتوفى سنة ١٧٤ هـ أو ١٩٠ هـ * و منهم علي بن حمزة الكسائي المتوفى سنة ١٨٢ هـ.

* و منهم يحيى بن المبارك اليزيدي المتوفى سنة ٢٠٢ هـ.

* و منهم النضر بن شميل المتوفى سنة ٢٠٣ هـ.

* و منهم قطرب محمد بن المستنير المتوفى سنة ٢٠٦ هـ.

* و منهم يحيى بن زياد الفراء المتوفى سنة ٢٠٧ هـ.

* و منهم أبو عبيدة معمر بن المثنى المتوفى سنة ٢١٠ هـ.

* و منهم الاخفش الأوسط سعيد بن مسعدة المتوفى سنة ٢١٦ هـ.

* و منهم أبو عبيد القاسم بن سلام المتوفى سنة ٢٢٣ هـ، و كتاب أبي عبيد صار هو القدوة في هذا الشأن.

و جاء بعد أبي عبيد محمد بن سلام الجمحي المتوفى سنة ٢٣١ هـ و ابن قتيبة المتوفى سنة ٢٧٦ هـ و ثعلب أحمد بن يحيى المتوفى سنة

٢٩١ هـ و ألف كل منهم كتابا في «غريب القرآن» و قد فقدت معظم هذه الكتب و سلم لنا كتاب ابن قتيبة الذي سنخصه بشيء من الحديث فيما يأتي:

غريب القرآن لابن قتيبة

: و ابن قتيبة هو أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة. ولد في الكوفة سنة ٢١٣ هـ ثم سكن بغداد، و عدّه العلماء امام مدرسه بغداد النحوية، ترك

لمحات في علوم القرآن و اتجاهات التفسير، ص: ٢٢٣

مؤلفات كثيرة قيمة، من أهمها «عيون الأخبار»، و «أدب الكاتب».

توفي ببغداد سنة ٢٧٦ هـ و كتابه من أهم كتب الغريب.

- ذكر في المقدمة انه قصر بحثه على غريب القرآن (دون تأويل مشكله إذ كنا قد أفردنا للمشكل كتابا جامعا كافيا بحمد الله).

- و أشار في هذه المقدمة إلى مراجعه و خطته بإزائها، و ذلك في قوله:

(و كتابنا هذا مستنبط من كتب المفسرين، و كتب أصحاب اللغة العالمين، لم نخرج فيه عن مذهبهم، و لا تكلفنا في شيء منه بآرائنا

غير معانيهم، بعد اختيارنا في الحرف أولى الأقاويل في اللغة، و أشبهها بقصة الآية، و نبذنا منكر التأويل و منحول التفسير).

- ثم ذكر غرضه الذي امتثله في هذا الكتاب، و منهجه في تأليفه فقال:

(و غرضنا الذي امتثلناه في كتابنا هذا أن نختصر و نكمل، و ان نوضح و نجمل، و ان لا نستشهد على اللفظ المبتدل، و لا نكثر الدلالة

على الحرف المستعمل، و أن لا- نحشو كتابنا بالنحو و الحديث و الأسانيد، فإننا لو فعلنا ذلك في نقل الحديث لاحتجنا إلى أن نأتي

بتفسير السلف رحمة الله عليهم بعينه، و لو أتينا بتلك الألفاظ كان كتابنا كسائر الكتب التي ألفها نقله الحديث) «١» ثم يقرر أنه لو

نقل أقوالهم و اختار منها أصحابها في نظره.

و أقام الدلائل عليه لأسهب في القول، و أطال الكتاب، و باعده من بغية المتأدب.

- و أورد في المقدمة نبذة عن التأويل المنكر و التفسير المنحول.

- أما كتابه فتلاثة أقسام:

١- ذكر في القسم الأول منها أسماء الله الحسنى، و تأويلها و اشتقاقها، و قد استغرق هذا القسم من صفحة ٦ حتى صفحة ٢٠. و قد

ذكر ستة

(١) مقدمة «غريب القرآن» ص ٣.

لمحات في علوم القرآن و اتجاهات التفسير، ص: ٢٢٤

و عشرين لفظا تتصل باسماء الله الحسنى من أمثال (الرحمن، الرحيم، السلام، القيوم...).

٢- و ذكر في القسم الثاني ألفاظا أكثر ترددها في القرآن الكريم، و فسرها، و قد استغرق هذا القسم من صفحة ٢١ حتى صفحة ٣٧، و

قد ذكر أربعين لفظا من أمثال (الجن، الناس، ابليس .. الأنفس).

٣- و القسم الثالث هو الغريب في القرآن. و هو يشكل معظم الكتاب، و يستغرق من صفحة ٣٧ حتى ٥٤٤ و هي نهاية الكتاب.

و قد جعل الغريب أقساما وفقا للسور مرتبة على ترتيبها في المصحف.

- و من الملاحظ ان ابن قتيبة اعتمد على كتابين من كتب القرآن المؤلفة قبله و هما: (كتاب «مجاز القرآن» لأبي عبيدة، و كتاب

«معاني القرآن» للفراء) اعتمد عليهما أكبر اعتماد، حتى أنه في بعض المواضع كان ينقل لفظهما نفسه، و لم يكن مجرد ناقل لا شخصية له، بل انك لتحس بشخصيته واضحة، و قد ينتقد من نقل عنه.

- و قد كان لهذا الكتاب أثر في الذين ألفوا في التفسير و الغريب من بعد.

- طبع هذا الكتاب أكثر من مرة. و طبع في مطبعة البابي الحلبي طبعه جيدة بتحقيق السيد أحمد صقر سنة ١٣٧٨ هـ الموافق ١٩٥٨ م. و على الكتاب تعليقات جيدة و وضع له فهرس نافع. و هذه الطبعة هي التي اعتمدت عليها في هذه الالمامة.

*** غريب القرآن للسجستاني:

و السجستاني هو أبو بكر محمد بن عزيز السجستاني المتوفى سنة ٣٣٠ هـ ١- و كتابه غريب القرآن يسمى أيضا «نزهة القلوب».

لمحات في علوم القرآن و اتجاهات التفسير، ص: ٢٢٥

٢- قال السيوطي في هذا الكتاب: (و من أشهرها كتاب العريزي، فقد أقام في تأليفه خمس عشرة سنة، يحرره هو و شيخه أبو بكر بن الأنباري) «١» و ذكر أبو البركات الأنباري: (أن السجستاني صنف كتابه في خمس عشرة سنة و كان يقرؤه على شيخه أبي بكر بن الأنباري فكان يصلح له فيه مواضع) «٢».

٣- مقدمته موجزة جدا، و هي بعد الحمدلة: (و بعد فهذا تفسير غريب القرآن ألف على حروف المعجم، ليقرّب تناوله، و يسهل حفظه على من أراد، و بالله التوفيق و العون).

٤- رتبته على حروف المعجم، و لم يرجع الكلمة الى أصل مادتها، و إنما راعى نطقها مراعاة تامة، و لم يفصل بين الزائد و الأصلي، فمثلا كلمة (أثقال) في باب الهمزة لا في باب التاء.

٥- قسم كل حرف من الحروف إلى ثلاثة أبواب: فمثلا حرف الباء نجد فيه الأبواب الثلاثة الآتية: (باب الباء المفتوحة) (باب الباء المضمومة) (باب الباء المكسورة).

٦- الكلمات في الباب لا يراعى فيها ترتيب الحروف بعد الحرف الأول، بل يراعى ورودها في المصحف و في السور.

٧- يستشهد المؤلف بأبيات من الشعر المحتج به.

٨- يغلب على شرحه للألفاظ الغريبة الإيجاز، و قد يقتصر في شرحه على كلمة واحدة.

٩- اعجب به الباحثون و أثنوا على مؤلفه و قرروا أنه أجاد، و قد شرح شواهد أبو العباس أحمد بن عبد الجليل التدميري «٣» المتوفى سنة ٥٥٥ هـ.

(١) «الاتقان» ١/ ١١٣ و انظر «بغية الوعاة» ص ٧٣.

(٢) «نزهة الألباء» ص ٣٨٦.

(٣) التدميري نسبة إلى تدمير بضم التاء، و هي بلدة في شرق قرطبة. انظر ترجمته في «الاعلام».

لمحات في علوم القرآن و اتجاهات التفسير، ص: ٢٢٦

طبع هذا الكتاب أكثر من مرة: طبعه الأستاذ مصطفى عناني، و طبعه أيضا محمد علي صبيح. ثم رأيت طبعه أصدرتها دار التراث في القاهرة بعنوان «تفسير غريب القرآن» ليس فيها مقدمة الطبع و لا اسم المحقق و لا تاريخ الطبع، و قد رتب المفردات على سور القرآن حسب ترتيب المصحف. و قد يكون أقدم رجل على ترتيب الكتاب ترتيبا أقرب للتناول، و لكن هذا العمل لا يجوز في كتب السابقين مع بقاء نسبتها إلى أصحابها.

*** المفردات في غريب القرآن:

و يمثل هذا الكتاب الذروة في التأليف في الغريب.
 و مؤلفه هو أبو القاسم الحسين بن محمد، المعروف بالراغب الأصبهاني من رجال القرن الخامس و المتوفى سنة ٥٠٢ هـ كما رجح الزركلي في «الاعلام» (١) ترك مؤلفات عديدة منها «جامع التفسير» و «حل متشابه القرآن» و «محاضرات الأدباء» (٢).
 و كتابه من أهم كتب الغريب و أنفعها، و سنحاول التعريف به فيما يأتي:
 - يبدو من مقدمته أن للمؤلف اشتغالا بالدراسات القرآنية، فقد ذكر فيها بعض رسائله عن القرآن.
 - ذكر في المقدمة منهج كتابه فقال:
 (و قد استخرت الله تعالى في إملاء كتاب مستوفى، فيه مفردات الفاظ القرآن على حروف التهجي، فنقدم ما أوله الألف، ثم الباء، على ترتيب حروف المعجم، معتبرا فيه أوائل حروفه الأصلية دون الزائد، و الإشارة

(١) أورد الزركلي في الهامش أقالا عدة في وفاته و يبدو أن حياته يكتنفها غير قليل من الغموض فقد اختلف في اسمه أيضا. (أنظر «الاعلام» ٢/ ٢٧٩).

(٢) و قد طبع أكثر من مرة.

لمحات في علوم القرآن و اتجاهات التفسير، ص: ٢٢٧

فيه إلى المناسبات التي بين الألفاظ، المستعارات منها و المشتقات، حسما يحتمل التوسع في هذا الكتاب) (١).

- أشار في المقدمة إلى أهمية معرفة مفردات القرآن لإدراك معاني الكتاب الكريم فقال:

(إن أول ما يحتاج أن يشتغل به من علوم القرآن العلوم اللفظية، و من العلوم اللفظية تحقيق الألفاظ المفردة، فتحصيل معاني مفردات القرآن ..

لمن يريد أن يدرك معانيه، كتحصيل اللبن في بناء ما يريد أن يبينه.

و ليس ذلك نافعاً في علم القرآن فقط، بل هو نافع في كل علم من علوم الشرع. فالفاظ القرآن هي لب كلام العرب و زبدته، و واسطته و كرائمه، و عليها اعتماد الفقهاء و الحكماء في أحكامهم و حكمهم، و إليها مفرع حذاق الشعراء و البلغاء في نظمهم و نثرهم) (٢).

- راعى في كتابه هذه المشتقات، و تعد من أبرز خصائص هذا الكتاب النفيس هذه المراعاة التي بدت بوضوح في الكتاب كله.

و قد يورد الاشتقاق الكبير أحيانا، فمثلا في مادة (فكر) قال:

قال بعض الأدباء: الفكر مقلوب عن الفك، لكن يستعمل الفكر في المعاني، و هو فرك الأمور و بحثها، طلبا للوصول إلى حقيقتها).

- راعى أيضا دوران اللفظ في الآيات المختلفة، و هذه خاصة ممتازة، ذلك لأن للقرآن الكريم في استخدام ألفاظ اللغة العربية طريقة خاصة فتتبع المفردة في القرآن كله يساعد مساعدة تامة على فهم الكلمة فهما سليما صحيحا (٣).

(١) «المفردات» ص ٤ طبعة المطبعة الميمنية.

(٢) «المفردات» ص ٣ طبعة المطبعة الميمنية.

(٣) انظر «التفسير البياني» لبنت الشاطي ١/ ١٤ و «دراسات في التفسير» لمصطفى زيد صفحة (ص).

لمحات في علوم القرآن و اتجاهات التفسير، ص: ٢٢٨

التزم ايراد ما يؤخذ من اللفظ من مجاز و تشبيه.

لم يورد في أقواله التي يسوقها أسماء لغويين و لا مفسرين إلا نادرا، رغبة في الإيجاز.

- كتابه أشبه ما يكون بمعجم كامل للألفاظ القرآنية، و ليس مقتصرًا على الغريب فقط. فهو يتناول معظم مفردات القرآن لا تكاد تفوته كلمة.

- و من أهم خصائص هذا الكتاب أنه يورد الفروق بين المعاني الدقيقة التي يظنها كثير من الناس سواء. فهو مثلا يفرق بين الحمد و الشكر و المدح «١»، فقد قرر أن الحمد لله تعالى يعنى الثناء عليه بالفضيلة، و هو أخص من المدح، و أعم من الشكر، فإن المدح يقال فيما يكون من الانسان باختياره، و فيما يكون في الانسان بالتسخير، فقد يمدح الانسان بطول قامته و صباحه و وجهه، كما يمدح ببذل ماله و سخائه و علمه. و الحمد يكون في الثاني دون الأول. و الشكر لا يقال إلا في مقابلة نعمة. فكل شكر حمد، و ليس كل حمد شكرا. و كل حمد مدح و ليس كل مدح حمدا «٢».

- اهتم بالإتيان بشواهد من الحديث الشريف و الشعر. اما استشهاده بالشعر فليبين المعنى للكلمة، لا للدلالة على أن الكلمة عربية، فقد ذكر في مادة (فلح) مثلا أن الفلاح الدنيوى الظفر بالسعادات التي تطيب بها حياة الدنيا، و هو البقاء و الغنى و العز، و إياه قصد الشاعر بقوله:

أفلح بما شئت فقد يدرك بالضعف و قد يخدع الأريب - طبع هذا الكتاب عدة طبعات في مصر: ففي سنة ١٣٢٤ ه طبع بالمطبعة الميمنية على نفقة مصطفى البابي الحلبي، و طبع على هامش «النهاية» في المطبعة الخيرية للسيد عمر الخشاب، و أعيد طبعه مؤخرا بتحقيق الأستاذ محمد سيد كيلاني.

(١) انظر ذلك في مادة «حمد».

(٢) انظر تفريق ابن تيمية بين الكلمتين في «مجموع الفتاوى» ١١/١٣٣.

لمحات في علوم القرآن و اتجاهات التفسير، ص: ٢٢٩

و في ختام حديثنا عن القسم المتعلق بالمفردات نود أن نشير إلى «معجم ألفاظ القرآن» الذي أصدره مجمع اللغة العربية بمصر و يقع في مجلدين كبيرين عدد صفحات الأول منهما ٦٤١ و عدد صفحات الثاني ٩١٨ صفحة و قد ذكر- في التمهيد الذي صدر به الجزء الأول- أن هذا الكتاب كان نتيجة لاقتراح الدكتور محمد حسين هيكل و ذلك في ٦ من شهر المحرم سنة ١٣٦٠ ه (الموافق ٢/٢/١٩٤١ م) و قد عمل على إنجاز هذا المعجم عدد من أهل العلم بلغوا كما جاء في التمهيد تسعة عشر رجلا. لمحات في علوم القرآن و

اتجاهات التفسير ٢٢٩ المفردات في غريب القرآن: ص: ٢٢٦

د شكلت لجنة لتأليف هذا الكتاب، و ما زالت تنمو هذه اللجنة حتى أصبحت في سنة ١٣٦٨ ه (١٩٤٩ م) مكونة من أعضاء المجمع: الشيخ إبراهيم حمروش، و الأستاذ إبراهيم مصطفى، و الشيخ عبد الوهاب خلّاف، و الأستاذ على عبد الرازق، و الدكتور محمد حسين هيكل، و الشيخ محمد الخضر حسين، و الشيخ محمود شلتوت، و الشيخ عبد القادر المغربي (عند حضوره إلى مصر).

و من قبل شارك في العمل بوضع المبادئ أو النماذج أو الإعداد أعضاء المجمع: ه. أ. ر. جب، و الشيخ أحمد إبراهيم، و الأستاذ على الجارم، و الشيخ مصطفى عبد الرازق. و قسمت مواد القرآن الكريم على لجان فرعية، كل لجنة منها مكونة من عضو من أعضاء المجمع و أستاذ منتدب من غير أعضائه مساعدا لعضو المجمع. و كان الأساتذة المساعدون هم:

الدكتور سيد نوفل، و الأستاذ عبد المنعم محمد خلّاف، و الشيخ على حسب الله، و الشيخ محمد الزفزاف، و الشيخ محمد على النجار، و الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي، و الشيخ محمد المدني.

و الطريقة التي انتهى اليها المجمع للسير عليها بوضع المعجم:

أولاً: إذا كانت الكلمة القرآنية ترد في القرآن بمعنى واحد:

أ- تشرح الكلمة شرحاً لغوياً أولاً.

لمحات في علوم القرآن و اتجاهات التفسير، ص: ٢٣٠

فإن كانت فعلاً مجرداً ذكر بابه و مصدره و مشتقاته إن كان لهذه المشتقات ورود في القرآن الكريم.

و إن كانت فعلاً مزيداً ذكر معناه، ثم ذكرت مشتقاته على النحو السابق.

و إن كانت اسماً اكتفى بمعناه.

و إن كانت مصدرًا ذكر معناه و فعله.

ب- يبين أن الكلمة وردت في القرآن الكريم في كذا موضعاً، و أنها جاءت في كل هذه المواضع بالمعنى الذي ذكر آنفاً.

ثانياً: إذا كانت للكلمة القرآنية معانٍ لغويةً مختلفةً:

أ- ينصّ على المعاني اللغوية كلها، و يبيّن نوع الفعل و المصدر، و تذكر المشتقات التي وردت من هذه المادة.

ب- يؤخذ أولاً أكثر المعاني دوراً في القرآن الكريم، و ينصّ على أن الكلمة وردت بهذا المعنى في كذا و كذا موضعاً. و يذكر

مثالان من الآيات مع اسم السورة و رقم الآية. ثم يكتفى بعد ذلك بما جاء من هذا المعنى بذكر السورة و رقم الآية.

ج- تذكر المعاني الأخرى معنى بعد آخر.

و يذكر بعد كل معنى عدد الآيات التي جاءت فيها الكلمة بهذا المعنى.

و يكتفى بمثال، ثم تذكر السور و أرقام الآيات الأخرى.

ثالثاً: قد يسهل أحياناً- إذا كان للكلمة أكثر من معنى- أن يبدأ بالمعاني التي وردت في قليل من الآيات، ثم يذكر المعنى الذي ورد

به كثير من الآيات، و يقال: ما عدا ذلك فهو بمعنى كذا في باقى الآيات.

رابعاً: إذا كان للكلمة معنى لغوي واحد و لكنها استعملت في القرآن الكريم بألوان مختلفة بسبب المجاز أو نحوه نصّ على المعنى

اللغوي البحت،

لمحات في علوم القرآن و اتجاهات التفسير، ص: ٢٣١

و قيل: إنها تستعمل أو قد ترد بمعنى كذا، ثم تذكر الآيات و أرقامها على النحو السابق.

على ضوء هذه الخطة سارت اللجنة في وضع المعجم بعد أن رتبت ألفاظ القرآن حسب حروف الهجاء مسترشدة بالمعجم المفهرس

لألفاظ القرآن.

هذا و قد اعتمدت على الطبعة الثانية لهذا الكتاب التي اصدرتها الهيئة المصرية العامة للتأليف و النشر في سنة ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م).

*** ٢- القسم المتعلق بالنحو و القضايا الاعرابية:

إشارة

كان التأليف في التفسير من زاوية النحو يسائر التأليف في غريب القرآن الذي تقدم ذكره. و يبدو أن معظم العلماء الذين غلب عليهم

الاشتغال بالنحو كانوا يضعون تفسيراً للقرآن الكريم، لأن هذا الكتاب الكريم مدار بحثهم، و عليه يعتمدون في تأييد القواعد، فلا بد

لهم من فهم آياته، و تفسيرها، و عرض و جهات نظرهم الاختصاصية خلال ذلك.

و من أشهر من كتب في ذلك الإمام النحوى الكبير الفراء المتوفى سنة ٢٠٧ هـ، و أبو العباس محمد بن يزيد الميرد المتوفى سنة ٢٨٦ هـ، و ثعلب أحمد بن يحيى المتوفى سنة ٢٩١ هـ، و يحيى بن على التبريزى المتوفى سنة ٥٠٨ هـ، و عبد الرحمن بن محمد أبو البركات الأنبارى المتوفى سنة ٥٧٧ هـ و غيرهم.

و نستطيع أن نصنف الكتب التى درست القرآن من وجهه النظر النحوية فى زمريتين:

- ١- كتب فسرت القرآن أو المشكل منه، و عنت بالنحو. و سندرست كتابين من هذه الزمرة هما «معانى القرآن» و «البحر المحيط».
- لمحات فى علوم القرآن و اتجاهات التفسير، ص: ٢٣٢
- ٢- كتب عرفت بكتب إعراب القرآن و هى كثيرة، عرض لطائفة جيدة منها صاحب «كشف الظنون»، و السيوطى فى «الإتقان». و سندرست بعضها بعد قليل:
- ١- من أقدم الكتب التى وصلت إلينا من كتب الزمرة الأولى- أى كتب التفسير المهمة بالنحو- كتاب «معانى القرآن» للفراء الذى سنتحدث عنه فيما يلى:

كتاب «معانى القرآن» للفراء:

يذكرنا هذا الكتاب بكتب المعانى التى نجدها فى جوانب الثقافة الإسلامية، فهناك كتب المعانى فى الآيات الشهيرة مثل «كتاب المعانى» لابن قتيبة. و هناك كتب المعانى فى مشكل الحديث مثل كتاب «معانى الآثار» للطحاوى. و هناك كتب المعانى فى القرآن مثل كتابنا الذى نحن بصدد دراسته الآن.

قال ابن الصلاح:

(و حيث رأيت فى كتب التفسير (قال أهل المعانى) فالمراد به مصنفو الكتب فى معنى القرآن كالزجاج، و الفراء، و الأخفش، و ابن الأنبارى) «١».

إذن فهناك عدد كبير من العلماء الاعلام قد ألفوا فى معانى القرآن و من أبرزهم هؤلاء الذين ذكرهم ابن الصلاح. و ربما كانت كتب المعانى هى النواة الأولى فى التفسير، و الفرق بينها و بين كتب التفسير: ان كتب المعانى كانت تختار بعض الآيات لتجلى معناها. أما كتب التفسير فكانت تحاول ألا تترك شيئا من القرآن دون أن تشرحه.

(١) «الإتقان» ١/ ١١٣.

لمحات فى علوم القرآن و اتجاهات التفسير، ص: ٢٣٣

أما أول من صنف فى معانى القرآن فيذكر الخطيب البغدادي فى، «تاريخ بغداد» أنه أبو عبيدة معمر بن المثنى، ثم قطرب بن المستنير «١»، و أول من صنف من الكوفيين الكسائى ثم الفراء. فجمع أبو عبيد من كتبهم و جاء فيها بالآثار و اسانيدها و تفاسير الصحابة و التابعين و الفقهاء «٢».

الفراء: أما الفراء فهو أبو زكريا، يحيى بن زياد الفراء الديلمى، من موالى بنى أسد. أخذ عن الكسائى، و كان إماما ثقة ذا حظوة عند المأمون، و قد عهد إليه بتعليم ابنه النحو. و اقترح عليه أن يؤلف ما يجمع به أصول النحو و ما سمع من العربية، و أمر أن تفرد له حجرة من الدار، و وكل بها خدما للقيام بما يحتاج إليه، و عين له نفرا من الوراقين، يكتبون ما يمليه حتى صنف كتاب «الحدود» فى سنتين، ثم خرج للناس، و أملى كتاب «المعانى» و قد تقدم ذكر سبب إملائه «٣»، و هو ورود كتاب من أحد أصحابه، و هو عمر بن بكير، يطلب إليه كتابه تفسير للقرآن حتى يعتمده فى الإجابة عند ما يسأل «٤». توفى الفراء سنة ٢٠٧ هـ.

أما كتاب «معاني القرآن» فنستطيع تسجيل الملاحظات الآتية حوله:

١- معاني القرآن هذا هو العنوان الشائع بين المشتغلين بالعلم، أما الفراء فقد ذكر العنوان في مقدمته كتابه كما يأتي: «تفسير مشكل إعراب القرآن و معانيه».

(١) هو محمد بن المستنير. و قطرب لقبه.
 (٢) «تاريخ بغداد». ١٢ / ٤٠٥ و أبو عبيد هو القاسم بن سلام المتوفى ٢٢٤ هـ.
 (٣) انظر ص ٢١٤ و ذلك عند كلامنا على تاريخ التفسير فيما بعد عهد التابعين.
 (٤) «الفهرست» لابن النديم ص ١٠٥ و انظر «معجم الأدباء» ٢٠ / ١٢ و انظر ترجمته في: «وفيات الأعيان» و «البداية و النهاية» ١٠ / ٢٦١ و «تهذيب التهذيب» ١١ / ٢١٢ و «غاية النهاية» ٢ / ٣٧١ و «نزهة الألباء» ٨١ و «بغية الوعاة» ٤١١ و «تاريخ بغداد» ١٤ / ١٤٩ و «شذرات الذهب» ٢ / ١٩ و انظر أيضا في ترجمته فصلا و افيا كتبه رمضان عبد التواب في مقدمته لكتاب الفراء «المذكر و المؤنث» الذي حققه و نشره سنة ١٩٧٥ و قد استقصى هناك ذكر كتبه.

لمحات في علوم القرآن و اتجاهات التفسير، ص: ٢٣٤

و هذا العنوان بهذه الصيغة يلقي ضوءا ساطعا على واقع الكتاب، فالإعراب- و لا سيما المشكل- هو هم المؤلف الأول، ليس معنى هذا خلو الكتاب من شرح المعنى، بل إن تفسير المعنى مقصد سعى إليه المؤلف، كما يدل على ذلك العنوان، غير أنه لا يشكل حيزا كبيرا إذا قيس بالإعراب و القضايا النحوية.

٢- يدل الكتاب على الثقافة النحوية الواسعة، التي كان يتمتع بها المؤلف كما يدل على معرفته الممتازة بلهجات الأعراب و لغاتهم.

٣- يدل الكتاب على ان مؤلفه من القراء العارفين المتقنين.

٤- يدل الكتاب على المنهج الذي كانت تنتهجه مدرسة الكوفة النحوية في بحثها لقضايا النحو و في التأليف. و لا بد من الإشارة إلى أن هذا الكتاب هو المرجع الكبير الذي ضم آراء هذه المدرسة بقلم أحد أئمتها.

و نستطيع الآن بعد أن نشر و طبع أن نتعرف على آراء الكوفيين من خلاله، و كنا قبل ظهوره نتعرف على آرائهم من خلال كتب خصومهم البصريين. و قد أحدث نشره تغييرا كبيرا في نظرنا للنحو الكوفي.

٥- قد يعنى المؤلف بالنواحي الاملائية. و المثل على ذلك بحثه في كتابه (باسم ربك) و (بسم الله) فقرر أن كلمة (اسم) إذا جاءت مع لفظه الرب أثبتت الفها، و إذا جاءت مع لفظ الجلالة حذف الألف و يعلل كتابتها في موضع و حذفها في الموضع الآخر «١».

٦- يحظى الاعراب بالقدر الأوفى من العناية عند المؤلف، و هو لا يكتفى بتقرير الاعراب على الوجه الذي وردت عليه الآية، و إنما يجاوز ذلك إلى توجيه أقوال الاعراب البداء و تخريجها وفقا لقواعد العربية، بل انه يذكر أحيانا قراءات القراء و اجماعهم، و لكنه جريا وراء الرغبة في

(١) «معاني القرآن» ١ / ٢ و ٣٣٧.

لمحات في علوم القرآن و اتجاهات التفسير، ص: ٢٣٥

الاعراب يقلب الآية على الوجوه التي يحتملها الاعراب «١».

٧- يأتي المؤلف بالنكت البيانية فيشرحها مستدلا عليها بما روى عن العرب من الاشعار، (انظر تفسيره لقوله تعالى: فما ربحت تجارتهم) «٢».

طبع هذا الكتاب في دار الكتب المصرية لأول مرة، و قد تم الجزء الأول منه سنة ١٣٧٤ هـ / ١٩٥٥ م و قد حققه الاستاذان أحمد يوسف

نجاتي و محمد على النجار و قد ردا الآيات التي استشهد بها المؤلف الى مواضعها في المصحف كما نسبنا الشواهد إلى أصحابها، و شرحا المصطلحات النحوية الخاصة بمدرسة الكوفة، و وضعنا فهرسا تفصيليا نافعا.
و طبع الجزء الثاني بتحقيق محمد على النجار سنة ١٣٨٦ هـ (١٩٦٦ م) و الجزء الثالث بتحقيق عبد الفتاح شلبي و علي النجدي سنة ١٣٩٢ هـ (١٩٧٢ م).
و تم الكتاب طباعة و تحقيقا، و هو من أنفس كتب التفسير و النحو.

*** تفسير «البحر المحيط» لأبي حيان:

أبو حيان هو أثير الدين، محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان الأندلسي الغرناطي الجياني. ولد في الأندلس سنة ٦٥٤ هـ، و تلقى العلوم العربية عن أكابر رجالها في الأندلس و افريقية. و كان يكثر نظم الأشعار و الموشحات «٣». ثم قدم الاسكندرية، فقرأ القراءات، و كان يعظم سيويه جدا، و كان بينه و بين ابن تيمية ود، و قد مدحه بقصيدة ثم انحرف عنه و نال منه، و قيل: إن سبب ذلك انه بحث معه في العربية، فخالف ابن تيمية سيويه، و ذكر ان له أخطاء، فكان ذلك سبب انحراف ابي حيان عنه.

(١) «معاني القرآن» ١٧/١.

(٢) «معاني القرآن» ١٤/١.

(٣) نشرت خديجة الحديثي و أحمد مطلوب ديوانه سنة ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٩ م ببغداد.

لمحات في علوم القرآن و اتجاهات التفسير، ص: ٢٣٦

كان ثبتا فيما ينقله، عارفا باللغاة، أما النحو و التصريف فهو الامام المطلق فيهما، خدم هذا الفن أكثر عمره، حتى صار لا يذكر في أقطار الأرض فيهما غيره. كان ظاهريا ثم تحول إلى مذهب الشافعي، و كان من كبار العلماء بالتفسير و الحديث و التراجم و اللغات «١». و توفي سنة ٧٤٥ هـ.

أما تفسيره «البحر المحيط» فنورد عنه الملاحظات الآتية:

١- هذا التفسير كبير يقع في ٨ مجلدات كبار.

٢- يكثر أبو حيان فيه من التعرض للمسائل النحوية و يتوسع في ذكر الخلاف بين النحويين و في إعراب الكلمات.

٣- يتكلم عن المعاني اللغوية للمفردات أولا. و إذا كان للكلمة معنيان أو معان شرح ذلك في أول موضع ترد فيه الكلمة.

٤- يذكر القراءات الواردة في الآية، و يوجهها نحويا، و يذكر الشاذ و المستعمل.

٥- يعنى بالناحية البلاغية بيانا و بديعا.

٦- يحيل على المصادر التي نقل منها قضايا الإعراب و الاحكام الفقهية. و قد أحصى في مقدمته المصادر الكثيرة التي استقى منها محتوى الكتاب و تتصل بعلوم كثيرة، و أورد سبعة وجوه يكون تفسير كتاب الله عليها «٢».

(١) أنظر ترجمته في «نفح الطيب» للمقرئ ٣/ ٢٨٩- ٣٤١ و «بغية الوعاة» للسيوطي ص ١٢١ و «الرد الوافر» لابن ناصر الدين الدمشقي ص ٦٢ و «الطبقات للسبكي» ٩/ ٢٧٦ و «الوافي بالوفيات» ٥/ ٢٦٧ و «نكت الهميان» ٢٨٠ و «الدرر الكامنة» ٥/ ٧٠ و «شذرات الذهب» ٦/ ١٤٥ و «البدر الطالع» ٢/ ٢٨٨ و «حسن المحاضرة» ١/ ٥٣٤ و «ذيول تذكرة الحفاظ» ٢٣ و «طبقات القراء» لابن الجزري ٢/ ٢٨٥ و «طبقات المفسرين» للداودي ٢/ ٢٨٦ و «فوات الوفيات» ٢/ ٥٥٥ و انظر في ترجمة أبي حيان و تفسيره مقالا قيما لمحمد عبد الخالق

عضيمة في مجلة كلية اللغة بالرياض العدد السابع سنة ١٣٩٧.

(٢) انظر «البحر المحيط» ١/ ٦-٧.

لمحات في علوم القرآن و اتجاهات التفسير، ص: ٢٣٧

٧- يذكر أسباب النزول، و الناسخ و المنسوخ، و ارتباط الآية بما قبلها و ما بعدها.

٨- يتحدث عن الأحكام الفقهية عند ما يمر بآيات الأحكام، فينقل أقوال الفقهاء من الأئمة الأربعة و غيرهم.

٩- يذكر ما جاء في كلام المتقدمين من السلف و الخلف.

١٠- يتبع آخر الآيات بكلام منشور يشرح به مضمون تلك الآيات على ما يختاره من تلك المعاني.

١١- ربما ألم بشيء من كلام الصوفية بما فيه بعض مناسبة لمدلول اللفظ. يقول في المقدمة: (و تجنبت كثيرا من أقاويلهم و معانيهم

التي يحملونها الألفاظ، و تركت أقوال الملحدين الباطنية المخرجين الألفاظ العربية عن مدلولاتها في اللغة الى هذيان افتروه على الله و على على رضى الله عنه و على ذريته و يسمونه علم التأويل) «١».

١٢- ينقل أبو حيان من تفسير الزمخشري كثيرا، و من تفسير ابن عطية أيضا، و يتعقبهما في آرائهما النحوية، و من الجدير بالذكر ان

أبا حيان يقف من الزمخشري مواقف عنيفة، و يسخر منه سخريه شديدة، من أجل آرائه الاعتزالية و إن كان يثنى على مقدرته في الناحية البلاغية.

و قد طبع هذا الكتاب و اعيد تصويره بعد حين و ما يزال بحاجة إلى من يحققه و ينشره نشرا حديثا.

*** ٢- كتب إعراب القرآن:

هذه الكتب كثيرة كثيرة تستلفت النظر حتى قال السيوطي «٢»:

(١) «البحر المحيط» ١/ ٥.

(٢) «الاتقان» ١/ ١٧٩.

لمحات في علوم القرآن و اتجاهات التفسير، ص: ٢٣٨

(أفردته بالتصنيف خلاثق. منهم مكى «١» و كتابه في المشكل خاصة، و الحوفي «٢» و هو أوضحها، و أبو البقاء العكبرى «٣» و هو

أشهرها، و السمين «٤» و هو أجملها على ما فيه من حشو و تطويل «٥» و لخصه السفاقي «٦».

و هناك كتب كثيرة في هذا الموضوع لمؤلفين قدامى و متأخرين من أشهرها:

١- كتاب «إعراب القرآن» للزجاج المتوفى سنة ٣١١ هـ و طبعه بهذا الاسم الاستاذ الأبيارى «٧» في ثلاثة مجلدات. و ذكره ابن النديم

في «الفهرست» «٨» بعنوان «معاني القرآن».

٢- كتاب «إعراب ثلاثين سورة من القرآن» لابن خالويه النحوي المتوفى سنة ٣٧٠ هـ، و اسمه الحسين بن أحمد. و قد نشرته دار

الكتب المصرية سنة ١٣٦٠ هـ (١٩٤١ م).

(١) هو مكى بن حموش (٣٥٥-٤٣٧ هـ) الاندلسي، مقرئ عالم بالتفسير و العربية من أهل القيروان سكن قرطبة و توفي فيها له كتاب

«مشكل إعراب القرآن».

(٢) هو على بن إبراهيم الحوفي المتوفى سنة ٤٣٠ هـ. نحوي عالم باللغة و التفسير.

(٣) هو عبد الله بن الحسين (٥٣٨-٦١٦ هـ) عالم بالأدب و اللغة و الحساب، أصله من عكبرة بليدة على دجلة. ولد و توفي ببغداد، و عمى في صباه و سنتحدث عن كتابه.

(٤) هو أحمد بن يوسف بن عبد الدائم الحلبي، مفسر عالم بالعربية و القراءات، شافعي من أهل حلب، استقر في القاهرة، و توفي سنة ٧٥٦ هـ.

(٥) و قد تعقب حاجي خليفة في كتابه «كشف الظنون» ١/ ١٢٢ السيوطي فقال: (انه أجل ما صنف فيه، لأنه جمع العلوم الخمسة: الإعراب و التصريف و اللغة و المعاني و البيان، و أما قول السيوطي فيه: (هو مشتمل على حشو و تطويل لخصه السفاسي فجوده) فوهم منه، لأن السفاسي ما لخص إعرابه منه، بل من «البحر» .. و السمين لخصه أيضا من «البحر» في حياة شيخه أبي حيان و ناقشه فيه كثيرا).

(٦) هو إبراهيم بن محمد السفاسي ولد سنة ٦٩٧ هـ أخذ عن أبي حيان بالقاهرة و قدم دمشق فسمع من المزي و توفي سنة ٧٤٢ هـ.

(٧) و قد كتب صديقنا أحمد راتب النفاخ مقالين قيمين حول هذه الطبعة في مجله مجمع دمشق ج ٤ م ٤٨ و ج ١ م ٤٩.

(٨) «الفهرست» ص ٩٦.

لمحات في علوم القرآن و اتجاهات التفسير، ص: ٢٣٩

٣- «التيبان في اعراب القرآن المجيد» «١» لأبي البقاء العكبري المتوفى سنة ٦١٦ هـ. و هو كتاب من أشهر كتب إعراب القرآن، غير ان أبا حيان كان يتعقب أبا البقاء في كثير من مواضع تفسيره «البحر».

و قد طبع مرات عديدة و طبع مؤخرا طبعة حديثه.

٤- «المجيد في إعراب القرآن المجيد» للسفاسي المتوفى سنة ٧٤٢ هـ.

و كتابه أحسن من الكتاب السابق، و هو كما يقول صاحب «كشف الظنون» في مجلدات. و قد ذكر في هذا الكتاب شيخه أبا حيان و كتابه «البحر»، و مدحه كثيرا غير أنه قال فيه: (لكنه سلك سبيل المفسرين في الجمع بين التفسير و الاعراب فتفرق فيه المقصود) «٢» فاستخار الله في تلخيصه، و جمع ما بقى في كتاب أبي البقاء من إعرابه لكونه كتابا قد عكف الناس عليه، فضمه إليه بعلامة الميم. و أورد ما كان له بعد كلمة:

(قلت).

*** القواعد التي على معرب القرآن أن يراعيها:

يجب على معرب القرآن مراعاة ما يأتي:

١- أن يفهم معنى ما يريد أن يعربه، مفردا أو مركبا قبل الإعراب.

و قد قرّر ابن هشام «٣» أنه قد زلت أقدام كثير من المعربين راعوا في الإعراب ظاهر اللفظ و لم ينظروا في موجب المعنى من ذلك قوله تعالى:

أَصِيْلَاتِكْ تَأْمُرُكَ أَنْ تَنْتَرِكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ «٤» فانه يتبادر إلى الذهن عطف (أن نفعل) على (أن نترك)، و ذلك باطل لأنه لم يأمرهم أن يفعلوا في أموالهم ما يشاءون، و إنما هو

(١) و هو «إملاء ما من به الرحمن من وجوه الإعراب و القراءات في جميع القرآن».

(٢) انظر «كشف الظنون» ٢/ ١٦٠٧.

(٣) «مغنى اللبيب» ٢ / ٥٢٧ - ٥٢٩.

(٤) سورة هود: ٨٧.

لمحات في علوم القرآن و اتجاهات التفسير، ص: ٢٤٠

عطف على (ما) فهو معمول للترك. و المعنى: أن نترك أن نفعل في أموالنا ما نشاء.

٢- أن يراعى ما تقتضيه الصناعة و أن يكون ملما إماما جيدا بقواعد النحو و الصرف و الأسلوب الأفضل عند العرب.

٣- أن يتجنب الأمور البعيدة، و الواجه الضعيفة، و اللغات الشاذة، و يخرج على القوى و القريب و الفصيح.

٤- أن يراعى الرسم، و من ثم خطأ من قال في (سلسيلا) الواردة في قوله تعالى: وَ يُسَدِّقُونَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلًا. عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسِيلًا «١»: إنها جملة أمرية، أى سل طريقا.

٥- أن يتأمل عند ورود المشتبهات، و من ثم خطأ من قال في أحصى لما لبثوا أميدا «٢»: إنه أفعل تفضيل، و المنصوب تمييز، و هو باطل. فإن الأمد ليس محصيا بل يحصى.

و شرط التمييز المنصوب بعد (أفعل) كونه فاعلا في المعنى. فالصواب في اعراب الآية أن (أحصى) فعل. و أن (أمدا) مفعول. مثل: و أحصى كل شئ عددا «٣».

٦- ان لا يخرج على خلاف الأصل أو خلاف الظاهر بغير مقتض.

- أن يبحث عن الأصلي و الزائد.

٨- أن يجتنب اطلاق لفظ (الزائد) في كتاب الله، فإن الزائد قد يفهم منه أنه لا معنى له. و كتاب الله منزه عن ذلك، و لذا فر بعضهم إلى

(١) الانسان: ١٧- ١٨.

(٢) الكهف: ١٢ و انظر خلاف البصريين و الكوفيين في إعرابها في «البحر المحيط» ٦ / ١٠٤ - ١٠٥ و «أضواء البيان» ٤ / ٢٤ - ٢٧.

(٣) الجن: ٢٨.

لمحات في علوم القرآن و اتجاهات التفسير، ص: ٢٤١

التعبير عوضا عن ذلك بالتأكيد، و الصلة و المقحم).

*** ٣- القسم المتعلق بالأساليب البيانية:

إشارة

رأينا فيما سبق أن التفسير بدأ في القرن الأول، ثم أخذ ينمو و يتضخم ابتداء من أواخر القرن الثاني، حتى أصبحت المؤلفات فيه لا يكاد يحصيها العد.

و لكن بدلا من أن يبحث عن الجمال الفني في القرآن و تناسقه و انسجامه مع الجمال الموضوعي البالغ حد الكمال، أخذ التفسير يخوض في مباحث كلامية و فقهية قائمة على الجدل، و في موضوعات نحوية و صرفية و لغوية.

و قد رأينا مثلا على ذلك فيما مضى.

و بذلك لم يستطع التفسير أن يحقق الغرض الذى من أجله قام، لأننا رأينا أن الغرض من التفسير هو الوقوف على معانى القرآن و

إدراك أسرار اعجازه.

أما التأليف في التفسير البياني الذي يكشف عن وجوه الجمال و الإعجاز، و الذي يولى هذا الجانب الاهتمام الأكبر فقد كان متأخرا من جهة، و كان محصورا في حقلين من جهة أخرى:

* الحقل الاول: حقل إعجاز القرآن، و قد تقدم البحث فيه في صدر الكتاب «١».

* الحقل الثاني: حقل المتكلمين و البلاغيين، و هذا ما نود أن نتحدث فيه الآن:

كان المعتزلة- و هم المشتغلون في علم الكلام- يحاولون أن يحتكروا

(١) أنظر الفصل السابع من الباب الأول من قسم القرآن و علومه.

لمحات في علوم القرآن و اتجاهات التفسير، ص: ٢٤٢

العناية بدراسة البلاغة القرآنية في القرنين الثاني و الثالث. و كان من أهم أعلامهم و اصل بن عطاء، و الجاحظ، و محمد بن يزيد الواسطي المعتزلي و غيرهم، و لكنهم لم يفلحوا في أن يبقى البحث في البلاغة القرآنية وفقا عليهم، إذ كان يقوم الى جانبهم دائما عمالقة من أهل السنة يشاركونهم البحث في بلاغة القرآن بأصالة و عمق.

و في القرن الخامس نجد أن شافعيًا من أهل السنة، و من عباقرة علماء العربية و هو عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني المتوفى سنة ٤٧١ هـ يأخذ على عاتقه هذه المهمة و ينتزع الرأي من أيدي المعتزلة و قد بلغ غاية التوفيق المقدر لباحث في عصره، فلقد أوشك أن يصل إلى اكتشاف سر الجمال الفني، بصورة كاملة في كتابه «دلائل الإعجاز».

قال الاستاذ سيد قطب: (لو لا أن قصة المعاني و الألفاظ ظلت تخايل له من أول الكتاب إلى آخره، فصرفته عن كثير مما كان وشيكا أن يصل إليه، و لكنه على الرغم من ذلك كله كان أنفذ حسا من كل من كتبوا في هذا الباب) «١» و يستحق أن يدرس دور عبد القاهر في الدراسات القرآنية مفصلا و مفردا.

و قال الاستاذ سيد: (و أيا ما كانت تلك الجهود التي بذلت في التفسير و في مباحث البلاغة و الإعجاز، فإنها وقفت عند حدود عقلية النقد العربي القديمة: تلك العقلية الجزئية التي تناول كل نص على حدة، فتحلله و تبرز الجمال الفني فيه- الى الحد الذي تستطيع- دون أن تتجاوز هذا إلى إدراك الخصائص العامة في العمل كله.

هذه الظاهرة قد برزت في البحث عن بلاغة القرآن، فلم يحاول أحد أن يجاوز النص الواحد إلى الخصائص الفنية العامة، اللهم إلا ما قيل في تناسق تركيب القرآن و ألفاظه، أو استيفاء نظمه لشروط الفصاحة و البلاغة المعروفة، و هذه ميزات- كما قال عبد القاهر بحق- لا تذكر في مجال

(١) أنظر «التصوير الفني» ص ٥٩.

لمحات في علوم القرآن و اتجاهات التفسير، ص: ٢٤٣

الاعجاز، لأنها ميسرة لكل شاعر و كاتب شب عن الطوق.

و بوقوف الباحثين في بلاغة القرآن عند خصائص النصوص المفردة، و عدم تجاوزها الى الخصائص العامة، و صلوا الى المرحلة الثانية من مراحل النظر في الآثار الفنية، و هي مرحلة الادراك لمواضع الجمال المتفرقة، و تحليل كل موضع منها تعليلا منفردا. ذلك مع ما قدمنا من أن هذا الادراك كان بدائيا ناقصا.

أما المرحلة الثالثة- مرحلة إدراك الخصائص العامة- فلم يصلوا إليها أبدا لا في الأدب، و لا في القرآن، و بذلك بقي أهم مزايا القرآن مقفلا خاليا «١».

اما الكتب التي وصلت اليها في هذا المجال في تفسير القرآن فأهمها كتاب «الكشاف» للزمخشري. و في العصر الحاضر الذي نهضت فيه الآداب و تقدم النقد قامت بعض الطاقات تخوض في هذا الميدان تحاول أن تستدرك ما فات الأقدمين، و سندررس محاولة الاستاذ سيد قطب الناجحة التي تدل على أصالة و ذوق و إبداع. فلنتعرف اذن الى «الكشاف» و «ظلال القرآن».

١- الكشاف للزمخشري:

إشارة

الزمخشري هو محمود بن عمر أبو القاسم. و قد عرف بجار الله، لأنه جاور في مكة مدة من الزمان. ولد في زمخشر سنة ٤٦٧ هـ، و توفي في جرجانية من قرى خوارزم سنة ٥٣٨ هـ. كان من أكبر رءوس الاعتزال في عصره، و كان حنفي المذهب، و ترك عدة كتب نافعة، من أشهرها:

«أساس البلاغة» في مفردات اللغة التي تستعمل في المجاز، و «المفصل» في النحو و «الفائق» في غريب الحديث «٢».

(١) «التصوير الفني» ص ٢٢.

(٢) أنظر ترجمته في «وفيات الأعيان» و «انباه الرواة» ٣/ ٢٦٥ و «البداية و النهاية» ١٢/ ٢١٩ و «شذرات الذهب» ٤/ ١١٨ و «الميزان» ٤/ ٧٨ و «لسان الميزان» ٦/ ٤

لمحات في علوم القرآن و اتجاهات التفسير، ص: ٢٤٤

أما تفسيره فله مكانة كبيرة، و مما يدل على هذه المكانة مدحه من قبل كل من وقفوا عليه، و معظمهم من خصوم الزمخشري و خصوم المعتزلة كابن بشكوال و الشيخ الهروي و أبي حيان و التاج السبكي و ابن حجر. و لكل ممن ذكرنا أقوال في الثناء على «الكشاف».

* و سنذكر بعض الملاحظات حول هذا الكتاب:

١- سبب تأليفه هو طلب جماعة من المعتزلة إلى الزمخشري أن يؤلف لهم تفسيراً، فكان يعتذر في بادئ الامر، إلى أن جاور في مكة، فطلب إليه أميرها أبو الحسن علي بن حمزة أن يكتب تفسيراً فاستجاب لذلك بعد أن كان قد بلغ من الكبر عتياً، و قد استطاع انجازه بسرعة كبيرة، ببركة هذا الحرم المعظم كما يقول في المقدمة:

(... و وفق الله و سدد، ففرغ منه في مقدار مدة خلافة ابي بكر الصديق رضى الله عنه، و كان يقدر تمامه في أكثر من ثلاثين سنة و ما هي إلا آية من آيات هذا البيت المحرم، و بركة أفيضت على من بركات هذا الحرم المعظم) و معلوم ان خلافة ابي بكر سنتان و أربعة أشهر.

٢- و كان الزمخشري معتدا بهذا الكتاب فخورا به الى حد بعيد حتى نسب اليه السيوطي و صاحب «كشف الظنون» «١» و غيرهما البيتين الآتين:

ان التفاسير في الدنيا بلا عدد و ليس فيها لعمري مثل كشافى

ان كنت تبغى الهدى فالزم قراءته فالجهل كالداء و «الكشاف» كالشافي ٣- و عنوان الكتاب هو: «الكشاف عن حقائق التنزيل، و عيون الأقاويل في وجوه التأويل».

و «المنتظم» ١٠/ ١١٢ و «معجم الأدباء» ١٩/ ١٢٦ و «تذكرة الحفاظ» ٤/ ١٢٣٨ و «بغية الوعاة» ٣٨٨ و «طبقات المفسرين» للسيوطي ٤١ و

«طبقات المفسرين» للداودي ٣١٤/٢ و «مفتاح السعادة» ٩٧/٢.

(١) «بغية الوعاة» ص ٣٨٨ و «كشف الظنون» ١٤٧٦/٢.

لمحات في علوم القرآن و اتجاهات التفسير، ص: ٢٤٥

٤- اللغة التي كتب بها الزمخشري كتابه لغه رفيه ساميه بليغه واضحه و قد خلا هذا التفسير من الحشو و التطويل، على أن هذا الایجاز و التركيز لم يورث الكلام غموضا و لا تعقيدا.

٥- جمع هذا الكتاب خاصيتين اثنتين لم توجدا في غيره:

أولاهما: انه أوسع كتاب في استجلاء نواحي الجمال في القرآن و الكشف عن وجوه الاعجاز.

و هو تفسير لم يسبق مؤلفه اليه، لإبانتته عن وجوه الاعجاز في آيات القرآن و بلاغته. و قد أعانه على تحقيق ذلك معرفته بلغة العرب، و إحاطته بعلوم البيان و النحو و اللغة. قال في المقدمة:

(و لا يغوص على شيء من تلك الحقائق الا رجل قد برع في علمين مختصين بالقرآن. و هما: علم المعاني، و علم البيان، و تمهل في

ارتيادهما آونه، و تعب في التنقيح عنهما أزمته، بعد أن يكون آخذا من سائر العلوم بحظ، جامعا بين أمرين: تحقيق و حفظ).

و قد أثبت الزمخشري في «كشافه» أنه ممن اتصفوا بهذه الصفات إذ كان يعتمد في بيان المعنى على أساليب لغة العرب المعهودة في مأثور كلامهم.

ثانيهما: انه أضخم تفسير للمعتزلة وصل إلى أيدينا و هو يعبر عن عقائدهم من خلال شرحه للآيات، و يمكننا أن نقول: إنه جمع أقوال

أئمة الاعتزال المتقدمين مثل الجاحظ و القاضي عبد الجبار و غيرهما من كبار المعتزلة.

و لا- بد من الاشارة إلى أن الزمخشري قد يخالف المعتزلة في مواضع قليلة، ذهب فيها إلى خلاف الرأي الذي يتجه اليه علماء

الاعتزال، فمن ذلك موضوع عذاب القبر الذي يذهب إلى إثباته و يناقش فيه المخالفين على طريقته (فان قلت ... قلت) «١».

(١) «الكشاف» ١/ ٣٣٩.

لمحات في علوم القرآن و اتجاهات التفسير، ص: ٢٤٦

و في مثل هذه المواضع نجد ابن المنير يثنى عليه و على صنيعه الثناء المستطاب، فيقول مثلا في تعليقه على تفسير الزمخشري للآية وَ إِنَّمَا تُؤَفَّقُونَ أَجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ «١».

يقول ابن المنير: (و لقد أحسن الزمخشري في مخالفة أصحابه في هذه العقيدة، فإنهم يجحدون عذاب القبر، و ها هو قد اعترف به) «٢».

٦- بنى المؤلف مناقشته على طريقة افتراض السؤال، ثم وضع الجواب عنه. يبدأ بعرض السؤال بقوله: (فان قلت) ثم يأتي بالجواب مصدرا بقوله: (قلت).

٧- يقل من ذكر الروايات الإسرائيلية، و يناقش ما يورده منها، و غالبا ما يرددها، و لذا فاننا نستطيع أن نعد تفسيره «الكشاف» خاليا من الاسرائيليات نسبيا.

٨- الأحاديث النبوية قليلة فيه أيضا، و قلما يعتمد المؤلف على الحديث في شرحه لمعنى الآية، و مع ذلك فان فيه عددا وافرا من الأحاديث الموضوعه دون أن ينه على ذلك، و لا سيما في فضائل السور، إذ كان يورد في آخر كل سورة الأحاديث التي تشير الى فضلها و ثواب قراءتها، و معظمها موضوع.

٩- يشتد على أهل السنة و الجماعة و يذكرهم بعبارات فاحشه، و قد ينسبهم الى أهل الأوهام و الخرافات، و قد ينسبهم - على سبيل التعريض - الى الكفر.

و من أجل ذلك قال الرازي في «تفسيره»:

(خاض صاحب «الكشاف» في هذا المقام في الطعن في أولياء الله، و كتب فيها ما لا يليق بعاقل ان يكتب مثله في الفحش. فهب انه اجترأ على

(١) آل عمران: ١٨٥.

(٢) «الانتصاف» (المطبوع بهامش الكشاف) ١/ ٣٣٩.

لمحات في علوم القرآن و اتجاهات التفسير، ص: ٢٤٧

الطعن في أولياء الله تعالى فكيف اجترأه على كتبه ذلك الكلام الفاحش في تفسير كلام الله المجيد؟).

١٠- الطابع العقلي و المذهب الكلامي واضحان في منهج الزمخشري في الكتاب، و لذلك فان اعتباره ممثلاً لاتجاه التفسير بالرأى أمر مقبول.

١١- و هو يؤول الآيات بما يتناسب مع نحلته، و يصرفها عن ظاهرها بتكلف و تعسف. أنظر مثلاً تفسيره لقوله تعالى: «ناظرة» في الآية الواردة في سورة القيامة. كَلَّا يَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ، وَ تَذَرُونَ الْآخِرَةَ، وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ. إِلَى رَبِّهَا نَاضِرَةٌ (١) لتري مدى التعسف، و تحميل النصوص ما لا تحمل، ذلك لأن المعتزلة يرون أنه لا يمكن رؤية الله أبداً.

و هو كذلك في كل آيات الصفات يصرف الآية عن ظاهرها، و يعتمد على المجاز و الاستعارة.

١٢- و قد يلجأ في رد دلالة الآية التي لا توافق مذهبه يلجأ إلى ادعاء انها من المتشابهة، يقف ذلك الموقف أمام النصوص التي تصادم مذهبه، إن لم يمكنه تأويلها.

١٣- يحسن عرض فكرته على الوجه المناسب حتى ان كثيراً من المغالطات لتخفى على كثير من الناس، و لا سيما أن عدداً من هذه الموضوعات شائك، ليس لدى جمهور الناس فكرة واضحة عنها، و لذا فقد أحسن طابعوه الذين طبعوه مذيلاً برد عليه لابن المنير سنذكره بعد قليل.

*** تأثير «الكشاف»:

كان لكتاب «الكشاف» تأثير كبير على علماء المسلمين، يدلنا على هذا التأثير:

(١) سورة القيامة: ٢٠-٢٣. و انظر «ترتيب المدارك» للقاضي عياض ١/ ١٧٢-١٧٣.

لمحات في علوم القرآن و اتجاهات التفسير، ص: ٢٤٨

أ- الكتب الكثيرة: التي ألفت حول «الكشاف»، فقد كان منها كتب في الرد على الافكار المنحرفة التي وردت في الكتاب، و كان منها كتب تتعلق بتخريج الاحاديث، و كان منها كتب تتصل بالشواهد شرحاً و اعراباً و اتماماً، و كان منها كتب تعد شرحاً للكشاف، و كان منها كتب، تعد تلخيصاً له. و قد ألف هذه الكتب رجال من أهل السنة، بل و من ائمة أهل السنة كما سنرى.

و سنذكر كتباً اربعة هي:

١- «الانتصاف» للشيخ احمد بن محمد بن منصور الميتر الاسكندري المالكي المتوفى سنة ٦٨٠ هـ، و قد تعقبه في اعتزالياته تعقبا عجبياً، و لم يدع له إشارة و لا تصريحاً دون أن يأتي عليه بالمناقشة و الرد، و قد فند حججه، و قابل عنفه بعنف مثله أو أشد.

٢- «الكافي الشاف في تخريج أحاديث الكشاف» لأمير المؤمنين في الحديث الامام ابن حجر العسقلاني المتوفى سنة ٨٥٢ هـ، و هو كتاب نافع جداً، لانه يوقف القارئ على درجة الحديث الذي يمر معه.

٣- «حاشية الشيخ محمد عليان المرزوقي على تفسير الكشاف».

٤- «مشاهد الانصاف على شواهد الكشاف» للمرزوقي المذكور.

ب- ثناء كثير من خصوم الاعتزال على «الكشاف»، فلو لم يكن هذا الكتاب من قوة التأثير بهذه الدرجة لما كان منهم مثل هذا الثناء عليه.

قال ابن خلدون:

[و الصنف الآخر من التفسير، و هو ما يرجع إلى اللسان من معرفة اللغة و الإعراب و البلاغة في تأدية المعنى بحسب المقاصد و الأساليب و من أحسن ما اشتمل عليه هذا الفن من التفاسير كتاب «الكشاف» للزمخشري من أهل خوارزم العراق، ألا أن مؤلفه من أهل الاعتزال في العقائد، فيأتي بالحجاج على مذاهبهم الفاسدة حيث تعرض في آي القرآن من طرق البلاغة.

لمحات في علوم القرآن و اتجاهات التفسير، ص: ٢٤٩

فصار ذلك للمحققين من أهل السنة انحراف عنه و تحذير للجماهير من مكانه مع إقرارهم برسوخ قدمه فيما يتعلق باللسان و البلاغة. و إذا كان الناظر فيه واقفا مع ذلك على المذاهب السنية، محسنا للحجاج عنها، فلا جرم أنه مأمون من غوائله، فلتغتنم مطالعته لغراءة فنونه في اللسان.

و لقد وصل إلينا في هذه العصور تأليف لبعض العراقيين و هو شرف الدين الطيبي من أهل توريز من عراق العجم، شرح فيه كتاب الزمخشري هذا، و تتبع ألفاظه و تعرض لمذاهبه في الاعتزال بأدلة تزييفها و تبين أن البلاغة إنما تقع في الآية على ما يراه أهل السنة، لا على ما يراه المعتزلة، فأحسن في ذلك ما شاء مع إمتاعه في سائر فنون البلاغة. و فوق كل ذي علم عليم] «١».

ج- و هناك كتب أخرى في التفسير تأثرت بالكشاف تأثراً كبيراً، لاعتماد مؤلفيها على هذا الكتاب بالذات اعتماداً كلياً، لا سيما في النواحي المتصلة بالبيان و البلاغة، و لم تعلن انها تدور حوله، و نستطيع ان نعد من هذا القبيل أسماء كثيرة من كتب التفسير التي جاءت بعد عصر المؤلف، و أوضح مثال على ذلك تفسير النسفي المتوفى ٧٠١ هـ و البيضاوي المتوفى ٧٩١ هـ.

د- و من الطريف أن نورد رأي أبي حيان في «الكشاف» و ذلك في قوله: [و أنت ترى هذا الكلام و ما احتوى عليه من الترصيف الذي يبهر بجنسه الادباء، و يقهر بفصاحته البلغاء، و هو شاهد له باهليته للنظر في تفسير القرآن، و استخراج لطائف الفرقان] «٢» ثم وازن بينه و بين تفسير ابن عطية، و في قوله في ابيات أثنى فيها على الزمخشري، ثم انتقده، و هذه الأبيات ذكرها في «البحر المحيط» «٣» نختار منها ما يأتي:

(١) مقدمة ابن خلدون ٤٤٠ ط المكتبة التجارية الكبرى بمصر.

(٢) «البحر المحيط» ١ / ٩ - ١٠.

(٣) «البحر المحيط»: ٧ / ٨٥ و ديوان أبي حيان ٣٢٧ - ٣٢٨.

لمحات في علوم القرآن و اتجاهات التفسير، ص: ٢٥٠ و لكنه فيه مجال لناقدو زلات سوء قد أخذن المخانقا

فيثبت موضوع الاحاديث جاهلا و يعزو الى المعصوم ما ليس لائقا

و يشتم اعلام الأئمة ضلء و لا سيما ان أولجوه المضايقا

و يسهب في المعنى الوجيز دلالة بتكثير الفاظ تسمى الشقاشقا

يقول فيها الله ما ليس قائلوا كان محبا في الخطابة و امقا

و ينسب ابداء المعاني لنفسه ليوهم اغمارا و ان كان سارقا

و يخطئ في فهم القرآن لأنه يجوز اعرابا أبي أن يطابقا

و كم بين من يؤتى البيان سليقة و آخر عاناه فما هو لاحقا
و يحتال للالفاظ حتى يديرها المذهب سوء فيه أصبح مارقا ***

٢- «في ظلال القرآن» للاستاذ سيد قطب:

ترجمة المؤلف:

ولد الاستاذ سيد سنة ١٣٢٤ هـ (١٩٠٦ م) و درس دراسته الابتدائية و الثانوية في مصر، ثم دخل دار العلوم، و تخرج فيها يعمل في التدريس ثم شرع يشتغل في الصحافة و التأليف، فعرفته البلاد العربية كاتبا مجيدا و أدبيا كبيرا، و ناقدا أصيلا .. ثم غلبت عليه الدراسات الاسلامية، فبقى حياته مجاهدا يدعو إلى الله على هدى و بصيرة، و تحمل من أجل ذلك الكثير، و ضحى بالغالى و النفس، و ظل يقود فكر مثقفى العالم الاسلامى فى أصعب الظروف، و من وراء قضبان السجن إلى ان استشهد يوم الاثنين ١٣ جمادى الأولى سنة ١٣٨٦ هـ الموافق ل ٢٩ آب سنة ١٩٦٦ م. و خلف ثروة ضخمة من المؤلفات من أهمها:
الكتاب الذى نتحدث عنه و هو «في ظلال القرآن» و «التصوير الفنى فى القرآن» و «مشاهد القيامة فى القرآن» و «خصائص التصور الاسلامى» و «الاسلام و مشكلات الحضارة» و «النقد الأدبى» و «معالم فى الطريق».
لمحات فى علوم القرآن و اتجاهات التفسير، ص: ٢٥١

الكتاب:

قامت فى مطلع هذا العصر نهضة دينية كان أبرز رجالها الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله، و كان لهذه النهضة أثر كبير فى الجزيرة العربية و فى جميع أنحاء العالم الاسلامى ... ثم جاء القرن الرابع عشر الهجرى، فكانت فيه يقظة فكرية، و نهضة علمية، و ذلك على أثر غزو الحضارة الأوروبية للمسلمين، و استيلاء دول أوروبا على معظم ديار الاسلام. و كانت مصر أهم المراكز الفكرية فى العالم الاسلامى، و لذلك فاننا نجد أن عددا من النوابع الذين عرفتهم الأمة و الذين قادوا الحركة الفكرية و الاصلاحية كانوا من أبناء مصر أو من سكانها الذين وفدوا إليها من جهة ما من العالم الاسلامى، و قصدوها ليمارسوا دورهم الهام من أمثال جمال الدين الافغانى و محمد عبده و رشيد رضا و حسن البنا و غيرهم.
و قد نمت هذه الحركة و أثمرت ثمرات عديدة كانت خيرا على المسلمين و من أهم ثمراتها التى تعيننا فى بحثنا هذا تلك النهضة اللغوية التى بها اتصل الخلف بأثار السلف، و ارتقت بسببها أساليب الكتابة، و ظهرت طاقات ضخمة لا تقل عما عرفنا فى تاريخنا، و شرع العلماء يبحثون و يحاولون أن يضيفوا إلى تراثنا زادا جديدا، و يتابعون عمل الأجداد بهمة لا تكل، و أصالة و ذوق.
و كان لدار العلوم دور محمود فى هذه النهضة، فلقد خرجت عددا من الاعلام الذين قدموا خدمات جلية للغة القرآن ... و كان من ابرزهم الاستاذ سيد قطب.
و الاستاذ سيد- رحمه الله تعالى- اديب فذ، و ناقد أصيل، و عالم متمكن، و كاتب موهوب، عنى بالقرآن عناية كبرى، و استمر فى دراسته القرآنية قرابة ثلاثين سنة. (١)

(١) أنظر ترجمته فى «الأعلام» و قد كتب يوسف العظم و محمد على قطب و إبراهيم البليهى و غيرهم كتباً فى حياته و آثاره.

لمحات فى علوم القرآن و اتجاهات التفسير، ص: ٢٥٢

كانت المحاولة الجديدة الأولى فى هذه الدراسات كتابه القيم «التصوير الفنى فى القرآن» الذى كان باكورة انتاجه القرآنى. و قد كتب

المؤلف قصة هذا الكتاب، فذكر أنها بدأت بنشر مقال في مجلة «المقتطف» سنة ١٩٣٩ م تحت عنوان «التصوير الفني في القرآن» تناول فيه عدة صور فأثبتها و كشف عما فيها من جمال فني. و ظل يعكف بين الحين و الحين على القرآن يتملى صورته الفريدة إلى أن توفر على هذا البحث و أصدر كتاب «التصوير الفني في القرآن» و قرر أن حقيقته جديدة برزت له و هي: (أن الصور في القرآن ليست جزءا يختلف عن سائره، ان التصوير هو قاعدة التعبير في هذا الكتاب الجميل. القاعدة الاساسية المتبعة في جميع الأغراض - فيما عدا غرض التشريع بطبيعته الحال - فليس البحث اذن عن صور تجمع و ترتب، و لكن عن قاعدة تكشف و تبرز) «١».

ثم يقول: (ذلك توفيق لم أكن اتطلع اليه حتى التقيت به) «٢».

و يقول: (التصوير هو الاداة المفضلة في أسلوب القرآن فهو يعبر بالصورة المحسنة المتخيلة عن المعنى الذهني و الحالة النفسية، و عن الحادث المحسوس و المشهد المنظور، و عن النموذج الانساني، و الطبيعة البشرية، ثم يرتقى بالصورة التي يرسمها فيمنحها الحياة الشاخصة، أو الحركة المتجددة) «٣».

و يقول: (و يجب أن نتوسع في معنى التصوير ... فهو تصوير باللون، و تصوير بالحركة، و تصوير بالايقاع ...) «٤».

- كان هذا الكتاب الموجز الجميل الخطوة الاولى التي انتهت بالمؤلف الى كتابة تفسيره الكبير «في ظلال القرآن».

(١) «التصوير الفني» ص ٩ - ١٠.

(٢) «التصوير الفني» ص ١٠.

(٣) «التصوير الفني» ص ٣٤.

(٤) «التصوير الفني» ص ٣٥.

لمحات في علوم القرآن و اتجاهات التفسير، ص: ٢٥٣

و هكذا كان الاستاذ سيد الرجل الذي تابع عمل الباقلائي و الجرجاني و الزمخشري في الدراسات القرآنية من الناحية البيانية، و استطاع أن يصل الى ما لم يبلغوه.

و سنذكر بعض الملاحظات عن هذا التفسير لندل على أهم مزاياه و أبرز خصائصه بايجاز:

١- قصة تأليف هذا الكتاب و سبب شروعه فيه أن المؤلف دعى من قبل مجلة شهرية ليكتب فصلا شهريا في موضوع مسلسل، فاختر عنوان «في ظلال القرآن» ثم تعاظمت الرغبة إلى إصدار ذلك الكتاب. يقول المؤلف في مقدمة الطبعة الأولى «١»:

(و كانت تعن لي خواطر متناثرة: خواطر في العقيدة، و خواطر في النفس، و خواطر في الحياة، و خواطر في الناس .. كنت أكتفي بأن أعيشها و لا أسجلها، فقد كان حسبي أن أعيش هذه اللحظات في تلك الظلال ..

فلما أن صدرت «المسلمون» «٢» و كان علي أن اشترك في تحريرها بمقال شهري .. في موضوع مسلسل، أو تحت عنوان دائم، قفز إلى ذهني هذا العنوان: «في ظلال القرآن» ذلك كان مبدأ القصة .. ثم طمحت الرغبة، و امتد الأفق إلى محاولة أخرى، ما ذا لو عشت فترات في ظل هذا القرآن كله فسجلت كل ما يخالج نفسي، و أنا أستروح هذا الجو العلوي الطليق؟ .. و وفق الله و سرت في هذا الشوط خطوات).

٢- يدل عنوان الكتاب «في ظلال القرآن» على السمة التي تميز الكتاب .. إنه كتاب يسجل الانطباعات و المشاعر التي يحسها المؤلف عند قراءته للقرآن.

(١) صدر الجزء الاول من هذه الطبعة سنة ١٣٧١ هـ ١٩٥٢ م.

(٢) و هي مجلة صدرت في مصر سنة ١٣٧١ هـ ١٩٥١ م ثم أصدرها صاحبها سعيد رمضان في دمشق ١٣٧٤ هـ ١٩٥٥ م ثم انتقل بها إلى

جنيف ثم توقفت ١٩٦٦ م.

لمحات في علوم القرآن و اتجاهات التفسير، ص: ٢٥٤

يقول المؤلف:

(«في ظلال القرآن» عنوان لم أتكلفه. فهو حقيقة عشتها في الحياة، فبين الحين والحين كنت أجد في نفسي رغبة خفية في أن أعيش في ظل القرآن فترة استروح فيها ما لا أستروحه في ظل سواه، فترة تصلني بالسماء، و تفتح لي فيها نوافذ مضيئة، و كوى مشعة، و هي في الوقت ذاته تثبت قدمي في الأرض، و تشعرني أنني أقف على أرض صلبة، لا تدنسها الأوحال، و لا تنزل فيها الأقدام).

٣- و يعلن بوضوح في هذه المقدمة أن تفسيره يختلف كل الاختلاف عن كتب التفسير الأخرى، و يصبر إصرارا كبيرا على تقرير أنه لم يفعل في هذا الكتاب أكثر من أن يسجل أحاسيسه و مشاعره التي عاشها في ظل القرآن. يقول رحمه الله:

(و بعد، فقد يرى فريق من قراء هذه الظلال أنها لون من تفسير القرآن. و قد يرى فريق آخر أنها عرض للمبادئ العامة للإسلام كما جاء بها القرآن. و قد يرى فريق ثالث أنها محاولة لشرح ذلك الدستور الإلهي في الحياة و المجتمع، و بيان الحكمة في ذلك الدستور.

أما أنا فلم أتعهد شيئا من هذا كله، و ما تجاوزت أن أسجل خواطري و أنا أحياء في تلك الظلال).

و يدعو قراءه إلى أن تكون قراءتهم لهذه الظلال وسيلة ليدنوا من القرآن ذاته. يقول المؤلف:

(و انني لأهيب بقراء هذه الظلال ألا تكون هي هدفهم من الكتاب، إنما يقرءونها ليدنوا من القرآن ذاته، ثم ليتناولوه عند ذلك في حقيقته و يطرحوا عنهم هذه الظلال، و هم لن يتناولوه في حقيقته إلا- إذا وقفوا حياتهم كلها على تحقيق مدلولاته، و على خوض المعركة مع الجاهلية باسمه و تحت رايته) «١».

(١) في ظلال القرآن ١٣ / ٦٢ ط ٢.

لمحات في علوم القرآن و اتجاهات التفسير، ص: ٢٥٥

٤- و يبين منهجه في هذا الكتاب، فيقرر أنه حاول أن يتعد عن الموضوعات النحوية و اللغوية، و القضايا الجدلية و الكلامية، و المسائل الفقهية، و ذكر أن الإسراف في ذلك يحجب القرآن عن روحه، و يستر جمال النص القرآني الأخاذ، قال رحمه الله:

(كل ما حاولته إلا أغرق نفسي في بحوث لغوية، أو كلامية، أو فقهية، تحجب القرآن عن روعي، و تحجب روعي عن القرآن ... و ما استطردت إلى غير ما يوحيه النص القرآني ذاته من خاطرة روحية، أو اجتماعية، أو إنسانية. و ما أحفل القرآن بهذه الإيحاءات!).

و ليس من شك في أن المؤلف رحمه الله قد استفاد من مختلف المناهج التفسيرية: كالتفسير بالمأثور، و التفسير بالرأي، و التفسير الاصلاحى، و التفسير البياني، و لذا فانك تجد في هذا التفسير الجميل جولات عميقة في هذه الجوانب المختلفة، و هذا يدل على اطلاعه الواسع، و استيعابه لما يقرأ، و القدرة على أن ينتفع بذلك في اطار شخصيته الواضحة، و مواهبه الفذة الأصيله.

و هذه خاصة قل ان تتوفر للمؤمنين، إذ تجد كثيرا منهم ينقلون في منأى عن تدخلهم، و لا تكاد تحس بشخصياتهم.

٥- و يشير الاستاذ المؤلف في مقدمته أيضا إلى أن هذا الكتاب تطبيق على نظريته التي تحدثت عنها في مطلع هذه الكلمة و هي نظرية: التصوير الفني في القرآن، و يذكر انه في هذه الظلال يتذوق نواحي الجمال الفني في النص، و مواضع التناسق في التعبير و التصوير، و يعرض ذلك على الناس، قال رحمه الله:

(كذلك حاولت أن أعبر عما خالج نفسي من احساس بالجمال الفني العجيب في هذا الكتاب المعجز، و من شعور بالتناسق في التعبير و التصوير، و لقد كانت هذه إحدى أمانى منذ أن فرغت من كتاب «التصوير الفني

لمحات في علوم القرآن و اتجاهات التفسير، ص: ٢٥٦

في القرآن» قبل ثمانية أعوام (١) و سجلت فيه ما بدا لي واضحا يومذاك:

أن التصوير هو القاعدة الواضحة في التعبير القرآني الجميل، و كنت قد ادرت الكتاب كله على هذا المحور لشرح هذه القاعدة، و التمثيل لها من القرآن. كانت إحدى أمانى أن يوفقني الله الى عرض القرآن في هذا الضوء، ثم كمنت الرغبة أو توارت حتى ظهرت مرة أخرى في هذه الضلال).

٦- و خطة المؤلف - رحمه الله - في التفسير أن يعرض السورة كلها عرضا إجماليا، ثم يقسمها إلى مجموعات كبيرة من الآيات التي يربط بينها سبب خاص، و يظللها ظل خاص. و بذلك تبدو وحدة النص القرآني، و الترابط بين أقسام السورة. و هذه الخاصة لا تكاد تجدها بهذا الوضوح و الكمال و التمام في تفسير آخر. قال رحمه الله: (و لقد سرت في هذا العمل الجديد على أساس عرض كل مجموعة من الآيات التي يربط بينها سبب خاص و يظللها ظل خاص في صورة درس قرآني).

و يقدم بين يدي السورة مقدمة تتحدث عن غرض السورة و عن المحور الذي يجمع كل الموضوعات الواردة فيها، و هذه المقدمات التي تجدها تسبق السور في «الضلال» مقدمات هامة، تمهد للتفسير التفصيلي الذي سيأتي، و تبين الوحدة في السورة، و تعالج القضايا الاسلامية التي تشير اليها السورة بعقلية حركية، تستفيد من السيرة النبوية لتخطط للحركة الاسلامية في العصر الحاضر، و هي مقدمات طويلة، و لا سيما في الطبعة الثانية .. دلت المؤلف فيها على عمق إدراكه للمفاهيم الاسلامية، و حسن عرضه لها بلغة العصر مستقاة من القرآن الكريم. و من أهم الأمثلة على ذلك مقدمة سورة الانعام و مقدمة سورة التوبة. و قد يختم السورة بخاتمة تجمع مقاصدها الاساسية، حيث يعرض المؤلف رحمه الله التوجيهات و النقط الرئيسية في السورة، و يستشهد لها و يوضحها بالآيات الكريمة. و من أوضح الأمثلة على هذا ما ختم به تفسيره لسورة الرعد، و هي خاتمة تقع في ثماني عشرة صفحة.

(١) كتب المؤلف هذه السطور في رمضان سنة ١٣٧١ هـ حزيران ١٩٥٢ م.

لمحات في علوم القرآن و اتجاهات التفسير، ص: ٢٥٧

٧- يمتاز هذا التفسير بأسلوب مؤلفه الموهوب، فهو يعرض موضوعات القرآن و معانيه بأسلوب أدبي حتى أخذ سهل بليغ.

و قد اجتنب كثيرا من المصطلحات العلمية التي نعثر عليها في كتب التفسير. فكان كتابه سائغا مفهوما مقبولا من جماهير القراء، على انه كان يكثر من استعمال بعض الكلمات التي تكاد تكون خاصة به، و إن الذي يألف أسلوب المؤلف يستطيع أن يدرك بسهولة معناها، لا سيما إن كان قد قرأ كتابه «التصوير الفني في القرآن» فقد شرح بعضها هناك، هذا و من الطبيعي أن نجد في كتابه الكتاب الكبار بعض الكلمات التي يكثر من ترادها، كما نجد بعض الجمل الخاصة التي تعد مظهرا من مظاهر الأساليب الشخصية.

٨- يعالج هذا التفسير الموضوعات القرآنية باعتزاز بالاسلام يفوق الوصف، و ايمان به لا حد له، و بعقلية حركية تدعو إلى استئناف العمل بالقرآن في قوة و صراحة و حيوية، و الى إعادة سلطان القرآن على الحياة الانسانية في نطاق الافراد و الامم و العالم كله. و عالج هذا التفسير بوعى عميق أصيل، و حرارة بالغة، و عاطفة كريمة صادقة قضايا المسلمين الفكرية و الاجتماعية و السياسية. و الم بقضايا الفكر المعاصر، و الحضارة القائمة، و أعلن بكل وضوح و تصميم ان المبادئ القرآنية هي ما تحتاج الانسانية إليه في أزمتها الراهنة اليوم.

٩- و يتمتع المؤلف بتحرر تام من كل قيود العبودية الفكرية التي يرسف بها عدد من المفكرين المعاصرين، و هو على معرفته بحضارة الغرب لم يكن مأخوذا بها و لا مبهورا بالجوانب البراقة فيها، كان يقدرها حق قدرها، و يقومها التقويم السديد. و يحذر من سيئاتها و مساوئها التي تزحف على ديار الاسلام، و تهدد حياتهم كلها.

لمحات في علوم القرآن و اتجاهات التفسير، ص: ٢٥٨

١٠- و المؤلف يضع العقل في محله الذي ينبغي أن يوضع فيه، دون أن يظلم العقل بتحميله ما لا يقوى على حمله، و دون أن يعطله

فلا يسخره فيما خلقه الله له.

١- و يربط المؤلف بين آيات القرآن التي فيها النور والهدى و بين واقع الجيل المثالي العظيم، الذي تلقى هذا القرآن ليعمل به و يقيم جوانب حياته عليه، و هو في تفسيره يدعو المسلمين إلى أن يأخذوا أنفسهم بالحزم، و يعملوا بالقرآن كما فعل أهل الصدر الأول زمن النبوة، و يحثهم على الانسلاخ من واقعهم المريض المتخلف، ليكونوا سعداء في بلادهم، و ليسعدوا الانسانية كلها، لأنه يقرر أن المسلمين يملكون بهذا القرآن ما لا يملكه أحد سواهم في الدنيا، و ليس عليهم إلا أن يكونوا هم الواقع الحي لمبادئ الاسلام لتجد فيهم الانسانية المعذبة الشقية طلبها.

١٢- و أخيرا فان هذا التفسير يبرز قضية وحدة الرسالات السماوية، التي بعث الله بها انبياءه و رسله، إذ كانت جميعا تدعو إلى التوحيد و اسلام النفس لله وحده في الطاعة و العبادة.

*** كتاب اخرى في التفسير البياني:

من أهم هذه الدراسات:

١- «التفسير البياني للقرآن الكريم» للدكتورة عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطي). و قد صدر منه جزءان الأول في سنة ١٣٨١ هـ (١٩٦٢ م) و الثاني في سنة ١٣٨٨ هـ (١٩٦٨ م) و ذكرت ان الاصل في منهج التفسير الأدبي (هو التناول الموضوعي الذي يفرغ لدراسة الموضوع الواحد فيه، فيجمع كل ما في القرآن عنه، و يهتدى بمألوف استعماله للالفاظ و الاساليب بعد تحديد الدلالة اللغوية لكل ذلك، و هو منهج يختلف تماما عن الطريقة المعروفة في تفسير القرآن سورة سورة، يؤخذ اللفظ أو الآية فيه مقتطعا من سياقه العام في القرآن كله مما لا سبيل معه إلى الاهتداء إلى الدلالة القرآنية للالفاظه أو استجلاء ظواهره الأسلوبية و خصائصه البيانية)

لمحات في علوم القرآن و اتجاهات التفسير، ص: ٢٥٩

ثم قالت: (و أتجه بمحاولتي اليوم إلى تطبيق المنهج في تفسير بعض سور قصار، ملحوظ فيها وحدة الموضوع، فضلا عن كونها جميعا من السور المكية، حيث العناية بالأصول الكبرى للدعوة الاسلامية، و قصدت بهذا الاتجاه إلى توضيح الفرق بين الطريقة المعهودة في التفسير و بين منهجنا الحديث الذي يتناول النص القرآني في جوه الإعجازي، و يلتزم في دقة بالغه قوله السلف الصالح: «القرآن يفسر بعضه بعضا»).

أما السور التي عالجتها في الجزء الأول فهي: الضحى و الانشراح و الزلزلة و النازعات و العاديات و البلد و التكاثر. و السور التي عالجتها في الجزء الثاني هي: العلق و القلم و العصر و الليل و الفجر و الهمزة و الماعون.

٢- «من منهل الأدب الخالد» للاستاذ محمد المبارك: و هو دراسة تحليلية أدبية لنصوص من القرآن درس فيها النصوص الآتية: سورة العاديات، و سورة الحاقة، و بعض سورة النحل، و سورة يوسف ... و ألحق بذلك مقالين هما: عناصر الفكر و الفن في الكتاب العربي المبين، و القرآن عربي الخطاب انساني الرسالة.

و قد أشار إلى طريقته في التفسير الأدبي فذكر أنها (تقوم على تلخيص الفكرة العامة للسورة أو النص، ثم بسط ما تضمنته من أفكار، و كشف ما بين هذه الأفكار من صلة و ربطها بما تضمنه القرآن من مفاهيم و أفكار و أعمد في ذلك إلى عرض معاني الآيات و الأفكار التي تضمنتها عرضا مباشرا، هو حصيلة ما انتهى إليه رأيي في معانيها، دون أن أنقل مختلف أقوال المفسرين، ثم أعرض الطريقة الأدبية أو فن التعبير عن تلك المعاني و الأفكار، كالوصف، و القصص، و المثل المضروب، و العرض المباشر، مع بيان خصائص هذا الفن و انسجابه مع الموضوع في النص الذي هو موضوع الدراسة. ثم انتقل بعد ذلك إلى دراسة الآيات من حيث تراكيبها و جملها و مفرداتها، و ما لهذه التراكيب و الألفاظ من خصائص أدبية بارزة، سواء من جهة المعنى و حسن التعبير عنه و قوته

و دقته أم من جهة اللفظ و جرسه و نغمته، و ما لذلك كله من صلة بالفكرة المعروضة).

لمحات في علوم القرآن و اتجاهات التفسير، ص: ٢٦٠

الفصل الثاني التفسير بالمأثور

مدرستان:

قامت مدرستان في التفسير منذ وقت مبكر، عرفت احدهما بمدرسة التفسير بالمأثور، و عرفت الأخرى بمدرسة التفسير بالرأى، و كان بين هاتين المدرستين حوار هادئ حيناً، و جدال عنيف و خصام أحياناً، و قد تشدد أصحاب المدرسة الأولى في تفسير القرآن تشدداً كبيراً حتى روى عن الأصمعي «١»- و هو على ما نعلم من سعة الاطلاع و التبصر في العلوم- انه كان إذا سئل عن شيء من الكتاب أو السنة يقول: العرب تقول معنى هذا كذا، و لا- أعلم المراد منه في الكتاب أو السنة أى شيء هو؟ و كانوا يتخرجون من الخوض في التفسير.

التفسير بالمأثور:

التفسير بالمأثور اتجاه من أهم اتجاهات التفسير و أجدرها بالعناية، و هو أقدم هذه الاتجاهات كما سيتضح ذلك من خلال هذا الفصل.

و يعنون به: ان تفسر الآية من آيات القرآن الكريم بما يأتي:

١- بما جاء في القرآن نفسه في موضع آخر ورد فيه معنى هذه الآية أكثر تفصيلاً.

(١) «الباعث على الخلاص» ص ١٤٩ من مجلة أضواء الشريعة.

لمحات في علوم القرآن و اتجاهات التفسير، ص: ٢٦١

٢- و بما ورد عن النبي صلى الله عليه و سلم من تفسير.

٣- و بما نقل عن الصحابة و العدول من التابعين مما يتصل بشرح الآية و ذكر أسباب نزولها و فيمن انزلت.

* أما تفسير القرآن بالقرآن فإنه أشرف أنواع التفسير و أجلها، إذ لا أحد أعلم بمعنى كلام الله من الله جل و عز «١». و الأمثلة على تفسير القرآن بالقرآن كثيرة جداً، بل لقد ألف العلامة المعاصر الشيخ محمد الامين الشنقيطي تفسيراً اعتمد فيه توضيح القرآن بالقرآن. و سنكتفي بذكر الأمثلة الآتية على ذلك:

- وردت كلمة (يوم الدين) في سورة الفاتحة في قوله تعالى: مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ و فسّرت آية أخرى المراد من هذه الكلمة في قوله تعالى:

وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الدِّينِ، ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ، يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَ الْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ «٢».

- و وردت كلمة (كلمات) في قوله سبحانه: فَتَلَقَىٰ آدَمَ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ «٣»، و فسرت آية أخرى المراد من هذه الكلمة في

قوله تعالى: قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَ إِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَ تَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ «٤».

- و قصة موسى ذكرت بايجاز في قوله تعالى: وَ اذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَىٰ إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَ كَانَ رَسُولًا نَبِيًّا، وَ نَادَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَ قَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا وَ وَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا «٥» و لكن هذه القصة

(١) «أضواء البيان في ايضاح القرآن بالقرآن» ٣/١.

(٢) سورة الانفطار، آخرها.

(٣) سورة البقرة: ٣٧.

(٤) سورة الاعراف: ٢٣.

(٥) سورة مريم: ٥١-٥٤.

لمحات في علوم القرآن و اتجاهات التفسير، ص: ٢٦٢

وردت مبسوطه مطوله في مواضع متعددة من القرآن مثل السور الآتية:

البقرة و الأعراف و طه و الشعراء و القصص و غيرها.

- وكذلك قصة آدم و إبليس، و قصة ثمود، و ردت موجزة في بعض المواضع و مفصلة في مواضع اخرى.

* أما تفسير القرآن بما ورد عن النبي صلى الله عليه و سلم من تفسير فإنه يلي تفسير القرآن بالقرآن. و قد فسّر النبي صلى الله عليه و سلم عددا كبيرا من الآيات، يشهد لذلك ما جاء في كتب الحديث من تفسيره صلى الله عليه و سلم للقرآن فقد جاء في «صحيح البخارى» و «سنن الترمذى» و غيرهما أبواب طويلة في تفسير القرآن. قال ابن تيمية: (يجب أن يعلم أن النبي صلى الله عليه و سلم بين لأصحابه معانى القرآن كما بين لهم ألفاظه، فقله تعالى: لِيُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ «١» يتناول هذا و هذا) «٢». و الأمثلة على تفسير النبي صلى الله عليه و سلم كثيرة نقتصر منها على المثال الآتى:

- ورد في آيات الصيام قوله تعالى: وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ «٣». و جاء في «صحيح البخارى» عن عدى بن حاتم رضى الله عنه قال: قلت: يا رسول الله ما (الخيطة الأبيض من الخيط الأسود) أهما الخيطان؟ قال صلى الله عليه و سلم: «انك لعريض القفا ان ابصرت الخيطين» ثم قال: «لا .. بل هو سواد الليل و بياض النهار» «٤».

* و أما تفسير الصحابة فكثير و قد أشرنا إليه في بحثنا عن تاريخ التفسير في عهد الصحابة و قد امتلأ به كتاب ابن جرير الطبرى و غيره من كتب التفسير بالمأثور و نكتفى بالمثال الآتى:

(١) سورة النحل: ٤٤.

(٢) «مقدمة في اصول التفسير» ص ٣٥.

(٣) سورة البقرة: ١٨٧.

(٤) «صحيح البخارى» ٤٤/٦ و «شرح معانى الآثار» ٥٣/٢.

لمحات في علوم القرآن و اتجاهات التفسير، ص: ٢٦٣

- جاء في «صحيح البخارى» في تفسير قوله تعالى: وَ الْأَنْصَابُ وَ الْأَزْلَامُ «١»: (قال ابن عباس: الأزلام: القداح يقتسمون بها فى الأمور، و النصب: أنصاب يذبحون عليها) «٢».

* و أما تفسير التابعين فكثير جدا، و قد حفل به كتاب ابن جرير الذى أشرنا إليه آنفا. و نكتفى بالمثال الآتى:

- جاء في «صحيح البخارى» في تفسير قوله تعالى: مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَ لَا سَائِيَةٍ «٣» (عن سعيد بن المسيب قال: البحيرة التى يمنع درها للطواغيت فلا يحلبها أحد من الناس، و السائبة كانوا يسيبونها لآلهم التى لا يحمل عليها شىء) «٤».

اختلف العلماء في عد تفسير الصحابة و التابعين من المأثور، فمنهم من عده مأثورا، و منهم من لم يعده كذلك. غير ان معظم كتب التفسير بالمأثور تورده منه الكثير.

و لعل الرأي الصحيح في هذا الموضوع هو الرأي الذي سبق أن قررناه في تاريخ التفسير و هو: ان ما جاء عن الصحابة و التابعين العدول فيما ليس من باب الاجتهاد و الاستنباط و انما هو متوقف على السماع من النبي صلى الله عليه و سلم يعد من التفسير بالمأثور، و هو ملزم إن صح سنده «٥».

و اما الاقوال المنقولة عنهم مما يتصل بالاجتهاد و الاستنباط فليست من التفسير بالمأثور.

(١) سورة المائدة: ٩٠.

(٢) «صحيح البخارى» ٦ / ٤٤.

(٣) سورة المائدة: ١٠٣.

(٤) «صحيح البخارى» ٦ / ٤٤.

(٥) هذا صحيح بالنسبة إلى الصحابة، أما التابعى فقد يكون روى عن تابعى غير ثقة.

لمحات في علوم القرآن و اتجاهات التفسير، ص: ٢٦٤

إذن فتفسير الصحابة و التابعين لا يعد من التفسير بالمأثور إلا إن كان متعلقا بالسماع من النبي صلى الله عليه و سلم، و ذلك كالأخبار عن أمر غيبى لا مجال فيه للاستنباط و الاجتهاد، و لا يمكن إعمال العقل فيه، و لا الاعتماد على استنتاجه.

و مما يلحق بهذا النقل عن لسان العرب لأن القرآن إنما نزل بلغتهم و هم أهل اللغة و أدرى الناس بها.

و نستطيع أن نقول: إن أهم أنواع التفسير بالمأثور هو التفسير المروى عن رسول الله صلى الله عليه و سلم و هو الذى يذهب الذهن إليه عند ما نطلق «التفسير بالمأثور».

متى يقبل التفسير بالمأثور؟

إن التفسير بالمأثور - فيما عدا التفسير بالقرآن بطبيعة الحال - يقبل إن صح سند هذا الأثر المفسر للآية، و يلزمنا الأخذ به.

أما إذا كان سنده واهيا فلا شك فى رده. و لذلك فإن علينا لنحكم على أثر بالقبول او الرد أن ننظر فى رجال سنده لنعرف درجته.

أوليته:

لئن كان رسول الله صلى الله عليه و سلم هو المفسر الأول لنستطيع أن نقرر جازمين ان التفسير بالمأثور هو المرحلة الأولى فى تاريخ التفسير و انه اول ما ظهر من أنواع التفسير. و قد ذكرنا سابقا ان التفسير كان بابا من أبواب الحديث قبل أن يستقل، و ما زال هذا الباب ركنا من أركان كتب الحديث الجامعة.

*** الاسرائيليات:

نجد فى كتب التفسير بالمأثور أخبارا كثيرة مروية عن بنى اسرائيل،

لمحات فى علوم القرآن و اتجاهات التفسير، ص: ٢٦٥

و هذه الأخبار عرفت بالاسرائيليات، و ذلك بسبب النقل عن عدد من التابعين الذين كانوا من أهل الكتاب قبل أن يدخلوا فى

الإسلام، و الذين كانوا كثيرا ما يسألون عما في كتب أهل الكتاب، و دخلت هذه الأخبار في مجال التفسير بالمأثور. و من هنا وجب على من يقرأ في كتب التفسير أن يكون واعيا للموقف السليم الذي يجب أن يفقه المسلم من الإسرائيليات، و يمكن تلخيص هذا الموقف كما يأتي:

- ١- تردّ كل الاسرائيليات التي تعارض القرآن، أو صحيح السنه، أو تعارض أصلا اسلاميا مقررا. قال الاستاذ محمد أبو زهرة: (و إن المستقري لكتب التفسير المشتملة على الاسرائيليات يرى أن أكثر ما دس فيها من هذا القبيل) «١».
- ٢- الروايات الإسرائيليه الموافقه للقرآن مقبوله، و لكن لنا غنيه عنها بما في القرآن.
- ٣- أما الروايات التي لا تعارض القرآن و لا توافقه، فينبغي أن يكون موقفنا إزاءها موقف الحذر و الأناة و الحياد. لا نكذبها خشيه أن تكون صحيحه، و لا- نصدقها خوفا من أن تكون مكذوبه. و هذا مصداق ما جاء عن رسول الله صلى الله عليه و سلم فيما أخرجه البخارى عن أبي هريره قال: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: «لا تصدقوا أهل الكتاب و لا تكذبوهم و قولوا آمنا بالله و ما أنزل إلينا ... الآية ...» (٢)

(١) «المعجزة الكبرى» ٥٩٥.

(٢) انظر «صحيح البخارى» ١٨/٦ تفسير سورة البقرة في باب قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ و ٩٠/٩ في الاعتصام: باب لا تسألوا أهل الكتاب و ٩/١٢٦ في كتاب التوحيد: باب ما يجوز من تفسير التوراه و غيرها من كتب الله بالعربيه و غيرها. و انظر «فتح البارى» ٥١٦/١٢. و جاء في روايه ذكرها ابن تيميه في «مجموع الفتاوى» ١٩/٦٣: «... و لا تكذبوهم فإما أن يحدثوكم بحق فتكذبوه، و إما أن يحدثوكم بباطل فتصدقوه و قولوا آمنا ...» و الآية المذكوره هي الآية ١٣٦ من سورة البقرة.

لمحات في علوم القرآن و اتجاهات التفسير، ص: ٢٦٦

قال ابن الملك تعليقا على هذا الحديث: (إنما نهى عن تصديقهم و تكذيبهم لأنهم حرفوا كتابهم، و ما قالوه إن كان من جمله ما غيره فتصدقهم يكون تصديقا بالباطل، و إن لم يكن كذلك يكون تكذيبهم تكذيبا لما هو حق) «١».

٤- و هناك استدراك على هذا النوع الثالث من الاسرائيليات ذكره ابن كثير عند أول تفسيره سورة ق قال رحمه الله: (و إنما أباح الشارع الروايه عنهم في قوله «و حدثوا عن بنى اسرائيل و لا- حرج» «٢» فيما قد يجوزه العقل، فأما فيما تحيله العقول و يحكم فيه بالبطلان و يغلب على الظنون كذبه فليس من هذا القبيل) «٣».

قال شيخ الاسلام ابن تيميه: (.. و لكن هذه الأحاديث الإسرائيليه تذكر للاستشهاد لا للاعتقاد، فإنها على ثلاثه أقسام:

أحدها: ما علمنا صحته مما بأيدينا مما يشهد له بالصدق، فذاك صحيح.

و الثانى: ما علمنا كذبه بما عندنا مما يخالفه.

و الثالث: ما هو مسكوت عنه (لا من هذا القبيل و لا من هذا القبيل، فلا نؤمن به و لا نكذبه، و تجوز حكايته لما تقدم، و غالب ذلك مما لا فائده فيه تعود إلى أمر ديني) «٤».

و الحق الذى نراه أن هذا التقسيم يبيح لنا أن نروى عن بنى إسرائيل

(١) انظر «مبارق الأزهار» ١/ ٢٢٠.

(٢) هذا الحديث رواه البخارى ١٣٦/٤ و الدارمى ١٣٦/١ و الترمذى ٣٧٦/٣ عن عبد الله ابن عمرو. و قال الترمذى: هذا حديث حسن صحيح. و رواه أبو داود عن أبي هريره ٣/٤٣٨ و رواه أيضا أحمد فى «المسند» و رواه آخرون.

(٣) انظر «تفسير ابن كثير» ٤/ ٢٢١.

(٤) انظر «مقدمة في أصول التفسير» ص ١٠٠.

لمحات في علوم القرآن و اتجاهات التفسير، ص: ٢٦٧

النوع الثالث المسكوت عنه إن نحن التزمنا عدم تصديقهم و عدم تكذيبهم.

و لكن هذا شيء، و إيراد هذه الاسرائيليات في أثناء تفسير كتاب الله شيء آخر، ذلك لأن إيراد هذه الرواية في هذا الموضع يعنى أنك تريد حمل الآية القرآنية عليها، و هذا يدل على تصديقك لها.

قال الأستاذ أحمد شاكر في مقدمه «عمدة التفسير»:

(إن إباحة التحدث عنهم فيما ليس عندنا دليل على صدقه و لا كذبه شيء، و ذكر ذلك في تفسير القرآن و جعله قولاً أو رواية في معنى الآيات أو في تعيين ما لم يعين فيها، أو في تفصيل ما أجمل فيها شيء آخر، لأن في إثبات مثل ذلك بجوار كلام الله ما يوهم أن هذا الذى لا نعرف صدقه و لا كذبه مبين لمعنى قول الله سبحانه، و مفصل لما أجمل فيه، و حاشا لله و لكتابه من ذلك.

و إن رسول الله صلى الله عليه و سلم إذ أذن بالتحدث عنهم أمرنا أن لا نصدقهم و لا نكذبهم، فأى تصديق لرواياتهم و أقاويلهم أقوى من أن نقرنها بكتاب الله، و نضعها منه موضع التفسير أو البيان؟ اللهم غفرا) «١».

و قال الحافظ ابن كثير:

(و في القرآن غنية عن كل ما عدها من الأخبار المتقدمة، لأنها لا تكاد تخلو من تبديل و زيادة و نقصان، و قد وضع فيها أشياء كثيرة، و ليس لهم من الحفاظ المتقنين الذين ينفون عنها تحريف الغالين، و انتحال المبطلين، كما لهذه الأمة من الأئمة و العلماء، و السادة و الأتقياء، من الجهابذة النقاد، و الحفاظ الجياد، الذين دونوا الحديث و حرروه، و بينوا صحيحه من حسنه من ضعيفه، من منكره و موضوعه، و متروكه و مكذوبه، و عرفوا الوضاعين و الكذابين، و المجهولين و غير ذلك من أصناف الرجال) «٢».

(١) «عمدة التفسير» لأحمد شاكر طبع دار المعارف ١٣٧٦/١٩٥٦ ص ١٥.

(٢) «تفسير ابن كثير» ٣/ ٨٩ عند تفسير الآية ٥٠ من سورة الكهف.

لمحات في علوم القرآن و اتجاهات التفسير، ص: ٢٦٨

و قال أيضا:

(.. و ما ليس فيه موافقة و لا مخالفة لا نصدقها و لا نكذبها، بل نجعله وقفا. و ما كان من هذا الضرب منها فقد رخص كثير من السلف في روايته، و كثير من ذلك مما لا فائدة فيه و لا حاصل له مما ينتفع به في الدين. و لو كانت فائدته تعود على المكلفين في دينهم لبيته هذه الشريعة الكاملة الشاملة، و الذى نسلكه في هذا التفسير الإعراض عن كثير من الأحاديث الإسرائيلية لما فيها من تضييع الزمان، و لما اشتمل عليه كثير منها من الكذب المروج عليهم، فإنهم لا تفرقة عندهم بين صحيحها و سقيمها، كما حرره الأئمة الحفاظ المتقنون من هذه الأمة) «١».

و نختم هذا الموضوع بإيراد كلمة رائعة لابن عباس رواها البخارى في «صحيحه» و هى قوله رضى الله عنه: (يا معشر المسلمين كيف تسألون أهل الكتاب عن شيء؟ و كتابكم الذى انزل الله على نبيه أحدث أخبار الله تقرأونه محضاً لم يشب، و قد حدثكم الله ان أهل الكتاب قد بدلوا كتاب الله و غيره، و كتبوا بأيديهم الكتاب و قالوا: هو من عند الله، ليشتروا به ثمناً قليلاً. أفلا ينهاكم ما جاءكم من العلم عن مسألتهم؟ و لا و الله ما رأينا منهم أحداً قط سألكم عن الذى انزل إليكم) «٢».

(١) «تفسير ابن كثير» ٣/ ١٨١ عند تفسير الآيات ٥١-٥٦ من سورة الأنبياء.

(٢) «صحيح البخارى» ٣/ ١٥٨ و ٩/ ٩٠.

لمحات في علوم القرآن و اتجاهات التفسير، ص: ٢٦٩

تفسير الطبرى

ترجمته «١»:

هو أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى. من أهل آمل في طبرستان. ولد سنة ٢٢٤ هـ و رحل من بلده و هو فى الثانية عشرة من عمره طلبا للعلم، فجاء مصر و الشام و العراق، و استقر ببغداد، و كان من أئمة الحديث أهل الرواية و الضبط المتقن، و قد شارك البخارى فى كثير من أساتذته، و روى عن العراقيين و الشاميين، كان ذا ثقافة موسوعية، فهو كما قلنا من كبار أئمة الحديث، و هو شيخ المؤرخين، و من كبار علماء القراءات، و من فحول علماء العربية، كما كان إماما مجتهدا صاحب مذهب فقهى. و ذكروا ان اصحابه يقال لهم: الجريية. و قالوا: إن مذهبه شافعى، و ذلك قبل أن ينفرد بمذهب. و كان من الأتقياء الصالحين. و كان ذا اسلوب رفيع متين، و له شعر حسن. توفي سنة ٣١٠ هـ ببغداد.

(١) انظر فى ترجمته: «تاريخ بغداد» ١٦٢ / ٢ و «المنتظم» ١٧١ / ٦ و «وفيات الأعيان» ١٩١ / ٤ تحقيق إحسان عباس و «معجم الأدباء» ١٨ / ٤٠ و «طبقات الشافعية» ١٢٠ / ٣ و «تذكرة الحفاظ» ٧١٠ / ٢ و «البدية و النهاية» ١٤٥ / ١١ و «ميزان الاعتدال» ٤٩٨ / ٣ و «الوافى بالوفيات» ٢٨٤ / ٢ و «طبقات الشافعية» للعبادى ٥٢ و «غاية النهاية» لابن الجزرى ١٠٦ / ٢ و «طبقات المفسرين» ١٠٦ / ٢ و «طبقات الفقهاء» للشيرازى ٩٣ و «لسان الميزان» ١٠٠ / ٥ و «النجوم الزاهرة» ٢٠٥ / ٣ و «شذرات الذهب» ٢٦٠ / ٢ و «التاج المكلل» ص ١٠٨ و «كشف الظنون» ١ / ٤٣٧ و «تاريخ الأدب العربى» لبروكلمان ٣ / ٤٥.

لمحات فى علوم القرآن و اتجاهات التفسير، ص: ٢٧٠

تفسيره:

كتابه من أهم كتب التفسير و سنورد بعض الملاحظات فيه:

١- عنوان الكتاب هو «جامع البيان من تأويل آى القرآن».

و يدل هذا العنوان على ان هذا التفسير جاء بعد تفاسير عديدة، كما يدل أيضا على انه كتاب موسع. و تذكر كتب التراجم قصة تأليف هذا الكتاب، و فحواها: ان أبا جعفر الطبرى قال لأصحابه: أتنشطون لتفسير القرآن؟ قالوا: كم يكون قدره؟ قال: ثلاثون ألف ورقة. فقالوا: هذا مما تفتنى الأعمار قبل تمامه، فاختصره فى نحو ثلاثة آلاف ورقة «١».

٢- من المعروف المشهور ان كتاب ابن جرير من كتب التفسير بالمأثور، غير ان هناك بعض العلماء ينكرون ذلك الرأى، و منهم الأستاذ محمد الفاضل بن عاشور الذى يقول:

(و إن الذين يعتبرون تفسير الطبرى تفسيراً أثريا، أو من صنف التفسير بالمأثور إنما يقتصرون على النظر إلى ظاهره بما فيه من كثرة الحديث و الإسناد، و لا يتدبرون فى طريقته و غاياته التى يصرح بها من إيراد تلك الأسانيد المصنفة المرتبة الممحضة) «٢».

و الحق ان تفسيره بالإضافة إلى غناه بالآثار و الأحاديث يتعرض لتوجيه الأقوال و ترجيح بعضها على بعض، و ذكر الإعراب و الاستنباط.

٣- كان تفسير الطبرى مفقودا منذ قرون أو فى حكم المفقود ..

و ظل كذلك إلى ان عثر على نسخة مخطوطة لدى الأمير حمود آل الرشيد

(١) «المنتظم» لابن الجوزي ١٧١ / ٦ و «تاريخ بغداد» ١٦٣ / ٢.

(٢) «التفسير و رجاله» ص ٣٦.

لمحات في علوم القرآن و اتجاهات التفسير، ص: ٢٧١

من أمراء حائل في نجد، و قد طبع عليها الكتاب «١» لأول مرة، ثم طبع بعد ذلك عدة طبعات. و قد شرع الأستاذ محمود محمد شاكر منذ سنة ١٣٧٤ هـ بطبعه طبعه جديدة هي غاية في الروعة و الاتقان، و صدر منها حتى الآن ١٦ جزءا. و كانت الأجزاء الأولى بالاشتراك مع أخيه العلامة أحمد شاكر رحمه الله الذي كان يراجع و يخرج أحاديثه ثم استقل الأستاذ محمود بعد الجزء الثامن بتحقيق الكتاب و تخريج الأحاديث «٢».

٤- أثنى العدد الغفير من العلماء الأفاضل في مختلف العصور على هذا الكتاب، و من ذلك قول الإمام المحدث الكبير ابن خزيمة: (نظرت فيه من أوله إلى آخره، فما أعلم على أديم الأرض أعلم من ابن جرير) «٣». و من ذلك قول أبي عمر الزاهد غلام ثعلب: (قابلت هذا الكتاب من أوله إلى آخره فما وجدت فيه حرفا خطأ في نحو أو لغة) «٤». و من ذلك قول الخطيب البغدادي الذي قال فيه: (جمع من العلوم ما لم يشاركه فيه أحد من أهل عصره) «٥». و من ذلك قول ابن تيمية: (و تفسير ابن جرير الطبري هو من

(١) «التفسير و المفسرون» ١ / ٢٠٨ ينقل ذلك عن «المذاهب الاسلامية في تفسير القرآن» ص ٨٦.

(٢) جاء في تصدير الجزء العاشر من تفسير الطبري الذي كتبه محمود محمد شاكر ما يأتي:

(... كنت أشرت في تصدير الجزء الرابع أني شاركت أخي ... في بيان حال رجال الآثار، و خرجت ما اتفق منها ... أما منذ الجزء التاسع فقد انفردت بالعمل كله فخرجت عامة أحاديث الجزء التاسع و العاشر ..) و جاء في تصدير الجزء الحادي عشر من التفسير المذكور الذي كتبه الشيخ أحمد شاكر ما يأتي:

(كنت منذ بدأت العمل في هذا التفسير ... مع أخي السيد محمود محمد شاكر باذلا جهدي في مراجعته بعض أسانيده خصوصا الأحاديث المرفوعة مخرجا منها ما استطعت تخريجه ... ثم تفضل أخي ... بمعاونتي في التخريج، فخرج الكثير من الأحاديث في الكثير من الأجزاء و هو أهل لذلك و الحمد لله ... و كنت و لا أزال مطمئنا إلى عمله واثقا به عن خبرة و بينة).

(٣) «تاريخ بغداد» ١٦٤ / ٢.

(٤) مقدمة محمود شاكر لتفسير الطبري ١ / ١٢.

(٥) «تاريخ بغداد» ١٦٣ / ٢.

لمحات في علوم القرآن و اتجاهات التفسير، ص: ٢٧٢

أجل التفاسير و أعظمها قدرا) «١»، و قوله: (و أما التفاسير التي في أيدي الناس فأصحها تفسير محمد بن جرير الطبري فإنه يذكر مقالات السلف بالأسانيد الثابتة و ليس فيه بدعة و لا ينقل عن المتهمين) «٢». و من ذلك قول السيوطي: (اجمع العلماء المعبرون أنه لم يؤلف في التفسير مثله) «٣». و هو من التفاسير القديمة التي وصلت إلينا، و من أحسنها ترتيبا.

٥- كتب مقدمة طويلة جدا، و هي في حد ذاتها كتاب مستقل. و قد تحدث فيها عن وسائل المفسر التي يجب عليه أن يحصل عليها و يتقنها.

و كتب فيها فصلا في الكلمات التي اتفقت فيها الفاظ العرب و ألفاظ غيرهم من بعض أجناس الأمم، أي في الألفاظ القرآنية التي ليست بعربية على ما يرى آخرون، و خصص فصلا مطولا فسر فيه حديث الأحرف السبعة التي نزل القرآن عليها.

و قد ذكرنا رأيه في بحث القراءات. و كتب فصلا في معنى قوله صلى الله عليه و سلم:

«أنزل القرآن من سبعة أبواب الجنة»، و كتب فصلا في المقدمة يهاجم فيه أولئك الذين يفسرون القرآن بأرائهم، و تكلم في الحض على تفسير القرآن و تعلمه، و كتب فصلا في الرد على منكرى القول في تأويل القرآن، و فصلا في المفسرين المحمودين و المذمومين، و فصلا في تأويل أسماء القرآن و سوره و آية، و فصلا في تأويل أسماء الفاتحة، ثم فسر الاستعاذة و البسملة. و قد استغرقت المقدمة ما يزيد على ١٣٠ صفحة.

٦- يمتاز هذا الكتاب بالمنهجية، فلقد درج المؤلف على خطة تحكم الكتاب من أوله إلى آخره. فهو يضع عنوانا للآية كما يأتي: القول في تأويل قوله جل ثناؤه (...). كذا (...).

(١) الفتاوى ١٣ / ٣٦١.

(٢) الفتاوى ١٣ / ٣٨٥.

(٣) الاتقان ٢ / ١٩٠.

لمحات في علوم القرآن و اتجاهات التفسير، ص: ٢٧٣

ثم يفسر الآية بعد أن يسردها، و يبين المراد منها، و يولى بيان الصلة بين الآية و الآية اهتماما كبيرا، حتى يتضح الترابط في السياق و الموضوعات، و يلجأ إلى شرح الآية بما ورد في معناها من القرآن في مواضع اخرى منه، و له جولات في بعض المفردات اللغوية جيدة، إذ يبين المعنى الأصلي للمفردة، ثم يبين المعنى المنقول إليه مع بيان مناسبة النقل. ثم يورد أقوال المفسرين من الصحابة و التابعين و العلماء في تفسيرها متصلة بالأسانيد إلى أصحابها، و يرجح بينها، و يختار واحدا منها يعتمده، و يناقش من يخالفه في تفسير الآية على الوجه الذي اختاره. و عنده عبارات يكثر من ترديدها، سأورد بعضها فيما يأتي:

(القول في تأويل قوله جل ثناؤه) - (اختلف أهل التأويل في ...)

(و أولى هذه الأقوال بالصواب و اشبهها بما دل على صحته ظاهر التلاوة قول من قال) - (ذكر من قال ذلك) - (و بمثل ما قلنا قال أهل التأويل) - (و بنحو ما قلنا قال أهل التأويل) - (و بنحو الذي قلنا في ذلك قال عدد من أهل التأويل ذكر من قال ذلك).

٧- و المؤلف في آرائه التي يوردها في تفسيره واضح الشخصية، جازم غير متردد و لا مقلد، و هو ينتقد أولئك الذين يبحثون فيما لا فائدة منه، و يعرض بهم كثيرا، و يقف عند الحد الذي تدل عليه الآية، و لا يجاوزه الى اقوال لا ينفع العلم بها، و لا يضر الجهل بها، فمن ذلك قوله في تحديد البعض الذي ضرب به قتيل بنى إسرائيل فقام حيا: (الصواب من القول عندنا في تأويل قوله قُلْنَا اضْرِبُوهُ بِغَضَبِهَا) «١» أن يقال: أمرهم الله جل ثناؤه أن يضربوا القتيل ببعض البقرة، ليحيا المضروب، و لا دلالة في الآية، و لا في خبر تقوم به حجة على أي ابعاضها التي أمر القوم أن يضربوا القتيل بها. و جائز أن يكون الذي امروا أن يضربوه به هو الفخذ،

(١) سورة البقرة: ٧٣.

لمحات في علوم القرآن و اتجاهات التفسير، ص: ٢٧٤

و جائز أن يكون ذلك الذنب و غضروف الكتف و غير ذلك من ابعاضها، و لا يضر الجهل بأى ذلك ضربوا القتيل، و لا ينفع العلم به مع الإقرار بأن القوم قد ضربوا القتيل ببعض البقرة بعد ذبحها فأحياه الله) «١».

و من ذلك رأيه في تحديد الطعام الذي كان على المائدة التي نزلت استجابة لدعوة عيسى عليه السلام: قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ: اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيداً لِأَوَّلِنَا وَ آخِرِنَا وَ آيَةً مِنْكَ وَ ارزُقْنَا وَ أَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ «٢».

قال المؤلف بعد أن أورد أقوال العلماء في الذي كان على المائدة: (و أما الصواب من القول فيما كان على المائدة فأن يقال: كان عليها مأكول، و جائز أن يكون سمكا و خبزا، و جائز أن يكون كان ثمرا من ثمر الجنة، و غير نافع العلم به، و لا ضار الجهل به، إذا اقر تالي الآية يظهر ما احتمله التنزيل) «٣».

و شخصية المؤلف ذات الجوانب الجذابة جعلت كتابه مرجعا مهما لعدد من ذوى الاختصاص ممن يريد التفسير.

إن شخصية ابن جرير الأدبية و العلمية، و ترجيحاته لما يراه صوابا من الآراء و الأقوال المختلفة، و اعتماده على خطه منهجية سليمة، و مقاييس علمية و لغوية جعلت لكتابه من القيمة ما ليس لكتاب آخر، و أعطت مكانة لكتابه لا تقل عن مكانة الآثار و الروايات و الآثار الحديثة.

٨- أسلوبه أسلوب مبين جزل فصيح يمتع قارئه و يفيد. و ليس من شك في أن أسلوبه يحتاج من دارسه إلى أناة في قراءته حتى يكون قادرا

(١) «تفسير الطبرى» ٢ / ٢٣١ تحقيق محمود شاكر.

(٢) سورة المائدة: ١١٤.

(٣) «تفسير الطبرى» ١١ / ٢٣٢ تحقيق محمود محمد شاكر.

لمحات في علوم القرآن و اتجاهات التفسير، ص: ٢٧٥

على استيعاب ما جاء فيه. و قد ذلت طبعه الأستاذ شاكر كثيرا من مصاعبه.

يقول الأستاذ محمود شاكر: (كان يستوقفنى فى القراءة كثرة الفصول فى عبارته، و تباعد أطراف الجمل، فلا يسلم لى المعنى حتى اعيد قراءة الفقرة منه مرتين أو ثلاثا، و كان سبب ذلك اننا ألفنا نهجا من العبارة غير الذى انتهج أبو جعفر، و لكن تبين لى أيضا ان قليلا من الترقيم فى الكتاب خليق أن يجعل عبارته أبين) «١».

٩- و هو فى كتابه نصير لأهل السنة من ناحية الاعتقاد. و كثيرا ما يرد على القدرية و الفرق الضالة.

١٠- و يعنى بالقراءات فيوردها، و يوازن بينها، و قد يرد بعضها أو يرجح بعضها على بعض، و هو فى تصديه لهذه الناحية يدل على معرفة واسعة بالقراءات، و قد سبق أن ذكرنا أنه ألف فيها كتابا خاصا «٢».

١١- يشتمل هذا الكتاب على عدد كبير من الأحاديث و الآثار المسندة، و كثير منها صحيح، و فيها الضعيف أيضا، و لكن المؤلف بذكره لأسانيدها يخرج من المسئولية و العهد، و قد أشار السيوطى فى «الاتقان» «٣» إلى مواضع الضعف فى مرويات ابن جرير التفسيرية.

و هناك من جملة المرويات عدد كبير من الإسرائيليات، و لعل ذلك ناتج عن اتساع معارفه التاريخية، يقول الأستاذ شاكر: (و لما رأيت أن كثيرا من العلماء كان يعيب على الطبرى أنه حشد فى كتابه كثيرا من الرواية عن السالفين الذين قرءوا الكتب و ذكروا فى معانى القرآن ما ذكروا من الروايات عن أهل الكتابين السالفين - التوراة و الانجيل - أحببت أن

(١) مقدمة محمود شاكر لتفسير الطبرى ١ / ١١.

(٢) انظر مبحث القراءات من هذا الكتاب.

(٣) «الاتقان» ٢ / ٢٢٤.

لمحات في علوم القرآن و اتجاهات التفسير، ص: ٢٧٦

أكشف عن طريقة الطبرى فى الاستدلال بهذه الروايات رواية رواية، و أبين كيف أخطأ الناس فى فهم مقصده، و أنه لم يجعل هذه

الروايات قط مهمته على كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، و أحببت أن أبين عند كل رواية مقالة الطبري في إسنادها، و انه اسناد لا تقوم به حجة في دين الله و لا في تفسير كتابه، و ان استدلاله بها كان يقوم مقام الاستدلال بالشعر القديم (... «١»). و لكن الأفضل خلق التفسير من هذه الروايات. و تحليل أستاذنا شاعر مردود.

هذا و قد تولى الأستاذ المحدث أحمد شاعر التحقيق في أسانيد الروايات و الأحاديث و ذكر درجتها في الأجزاء الأولى ثم تابع عمله أخوه الأستاذ محمود - كما ذكرنا -.

١٢- يورد المؤلف أقوال أئمة الفقه في آيات الاحكام، و ينفرد أحيانا ببعض الآراء التي تخالفهم مؤيدا رأيه بالحجة القاطعة، و يبحث ذلك بحثا فقهيا رصينا، و كيف لا يكون كذلك و هو إمام صاحب مذهب. و كان في بحوثه الفقهية يعير الإجماع أهمية كبيرة.

١٣- يورد المؤلف أقوال النحويين في تخريج بعض التراكيب القرآنية، و كثيرا ما يجعل التخريج النحوي الراجح توجيها للقراءة. و كثيرا ما يورد إعرابا لمواضع في الآيات، و أوزانا صرفية لبعض الكلمات، و يستشهد لما يذهب اليه بالشعر الجاهلي و الاسلامي، و كذلك في رده على مخالفيه. و قد أعد الأستاذ شاعر فهرسا للمباحث النحوية في آخر كل جزء من الأجزاء التي صدرت. و لذلك فإن في البحوث التي وردت في كتابه ثروة علمية ضخمة جدا.

١٤- يمتاز هذا الكتاب بتأثيره الواسع الضخم على كل الكتب التي

(١) انظر مقدمه محمود شاعر من «تفسير الطبري» ١/ ١٦-١٧ و انظر تعليقه ١/ ٤٥٣-٤٥٤.

لمحات في علوم القرآن و اتجاهات التفسير، ص: ٢٧٧

الفت بعده، حتى أضحى كثير منها عيالا عليه، و اعتمد عليه كل من جاء بعده، و قد كان هذا التأثير في القديم و الحديث كما أسلفنا، و في العصر الحاضر اهتم به المستشرقون و العلماء المسلمون.

و يبدو ان كتاب ابن جرير كان مصدرا للتأليف عند المتقدمين، فبعضهم يختصره، و بعضهم يستخرج منه كتبا، كما فعل أبو يحيى محمد بن صمادح التجيبي الأندلسي المتوفى سنة ٤١٩ هـ .. فقد استخرج من تفسير الطبري كتاب «اختصار غريب القرآن» و ألف كتاب «مختصر من تفسير الامام الطبري» و قد طبع الكتاب الاخير في سلسلة (تراثنا) في الهيئة المصرية العامة للتأليف و النشر سنة ١٣٩٠ هـ ١٩٧٠ م اقتصر فيه مؤلفه على أبرز الروايات في نظره، و استغنى عن الاشارة الى تعدد القراءات و الاعراب و الاشتقاقات و الاخبار.

١٥- كان كتابه نواة لما وجد بعد من التفسير بالرأى.

كتب أخرى في التفسير بالمأثور:

هناك كتب عديدة من كتب التفسير بالمأثور سنتقصر على إيراد أسماء ثلاثة كتب منها: و نخص أحدها - و هو تفسير ابن كثير - بكلمة موجزة.

أما هذه الكتب فهي: «معالم التنزيل» للبعثي الحسين بن مسعود المتوفى سنة ٥١٠ هـ و «تفسير ابن كثير» لإسماعيل بن عمرو المتوفى سنة ٧٧٤ هـ و «الدر المنثور في التفسير بالمأثور» للسيوطي المتوفى سنة ٩١١ هـ.

كتاب «تفسير القرآن العظيم» لابن كثير:

ابن كثير هو عماد الدين أبو الفداء اسماعيل بن عمرو بن كثير. ولد سنة ٧٠٠ هـ ببصرى جنوبى دمشق، و نشأ يتيما بدمشق، و رزق

حافظه نادرة، فاشتغل بالحديث، و درس الفقه، و ألف فيه، و شرع في كتاب كبير في الأحكام لم يكمل. و انكب على كتب التفسير، و ألف كتابه الذي نحن

لمحات في علوم القرآن و اتجاهات التفسير، ص: ٢٧٨

في صدد الحديث عنه الآن، و ترك كتابا في التاريخ سماه «البدایة و النهاية» و هو كتاب جيد.

لازم الحافظ المزى و تزوج بنته، و أخذ عن ابن تيمية، و احبه، و اثنى عليه في «البدایة و النهاية». توفي سنة ٧٧٤ هـ.

و أما كتابه فهو من أشهر كتب التفسير بالمأثور، و أكثرها شيوعا و انتشارا في الناس، و زادت المطابع في عصرنا من شهرته، فطبع أكثر من مرة، مستقلا حينا، و مع تفسير آخر «١» حينا آخر. و عنوان الكتاب هو «تفسير القرآن العظيم»، و قد قدم له بمقدمة طويلة قيمة تحدث فيها عن أصول التفسير، و يبدو أنه استفاد فيها كثيرا من كلام شيخه ابن تيمية في رسالة له في اصول التفسير.

و طريقته أن يذكر الآية أو الآيات، ثم يفسرها بعبارة سهلة، و يورد بعض الآيات التي توضح الآية إن وجدت، و هو على ذلك حريص جدا، و هذا شأنه في تاريخه أيضا عند تعرضه لقصص الانبياء، ثم يورد الأحاديث التي تتعلق بالآية. ثم يأتي بأقوال الصحابة و التابعين، يورد ذلك كله بأسانيده. و قد يرجح بعض الأقوال على بعض، و قد يرد بعض الأقوال. و هو يورد في تفسيره نادرا بعض الاسرائيليات، و قد ينبه أحيانا الى منكراتها، و قد جمع الاستاذ احمد شاکر في مقدمته «عمدة التفسير» طائفة من أقواله التي تعبر عن رأيه في الاسرائيليات. و يتعرض إلى الموضوعات الفقهية و قد يدخل في بحوث فقهية موسعة. و هو متأثر الى حد كبير بتفسير ابن جرير (فانه لم يقتصر على نقل الآثار بل نقل كلام ابى جعفر بنصه في مواضع متفرقة) «٢» و قد شرع الاستاذ احمد شاکر بتهديبه في كتاب سماه «عمدة التفسير» و صدرت منه أجزاء خمسة و لكنه توفي قبل أن يتمه رحمه الله. و ظهرت مختصرات عدة لهذا الكتاب فيما بعد.

(١) طبع مع «تفسير البغوى».

(٢) انظر مقدمته محمود شاکر لتفسير الطبرى ١/ ١٤.

لمحات في علوم القرآن و اتجاهات التفسير، ص: ٢٧٩

الفصل الثالث التفسير بالرأى

إشارة

سبق أن ذكرنا اتجاهين قاما في التفسير هما: التفسير بالمأثور و التفسير بالرأى، و قد فصلنا القول في التفسير بالمأثور في الفصل السابق، و نريد أن نبحث في هذا الفصل عن التفسير بالرأى «١». و نود أن نذكر هنا أن خلافا شديدا قام بين العلماء حول هذا التفسير، فمنهم من منعه، و منهم من اجازه، و الذى نراه هو أن تحديد المراد من كلمة (الرأى) يزيل كثيرا من الخلاف و الجدل، لأن كلا الفريقين يفهم كلمة الرأى فهما لا يوافقهما عليه الفريق الآخر.

أما المانعون فقد ذهبوا الى حظره و تحريمه، و استدلوا على ذلك بأدلة أهمها:

١- قالوا: إن التفسير بالرأى قول على الله بغير علم، و هو غير جائز.

٢- و استدلوا بالآية الكريمة «وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ» «٢» و فهموا من الآية ان البيان للرسول، و ليس لغيره إلا أن ينقل قوله بعد تحرى ما صح. و واضح أن مثل هذا القول يخرج من دائرة المأثور ما يروى عن الصحابة، و ان كانت كل كتب التفسير بالمأثور تمتلى بأقوال الصحابة بل بأقوال التابعين أيضا.

(١) انظر في التفسير بالرأى «أعلام الموقعين» لابن القيم ١ / ٣٨ و ٥٣ - ٧٣.

(٢) سورة النحل: ٤٤.

لمحات في علوم القرآن و اتجاهات التفسير، ص: ٢٨٠

٣- و استدلوا بالحديث «اتقوا الحديث عنى إلا ما علمتم. فمن كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار، و من قال فى القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار» (١) و بالحديث: «من قال فى القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ» (٢).

٤- و استدلوا بامتناع كثير من الصحابة و السلف من القول فى تفسير القرآن، كأبى بكر رضى الله عنه و سعيد بن المسيب و الشعبي و الاصمعى.

و أما المجيزون فقد ناقشوا هذه الأدلة و بينوا أنها لا تنطبق عليهم كما يأتى:

١- قالوا: ليس التفسير بالاجتهاد قولاً على الله بغير علم. و إنما هو استخدام العقل فى فهم كتاب الله العظيم. و قد جعل الله للمصيب اجرين و للمخطئ أجراً واحداً. و احتجوا بالحديث المشهور فى كتب الأصول و هو (أن رسول الله صلى الله عليه و سلم سأل معاذاً حين بعثه إلى اليمن: بم تحكم؟ قال معاذ: بكتاب الله. قال النبي صلى الله عليه و سلم: فان لم تجد؟ قال معاذ: فبسنه رسول الله. قال فان لم تجد؟ قال معاذ: اجتهد رأى. فضرب رسول الله صلى الله عليه و سلم

(١) أورده الترمذى فى باب ما جاء فى الذى يفسر القرآن برأيه (انظر «تحفة الاحوذى»:

١ / ٤٥) و فى كتاب الترمذى رواية اخرى هى «من قال فى القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النار». و قال: حديث حسن صحيح. و انظر تعليق الألبانى على هذا الحديث فى «المشكاة» ١ / ٧٩.

(٢) أخرجه أبو داود ٣ / ٤٣٦ و الترمذى ٤ / ٦٥ من حديث جندب بن عبد الله، و لكن الحديث ضعيف لأن فى سنده سهيل بن أبى حزم و هو ضعيف. و انظر «الباعث على الخلاص» للحافظ العراقى بتحقيقنا ص ١٤٧ - ١٤٨ و هناك حديث موضوع قريب من هذا الحديث ذكره ابن عراق فى «تنزيه الشريعة» ١ / ٢٧٤ و نصه: «من فسر القرآن برأيه فأصاب كتبت عليه خطيئة لو قسمت بين العباد لوسعتهم، و إن أخطأ فليتبوأ مقعده من النار» و فيه أبو عصمة نوح بن أبى مریم.

و انظر تخريج الحديث الأول و غيره فى تعليقات شاكر على تفسير الطبرى ١ / ٧٨ و انظر «المشكاة» ١ / ٧٩.

لمحات فى علوم القرآن و اتجاهات التفسير، ص: ٢٨١

فى صدره و قال: الحمد لله الذى وفق رسول الله لما يرضى رسول الله» (١).

٢- و اجابوا عن الاستدلال بالآية و أنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم» (٢) بأن فى الذى ورد بيانه عنه صلى الله عليه و سلم كفاية عن كل تفسير، و أما الذى لم يرد عنه صلى الله عليه و سلم بيانه فففيه مجال لأن يعمل أهل العلم الأكفيا تفكيرهم فيه و يقفوا على أسرارهم. و قالوا: إنه لا تعارض بين الآية و التفسير بالرأى.

٣- و اجابوا عن الحديثين بأن النهى محمول على من قال برأيه فى مثل متشابه القرآن مما لا يعلم إلا عن طريق النقل عن النبي صلى الله عليه و سلم. و قالوا: إن المراد من كلمة (الرأى) الواردة فى الحديثين هو الرأى الذى يغلب على صاحبه من غير دليل، و الهوى الذى يميل إليه المرء و لو كان الحق فى غير جانبه. و قالوا: إن النهى محمول على من يقول فى القرآن بظاهر العربية من غير أن يرجع إلى أخبار الصحابة الذين شاهدوا تنزيله، و نقلوا لنا تفسير الرسول صلى الله عليه و سلم لآيات القرآن الكريم و من غير أن يتقيد بشروط التفسير.

(١) رواه أحمد في «المسند» ٥/ ٢٣٠ و ٢٣٦ و ٢٤٦ و أبو داود ٣/ ٤١٢ و الترمذى ٢/ ٢٧٥ و قال عقبه: (هذا حديث لا نعرفه إلا من هذا الوجه و ليس إسناده عندى بمتصل) و ابن ماجه و الدارمى ١/ ٦٠ و أورده ابن عبد البر فى «جامع بيان العلم و فضله» ١٢٦ و أخرجه الخطيب فى «الفيقه و المتفقه» ١/ ١٨٨-١٨٩ من طرق عدة و صححه و ذكر أن أهل العلم قد تقبلوه و احتجوا به. و أخرجه ابن كثير فى مقدمه تفسيره ٣/ ١ و قال:

(و هذا الحديث فى «المسند» و السنن بإسناد جيد كما هو مقرر فى موضعه) و قال فى «البدايه و النهايه» ٥/ ١٠٣: (.. و قد رواه ابن ماجه من وجه آخر عنه من طريق محمد ابن سعيد بن حسان و هو المصلوب أحد الكذابين) فتأمل.

و قال الذهبي: و أنى له الصحه، و مداره على الحارث بن عمرو و هو مجهول عن رجال من أهل حمص لا يدري من هم عن معاذ (و انظر «طبقات الشافعيه» ٥/ ١٨٧).

و نقل الشيخ ناصر الألبانى عن البخارى أنه قال فيه: إنه حديث منكر (انظر كتابنا الحديث النبوى ص ٢٥) و انظر «منزله السنه فى الاسلام» للألبانى ص ١٥-١٦.
(٢) سورة النحل: ٤٤.

لمحات فى علوم القرآن و اتجاهات التفسير، ص: ٢٨٢

قال الغزالي فى «الاحياء» (١): [و أما النهى فى الحديث فإنه ينزل على أحد وجهين:

أحدهما أن يكون للمفسر فى الشىء رأى و إليه ميل من طبعه و هواه فيتأول القرآن على وفق رأيه و هواه ليحتج على تصحيح غرضه، و لو لم يكن له ذلك الرأى و الهوى لكان لا يلوح له من القرآن ذلك المعنى ...

و الوجه الثانى من التفسير بالرأى أن يسارع المفسر إلى تفسير القرآن بظاهر العريه من غير استظهار بالسماع فيما يتعلق بغرائب القرآن و ما فيه من الألفاظ التى لها أكثر من معنى ...]. و أضافوا الى ذلك أن الحديث الثانى حديث ضعيف لا يحتج به أصلا.

٤- و قالوا فى إحجام من أحجم من الصحابه و السلف رضوان الله عليهم عن التفسير بالرأى: إنما كان منهم ورعا. و يمكن أن يكون إحجامهم مقيدا بما لم يعرفوا وجه الصواب فيه، و يمكن أن يقال أيضا: إنما أحجم من أحجم منهم لأنه لم يكن يتعين للإجابة، و كان هناك أناس يقومون بهذه المهمه، و إلا فان لم يكن هناك سواه لشرح كتاب الله و جب عليه التفسير حتى لا يكون كاتما للعلم.

*** و لم يكتف هؤلاء العلماء برد أدله المانعين، و إنما احتجوا لقولهم بأدلة عديده سنتصر على ايراد أهمها:

١- قالوا: إن القرآن نفسه يأمر بالتدبر و الاستنباط، و استشهدوا بقوله سبحانه: وَ لَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولَى الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ (٢) و بقوله تعالى: أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ

(١) إحياء علوم الدين ١/ ٢٩٨.

(٢) سورة النساء: ٨٣.

لمحات فى علوم القرآن و اتجاهات التفسير، ص: ٢٨٣

أَقْفَالُهَا (١) و بقوله عز و جل: كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَ لِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ (٢).

و لا- يكون التدبر إلا- بالتأمل الذى يعتمد على الفهم و أعمال الفكر و الاجتهاد. و بذلك يكون القرآن نفسه أمرا بالتفسير بالرأى. فتدبر القرآن متوقف على فهمه، و لا نستطيع أن نفهم الآيات التى لم يرد فى شرحها اثر أو حديث إلا بأن نجتهد فى تفسيرها ضمن الشروط التى نص العلماء على ضرورة توافرها.

٢- لو كان الاجتهاد بالرأى غير جائز لما كان الاجتهاد جائزا، و لتعطلت بسبب ذلك كثير من الاحكام الشرعيه.

٣- فسر الصحابه القرآن، و اختلفوا فى تفسيره على وجوه، و لم يسمعوا كل شىء قالوه من النبى صلى الله عليه و سلم. بل هناك من

الأقوال ما سمعوه، و هناك ما اجتهدوا فيه. هذا و من المروى عن رسول الله صلى الله عليه و سلم دعاؤه لابن عباس «اللهم فقهه في الدين و علمه التأويل» (٣).

*** و يقرر الامام الراغب الاصفهاني الحق في هذا الموضوع بأجلى بيان.

و ذلك حيث يقول: (فمن اقتصر على المنقول اليه فقد ترك كثيرا مما يحتاج اليه، و من أجاز لكل أحد الخوض فيه فقد عرضه للتخليط و لم يعتبر حقيقة قوله تعالى لِيُدَّبَرُوا آيَاتِهِ وَ لِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ «٢».

و كما سبق أن قلت في مطلع هذا الفصل: إن تحديد مدلول كلمة (الرأى) يحسم الخلاف، و النظر المتأنى العميق في دوافع كل من الفريقين

(١) سورة محمد: ٢٤.

(٢) سورة ص: ٢٩.

(٣) انظر تخريجه في الفصل الثاني من الباب الثاني من هذا الكتاب عند بحثنا في التفسير في عهد الصحابة.

لمحات في علوم القرآن و اتجاهات التفسير، ص: ٢٨٤

يظهر تقارب وجهات النظر بينهما، حتى يكاد يبقى الخلاف بصورة لفظية، (فالرأى) عند أهل الأثر هو الهوى الذى لا يضبطه ضابط، و هو بهذا المعنى مكروه من الفريقين، بينما (الرأى) عند القائلين بالتفسير بالرأى هو الاجتهاد المقيد بقيود و أعمال الفكر في كتاب الله على ضوء هداه و شرح رسول الله صلى الله عليه و سلم.

*** اشترط العلماء القائلون بالتفسير بالرأى أن تتوافر في المفسر القدرة التى تمكنه من التفسير، و لا بد أن يكون المفسر ملما بعلوم اللغة و علوم القرآن و العلوم الاسلاميه و العلوم الاجتماعيه العامه، هذا بالاضافه إلى اشتراطهم فى المفسر أن يكون ورعا يخاف الله و ذا إمكانيات عقليه جيده مما ذكرناه فى مبحث أصول التفسير.

إذا كان التفسير بالرأى ضمن هذه الحدود فان الحق يقضى بقبوله و إقراره، و هو الشىء الطبيعى الذى يقتضيه التفاعل مع الكتاب الكريم، و استنطاقه فى شئوننا المعاصره. و لا بد من الاشارة الى أن أتباع الفرق الضالاه التى عملت فى التفسير كانت تعتمد التفسير بالرأى لتنفيذ عن طريقه إلى نشر ضلالاتها و آرائها المنحرفه.

و قد يكون كلام الذين أنكروا التفسير بالرأى إنكارا عنيفا، قد يكون كلامهم نتيجة لاطلاعهم على كلام هؤلاء المنحرفين و الله أعلم. لمحات في علوم القرآن و اتجاهات التفسير، ص: ٢٨٥

تفسير الرازى

كتب التفسير بالرأى كثيره من أهمها: «الكشاف» و «تفسير الرازى» و «تفسير البيضاوى» و «النسفى» و «الخازن» ... و سندرس فيما يأتى تفسير الرازى:

ترجمته:

(١) هو محمد بن عمر التيمى البكرى أبو عبد الله، فخر الدين الرازى ولد فى الرى سنة ٥٤٤ هـ و نسب اليها «٢»، و هو قرشى النسب.

(١) انظر ترجمته فى «وفيات الأعيان» و «البدايه و النهايه» ٥٥ / ١٣ و «ميزان الاعتدال» ٣ / ٣٤٠ و «لسان الميزان» ٤ / ٤٢٦ و «شذرات

الذهب» ٢١ / ٥ و «النجوم الزاهرة» ١٩٧ / ٦ و «الوافى بالوفيات» ٢٤٨ / ٤ و «طبقات الشافعية» ٨١ / ٨ و «مفتاح السعادة» ١١٦ / ٢ و «تاريخ الخلفاء» للقفطي ٢٩١ و «تاريخ ابن الوردي» ١٢٧ / ٢ و «ذيل الروضتين» ٦٨ و «طبقات المفسرين» للسيوطي ٣٩ و «طبقات المفسرين» للداودي ٢١٣ / ٢ و «الكامل» ١٣٣ / ١٢ و «هدية العارفين» ١٠٧ / ٢.

(٢) الرى مدينة مشهورة، و قد نسب إليها عدد من العلماء، و هي الآن تابعة ل طهران و متصلة بها بالمباني و العمران.

و ذكر لى زميلى محمد صديق العوضى أن العامة هناك يسمونها (شاه عبد العظيم) لأن هذا الرجل مدفون فيها.

و فى تعليق وجود الزاى بالنسبة إليها نقل العوضى أسطورة عن معجم فارسى معروف هو «برهان قاطع» أوردتها على سبيل الطرفة، و ملخص هذه الأسطورة أن رجلين بنا هذه المدينة القديمة أحدهما (رى) و الآخر (راز) و اختلفا فى تسمية المدينة، و كل منهما يريد لمحات فى علوم القرآن و اتجاهات التفسير، ص: ٢٨٦

رحل فى طلب العلم، و استطاع أن يبلغ فيه المنزلة العالية، فقد كان متفوقا فى العلوم العقلية و النقلية، و كان طبيبا مشهورا، و كان واعظا بارعا، و كان يحسن الفارسية، و له شعر بها و بالعربية. و كان صاحب وقار، له هيئة جميلة، اذا ركب مشى معه نحو الثلاثمائة. توفي فى هراء سنة ٦٠٦ هـ.

ألف كتبا كثيرة فى عدد من العلوم، و له طريقته فى التأليف خاصة به، لم يسبق إليها، و لا شك أن كتابه فى التفسير أشهر كتبه، و له كتاب آخر مشهور و هو فى علم الكلام و هو «تأسيس التقديس» و قد ألف ابن تيمية كتابا جليلا فى الرد عليه و هو «نقض التأسيس» (١). و لقد أحصى مترجموه كتبه فكانت شيئا كثيرا. ذكر له الاستاذ محيى الدين عبد الحميد خمسين مؤلفا عربيا و أشار إلى مؤلفاته بالفارسية (٢) و زاد الاستاذ عبد الله الصاوى على ما ذكر محيى الدين ٢٣ كتابا.

كتاب «مفاتيح الغيب»:

١- جاء الرازى فى زمن أصبحت فيه للثقافة الاسلامية فلسفة مستقلة متميزة، حيث ضعف سلطان المعتزلة، و لم يعد الفلاسفة الذين هم امتداد الفلسفة اليونانية هم وحدهم فى الميدان.

و قد تأثر الرازى بعصره و بهذه الفلسفة، كما تأثر ببعض الشخصيات أمثال الغزالي و الجوينى و الباقلانى، و لم يلبث أن أصبح الرازى أحد أساطين هذه الثقافة الاسلامية، لقد تطلع الى أن يضع القرآن العظيم موضع الدراسة

أن يسميها باسمه، و توسط ناس فى حل النزاع فسموا المدينة (الرى) و قالوا إن النسبة إليها (رازى). و هي أسطورة لا تصح.

(١) طبع كتاب ابن تيمية فى مكة بتحقيق محمد بن عبد الرحمن بن قاسم سنة ١٣٩١ هـ.

(٢) انظر مقدمة الاستاذ محيى الدين لتفسير الرازى طبع المطبعة المصرية سنة ١٣٥٢ (١٩٣٣).

لمحات فى علوم القرآن و اتجاهات التفسير، ص: ٢٨٧

و البحث و التحليل، على منهج يكشف تفوق القرآن على سائر الطرائق الفلسفية، و انفراده بالقدرة على هداية البشر الى غايات الحكمة.

قال الرازى فى وصيته (١) «التي أملاها قبل موته:

(لقد اخترت الطرق الكلامية، و المناهج الفلسفية، فما رأيت فيها فائدة تساوى الفائدة التى وجدتتها فى القرآن، لأنه يسعى فى تسليم العظمة و الجلال لله، و يمنع من التعمق فى إيراد المعارضات و المناقضات، و ما ذاك إلا للعلم بأن العقول البشرية تتلاشى فى تلك المضائق العميقة، و المناهج الخفية).

و نقل ابن الصلاح عن الطوغانى عن الرازى قريبا من هذا الكلام (٢).

و من أجل ذلك كان يرى أنه ينبغي على الناس أن يلتفتوا الى القرآن وحده، ليجدوا فيه الحق ... وقد وضع لهم تفسيره هذا ليكون معوانا لهم على تبصر هذه الحكمة السامية في الهداية.

٢- و طريقة الرازي في التفسير: ان يفسر الآية من نواح متعددة لغه و بلاغه و فقها و ما الى ذلك. ثم يأتي بعد ذلك الى الاستنباط، فيذكر المسائل التي يمكن أن تبحث بما يوحيه النص و يشير اليه. و كان مولعا بكثرة الاستنباطات، يدل على ذلك قوله في مقدمه تفسيره:

(اعلم أنه مر على لساني في بعض الأوقات أن سورة الفاتحة يمكن أن يستنبط من فوائدها و نفائسها عشرة آلاف مسألة، فاستبعد هذا بعض الحساد، فشرعت في تصنيف هذا الكتاب). لمحات في علوم القرآن و اتجاهات التفسير ٢٨٧ كتاب «مفاتيح الغيب»: ص : ٢٨٦

يبدو أنه لم يؤلف كتابه متسلسلا على أنه كتاب واحد، و لم يتبع

(١) انظر الوصية كاملة في «طبقات الشافعية» ٨ / ٩٠ و في آخر ترجمته التي كتبها عبد الله الصاوي في آخر الجزء ٣٢ من «تفسير الرازي» ص ٢١٥.

(٢) انظر «شذرات الذهب» ٥ / ٢١-٢٢.

لمحات في علوم القرآن و اتجاهات التفسير، ص: ٢٨٨

في تفسير السور ترتيب المصحف، يستنتج هذا من التواريخ التي وضعها المؤلف في نهاية عدد من السور. فقد ذكر أنه انتهى من سورة في تاريخ معين، ثم ذكر في السورة التي ترتيبها في المصحف بعدها أنه انتهى من تفسيرها في تاريخ يسبق ذلك التاريخ.

و هكذا فكأنه كان يعدّ تفسير كل سورة بحد ذاته كتابا مستقلا، و ترى ذلك واضحا في مقدمه سورة الفاتحة.

٤- في الكتاب كلام يتصل بالمؤلف و أحواله في مناظراته و رحلاته، فمن ذلك مثلا ما جاء في نهاية سورة يونس حيث قال:

(يقول جامع الكتاب: ختمت تفسير هذه السورة يوم السبت من شهر الله الاصح رجب سنة إحدى و ستمائة، و كنت ضيق الصدر، كثير الحزن، بسبب وفاة الولد الصالح محمد، أفاض الله على روجه و جسده أنوار المغفرة و الرحمة، و أنا ألتمس من كل من يقرأ هذا الكتاب و ينتفع به من المسلمين، أن يخص ذلك المسكين بالدعاء و الرحمة و الغفران، و الحمد لله رب العالمين، و صلواته على خير خلقه محمد، و آله و صحبه أجمعين).

و من ذلك ذكر رحلته الى خوارزم، و إيراد مناظرة جرت له هناك مع بعض النصارى. جاء في تفسير قوله تعالى في سورة آل عمران فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ «١» (اتفق لي حين كنت بخوارزم أن أخبرت أنه جاء نصراني يدعى التحقيق و التعمق في مذهبهم، فذهبت اليه و شرعنا في الحديث ...) و ساق جدله في مسألة الوهية المسيح و السؤال عن بطلان ذلك بأوجه قال في ختام تقريرها:

(و عند ذلك انقطع النصراني و لم يبق له كلام).

(١) سورة آل عمران: ٦١.

لمحات في علوم القرآن و اتجاهات التفسير، ص: ٢٨٩

٥- لم يكن المؤلف متعصبا لمذهبه الشافعي، فهو مثلا عند ما تعرض لآية الصدقات قال: (هذه الآية لا دلالة فيها على قول الشافعي (...).

٦- يمتاز هذا التفسير بالبحوث الواسعة الفياضة في نواح شتى من العلم، حتى صدقت فيه كلمة ابن خلكان: (إنه جمع فيه كل غريب و غريبة).

٧- يذهب بعض العلماء «١» إلى أنه لم يتم الكتاب بنفسه، و استدلوا على ذلك بأدلة منها:

- أنهم وجدوا في الكتاب بعض المقاطع التي تدل على أن كاتبها غير الفخر الرازي، فمن ذلك ما جاء عند قوله تعالى في سورة الواقعة جزاءً بما كانوا يعملون «٢»: (المسألة الأولى أصولية ذكرها الامام فخر الدين رحمه الله في مواضع كثيرة و نحن نذكر بعضها) ثم قال: (وقد أجاب عنه الامام فخر الدين - رحمه الله - بأجوبة كثيرة، و أظن به أنه لم يذكر ما أقوله فيه).

- في أول الكتاب لا يحيل المؤلف قارئه على بحث تقدم، و تكثر هذه الإحالات في القسم الأخير من الكتاب.

و لكن الشيخ ابن عاشور يرى رأياً آخر عبّر عنه بالكلمات التالية: (إن الرازي لما انتصب في آخر حياته لتصنيف التفسير، تمكن من إخراج شيء منه في تحريره النهائي، و بقي شيء في الأمالي و المسودات بيد بعض تلاميذه، فأقبل على تصنيفه و تحريره، و ألحق في ذلك الفرع بالأصل، فالكتاب بروحه هو للرازي كله، و بتحريره هو من وضعه في الأول

(١) من هؤلاء العلماء ابن حجر في «الدرر الكامنة» ج ١ ص ٣٠٤، و ابن خلكان في «وفياته» و ابن قاضي شهبه و حاجي خليفة في «كشف الظنون» ١٧٥٦/٢.

(٢) سورة الواقعة: ٢٤.

لمحات في علوم القرآن و اتجاهات التفسير، ص: ٢٩٠

و وضع تلميذه .. في الآخر) «١».

و إدراج بعض الكلام من النسخ في كثير من الكتب أمر موجود بكثرة في كتب ثقافتنا الاسلامية، و هو هنا محتمل الوجود جداً، فليس بعيداً أن يكون النسخ من أهل العلم، و قد زاد بعض العبارات بما لا يخرج بالكتاب عن أصله و روح مؤلفه.

٨- قيمة الكتاب تبدو في أنه أول محاولة ناجحة لانتزاع علم التفسير من الطائفتين اللتين احتكرنا هذا العلم و هما: طائفة المحدثين و طائفة الأدباء المعنيين بالبلاغة، و هذه المحاولة مكنت طائفتين أخريين أن تشتغلا فيه و هما المختصون في أصول الدين (التوحيد و علم الكلام) و المختصون في أصول الفقه.

و الرازي من أهل هذين الفئتين كما رأينا، و قد جعل أتباعه من العلماء في هذين الحقلين يخوضون في التفسير، و بذلك اتجهت كتب التفسير وجهة جديدة.

٩- لا يترك مسألة من مسائل الاعتزال تتصل بما هو في صدد تفسيره إلا و يعرضها و يرد عليهم، و ينقض حججهم، و يقرر مذهب أهل السنة.

و يتعرض كثيراً لأقوال الفلاسفة و يرد عليهم، و إن كانت طريقته في البحث على نمطهم و اسلوبهم، و يأخذ ابن حجر عليه تقصيره في رد أقوال أهل الضلالات بعد أن يعرضها عرضاً جيداً «٢». و كذلك فقد انتقده الذهبي و أبو حيان و السيوطي.

قال الذهبي: [بل يطالع المدرسون تفسير الفخر الرازي، و فيه إشكالات و تشكيكات لا ينبغي سماعها، فإنها تحير و تمرض و لا تشفى

(١) «التفسير و رجاله» للشيخ محمد بن عاشور ص ٩٠.

(٢) «لسان الميزان» ٤/٤٢٧.

لمحات في علوم القرآن و اتجاهات التفسير، ص: ٢٩١

غليلا. نسأل الله العافية] «١».

وقال السيوطي: [الامام فخر الدين قد ملأ تفسيره بأقوال الحكماء و الفلاسفة و شبهها، و خرج من شيء إلى شيء حتى يقضى الناظر العجب من عدم مطابقة المورد للآية. قال أبو حيان في «البحر»: جمع الإمام الرازي في تفسيره أشياء كثيرة طويلة لا حاجة بها في علم التفسير، و لذلك قال العلماء: فيه كل شيء إلا التفسير] (٢).

١٠- يكثر من الاستطراد إلى العلوم الكونية و الفلكية.

١١- يهتم بذكر المناسبات بين الآيات بعضها مع بعض، و بين السور أيضا، و هو لا يكتفى بذكر مناسبة واحدة، بل كثيرا ما يذكر أكثر من مناسبة.

(١) «بيان زغل العلم» ١٩- ٢٠.

(٢) «الاتقان» ٢/ ١٩٠ أقول: و نقله عن العلماء قولهم فيه: (فيه كل شيء إلا التفسير) كلمة ظالمة يردها التأمل الواعي في كتابه.

لمحات في علوم القرآن و اتجاهات التفسير، ص: ٢٩٢

الفصل الرابع التفسير العلمي

إشارة

من مدارس التفسير التي شاعت في هذا العصر ما يدعى «التفسير العلمي» (١).

(١) من المصادر التي بحثت في موضوع التفسير العلمي:

التفسير العلمي للآيات الكونية لحنفى أحمد- دار المعارف بمصر.

من الآيات العلمية لعبد الرزاق نوفل (الأنجلو مصريه ١٩٦٦ م).

القرآن و العلم الحديث لعبد الرزاق نوفل (الكتاب العربي بيروت دون تاريخ) القرآن و العلم لأحمد سليمان (دار العودة بيروت ١٩٧٨ م)

(م) القرآن يتحدى لأحمد عز الدين عبد الله خلف الله (السعادة مصر ١٣٩٧ هـ - ١٩٧٧ م).

سنن الله الكونية لمحمد أحمد الغمراوي. و بين الدين و العلم للغمراوي.

الاسلام و الطب الحديث لعبد العزيز اسماعيل.

الاسلام في عصر العلم لمحمد أحمد الغمراوي- دار الكتب الحديثه سنة ١٩٧٨ م.

ما دلّ عليه القرآن للآلوسى- طبع المكتب الاسلامى.

الدين و العلم للمشير أحمد عزت باشا و قد علق عليه عبد الوهاب عزام و حمزة طاهر.

الاسلام يتحدى لوحد الدين خان ترجمة ظفر الاسلام خان من ٢٠٥- ٢٢٧.

الفلسفة القرآنية للعقاد (فصل القرآن و العلم) و (فصل تفسير القرآن في العصر الحديث) العلوم الطبيعية في القرآن ليوستف مروة

(بيروت ١٣٨٧- ١٩٦٨ م).

مطابقة المخترعات العصرية لما أخبر به سيد البرية للغمارى. مكتبة القاهرة سنة ١٣٨٧.

من إشارة العلوم في القرآن الكريم، عبد العزيز سيد الأهل - دار النهضة الحديثه بيروت ١٣٩٢.

لمحات في علوم القرآن و اتجاهات التفسير، ص: ٢٩٣

و للتفسير العلمى جذور فى ثقافتنا التفسيرية القديمة التى خلفها السلف، و نستطيع أن نعد الغزالي فى «الإحياء» (١) و «جواهر القرآن» و

«القسطاس المستقيم» و «الحكمة في مخلوقات الله»، و الرازي في «مفاتيح الغيب» من اوائل الباحثين فيه، و قد سار في هذا السبيل السيوطي حيث عقد بابا في «الاتقان» تحدث فيه عن العلوم المستنبطة من القرآن، و نقل أقوالا لعدد من العلماء في أن كل شيء في القرآن، ثم نقل مقالة أبي الفضل المرسي و غيره في هذا الصدد (٢).

و لكننا في مطلع القرن الهجري الرابع عشر نرى هذا اللون من التفسير قد راج و نما، و توسعت ارجاؤه و تعددت، و تخصص فيه بعض المؤلفين. فما هو؟ و ما الرأي فيه؟.

إنه تحكيم مصطلحات العلوم في فهم الآيه، و الربط بين الآيات الكريمة و مكتشفات العلوم التجريبية و الفلكية و الفلسفية. و يعتمد هذا التفسير على التوسع في مدلول الكلمات، و الآيات القرآنية، و الاستيحاء من الكلمة منقطعاً عن سياقها في الآيه أحيانا، و الاعتماد على الإشارات من هنا و من هناك أحيانا أخرى، و يذهب القائلون به إلى أن الاعجاز إنما يتحقق في الإعجاز العلمي، و يقررون بأسلوب خطابي أن كثيرا من النظريات العلمية الحديثة التي تفتق عنها الذهن البشري المعاصر بعد أجيال من الخبرة و المعرفة، و ركام من التجارب، قد سبق إليها القرآن قبل بضعة عشر قرنا و أشار إليها، و يحاولون الاستدلال بتحليل الألفاظ فوق ما تحمل و يتكلمون لذلك و يتمحلون.

كان الاهتمام بهذا اللون من التفسير نتيجة لانبهار نفر منا بضياء الحضارة الاوربية، التي فتحنا أعيننا على مخترعاتها و ثمرات علومها، فذهب

(١) انظر «الاحياء» الباب الرابع في فهم القرآن و تفسيره بالرأى من غير نقل ٢٥٩ / ١.

(٢) انظر «الاتقان» ٢ / ١٢٥ - ١٣١.

لمحات في علوم القرآن و اتجاهات التفسير، ص: ٢٩٤

هذا نفر يتلمس إشارات ذلك في القرآن، و يدعو إلى فهم القرآن على ضوء النظريات الحديثة، كأن ما وصلت اليه هذه الحضارة حقائق ثابتة.

و من أبرز هؤلاء الشيخ طنطاوى جوهرى (١) في تفسيره الذى سنتحدث عنه بعد قليل.

و الحق أن هذا الاتجاه من التفسير غير سديد، و ذلك لأن العلم فى قلق و تغيير دائم، و تطور مستمر، ينقض اليوم ما أقره بالأمس، و الحقائق العلمية تبقى ثابتة فى نظر العلماء حتى تدحضها حقائق اخرى، أما الفرضيات و النظريات فهى منذ أول وهله فى نظرهم لا تعد من الحقائق فى شىء.

فكيف يجوز فى المنهج الصحيح أن يحتكم فى آيات الله التى لا- يأتىها الباطل من بين يديها و لا- من خلفها إلى تلك النظريات القلقة، و الحقائق المعرضة للتغيير؟

و قد عالج هذا الموضوع بعمق و أصالة الاستاذ سيد قطب رحمه الله فقال (٢):

(و لم يجيء القرآن ليكون كتاب علم فلكى أو كيمائى أو طبى .. كما يحاول بعض المتحمسين له أن يتلمسوا فيه هذه العلوم، أو كما يحاول بعض الطاعنين فيه أن يتلمسوا مخالفاته لهذه العلوم.

إن كلتا المحاولتين دليل على سوء الإدراك لطبيعة هذا الكتاب، و وظيفته و مجال عمله. إن مجاله هو النفس الانسانية، و الحياة الانسانية.

و إن وظيفته أن ينشئ تصورا عاما للوجود و ارتباطه بخالقه، و لوضع الانسان فى هذا الوجود و ارتباطه بربه، و أن يقيم على أساس هذا التصور

(١) سنورد ترجمته بعد قليل.

(٢) «في ظلال القرآن» ٢ / ٩٥ - ٩٩.

لمحات في علوم القرآن و اتجاهات التفسير، ص: ٢٩٥

نظاما للحياة، يسمح للانسان أن يستخدم كل طاقاته ... و من بينها طاقته العقلية، التي تقوم هي بعد تنشئتها على استقامة، و إطلاق المجال لها لتعمل بالبحث العلمي - في الحدود المتاحة للانسان - و بالتجريب و التطبيق تصل إلى ما تصل إليه من نتائج ليست نهائية و لا مطلقة بطبيعه الحال.

إن مادة القرآن التي يعمل فيها هي الانسان ذاته: تصوره و اعتقاده، و مشاعره و مفهوماته، و سلوكه و أعماله، و روابطه و علاقاته .. أما العلوم المادية، و الإبداع في عالم المادة بشتى وسائله و صنوفه، فهي موكولة إلى عقل الانسان، و تجاربه، و كشوفه، و فروضه، و نظرياته. بما أنها أساس خلافته في الأرض، و بما أنه مهياً لها بطبيعه تكوينه .. و القرآن يصحح له فطرته كي لا تنحرف و لا تفسد؟ و يصحح له النظام الذي يعيش فيه كي يسمح له باستخدام طاقاته الموهوبة له، و يزوده بالتصور العام لطبيعه الكون و ارتباطه بخالقه و تناسق تكوينه، و طبيعة العلاقة القائمة بين أجزائه - و هو أى الانسان أحد أجزائه - ثم يدع له أن يعمل في إدراك الجزئيات و الانتفاع بها في خلافته ... و لا يعطيه تفصيلات لأن معرفه هذه التفصيلات جزء من عمله الذاتى.

و إنى لأعجب لسذاجة المتحمسين لهذا القرآن، الذين يحاولون أن يضيفوا إليه ما ليس منه، و أن يحملوا عليه ما لم يقصد إليه، و أن يستخرجوا منه جزئيات في علوم الطب و الكيمياء و الفلك و ما إليها .. كأنما ليعظموه بهذا و يكبروه. إن القرآن كتاب كامل في موضوعه. و موضوعه أضخم من تلك العلوم كلها .. لأنه هو الانسان ذاته، الذى يكتشف هذه المعلومات و ينتفع بها ..

و البحث و التجريب و التطبيق من خواص العقل فى الانسان. و القرآن يعالج بناء هذا الانسان نفسه. بناء شخصه و ضميره و عقله و تفكيره. كما يعالج بناء المجتمع الانسانى الذى يسمح لهذا الانسان بأن يحسن استخدام هذه

لمحات في علوم القرآن و اتجاهات التفسير، ص: ٢٩٦

الطاقات المذخورة فيه. و بعد أن يوجد الانسان السليم التصور و التفكير و الشعور و يوجد المجتمع الذى يسمح له بالنشاط، يتركه القرآن يبحث و يجرب و يخطئ و يصيب فى مجال العلم و البحث و التجريب. و قد ضمن له موازين للتصور و التدبر و التفكير الصحيح.

كذلك لا يجوز أن نعلق الحقائق النهائية التى يذكرها القرآن أحيانا عن الكون فى طريقه لإنشاء التصور الصحيح لطبيعه الوجود و ارتباطه بخالقه، و طبيعة التناسق بين أجزائه .. لا يجوز أن نعلق هذه الحقائق النهائية التى يذكرها القرآن بفروض العقل البشرى و نظرياته، و لا حتى بما يسميه (حقائق علمية) مما ينتهى إليه بطريق التجربة القاطعة فى نظره.

إن الحقائق القرآنية حقائق نهائية قاطعة مطلقة. أما ما يصل إليه البحث الانسانى - أيا كانت الأدوات المتاحة له - فهي حقائق غير نهائية و لا قاطعة، و هي مقيدة بحدود تجاربه و ظروف هذه التجارب و أدواتها .. فمن الخطأ المنهجى - بحكم المنهج العلمى الانسانى ذاته - أن نعلق الحقائق النهائية القرآنية بحقائق غير نهائية، و هى كل ما يصل إليه العلم البشرى.

هذا بالقياس الى (الحقائق العلمية) .. و الأمر أوضح بالقياس إلى النظريات و الفروض التى تسمى (علمية) .. و من هذه النظريات و الفروض كل النظريات الفلكية، و كل النظريات الخاصة بنشأة الانسان و أطواره، و كل النظريات الخاصة بنشأة المجتمعات و أطوارها .. فهذه كلها ليست (حقائق علمية) حتى بالقياس الانسانى. و إنما هى نظريات و فروض. كل قيمتها أنها تصلح لتفسير أكبر قدر من الظواهر الكونية أو الحيوية أو النفسية أو الاجتماعية إلى أن يظهر فرض آخر يفسر قدراً أكبر من الظواهر أو يفسر تلك الظواهر تفسيراً أدق. و من ثم فهي قابلة دائماً للتغيير و التعديل و النقص و الاضافة، بل قابلة لأن تنقلب رأساً على عقب، بظهور أداة كشف جديدة،

أو بتفسير جديد لمجموعة الملاحظات القديمة.

لمحات في علوم القرآن و اتجاهات التفسير، ص: ٢٩٧

و كل محاولة لتعليق الإشارات القرآنية العامة بما يصل إليه العلم من نظريات متجددة متغيرة- أو حتى بحقائق علمية ليست مطلقة كما أسلفنا- تحتوى أولاً على خطأ منهجي أساسى .. كما أنها تنطوى على معان ثلاثة كلها لا يليق بحلال القرآن الكريم: الأول: هو الهزيمة الداخلية التي تخيل لبعض الناس أن العلم هو المهيمن، و القرآن تابع، و من هنا يحاولون تثبيت القرآن بالعلم. أو الاستدلال له من العلم، على حين أن القرآن كتاب كامل فى موضوعه و نهائى فى حقيقته. و العلم ما يزال فى موضوعه ينقض اليوم ما أثبتته بالأمس، و كل ما يصل إليه غير نهائى و لا مطلق، لأنه مقيد بوسط الانسان، و عقله، و أدواته، و كلها ليس من طبيعتها أن تعطى حقيقة واحدة نهائية مطلقة.

و الثانى: سوء فهم طبيعة القرآن و وظيفته. و هى أنه حقيقة نهائية مطلقة، تعالج بناء الانسان، بناء يتفق- بقدر ما تسمح طبيعة الانسان النسبية- مع طبيعة هذا الوجود و ناموسه الالهى، حتى لا- يصطدم الانسان بالكون من حوله، بل يصادقه و يعرف بعض أسرارها، و يستخدم بعض نواميسه فى خلافته. نواميسه التى تكشف له بالنظر و البحث و التجريب و التطبيق، وفق ما يهديه إليه عقله الموهوب له ليعمل لا ليتسلم المعلومات المادية جاهزة.

و الثالث: هو التأويل المستمر- مع التمحل و التكلف- لنصوص القرآن كى نحملها و نلث بها وراء الفروض و النظريات، التى لا تثبت و لا تستقر.

و كل يوم يجد فيها جديد. و كل أولئك لا يتفق و جلال القرآن، كما انه يحتوى على خطأ منهجي كما أسلفنا.

و لكن هذا لا يعنى ألا ننتفع بما يكتشفه العلم من نظريات- و من حقائق- عن الكون و الحياة و الانسان فى فهم القرآن .. كلا. إن هذا ليس هو الذى عيننا بذلك البيان. و لقد قال الله سبحانه: سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي

لمحات في علوم القرآن و اتجاهات التفسير، ص: ٢٩٨

الْأَفَاقِ وَ فِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ «١» .. و من مقتضى هذه الإشارة أن نظل نتدبر كل ما يكشفه العلم فى الآفاق و فى الأنفس من آيات الله، و أن نوسع بما يكشفه مدى المدلولات القرآنية فى تصورنا.

فكيف؟ و دون أن نعلق النصوص القرآنية النهائية المطلقة بمدلولات ليست نهائية و لا مطلقة؟ هنا ينفع المثال:

يقول القرآن الكريم مثلاً: وَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا «٢» .. ثم تكشف الملاحظات العلمية ان هناك موافقات دقيقة، و تناسقات ملحوظة بدقة فى هذا الكون .. الأرض بهيئتها هذه، و ببعده الشمس عنها هذا البعد، و بعد القمر عنها هذا البعد، و حجم الشمس و القمر بالنسبة لحجمها، و بسرعته حركتها هذه، و بميل محورها هذا، و بتكوين سطحها هذا .. و بالآلاف من الخصائص «٣» .. هى التى تصلح للحياة و توائمها .. فليس شىء من هذا كله فلتة عارضة، و لا مصادفة غير مقصودة ... هذه الملاحظات تفيدنا فى توسيع مدلول: وَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا «٤» و تعميقه فى تصورنا .. فلا بأس من تتبع مثل هذه الملاحظات لتوسيع هذا المدلول و تعميقه .. و هكذا ..

هذا جائز و مطلوب .. و لكن الذى لا يجوز و لا يصح علمياً هذه الأمثلة الأخرى: يقول القرآن الكريم: وَ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ «٥» .. ثم توجد نظرية فى النشوء و الارتقاء لوالاس و داروين تفترض أن الحياة بدأت خلية واحدة، و أن هذه الخلية نشأت فى الماء، و أنها تطورت حتى انتهت الى خلق الانسان .. فنحمل نحن على هذا النص

(١) سورة فصلت: ٥٣.

(٢) سورة الفرقان: ٢.

(٣) أنظر مقالا في ذلك في كتاب «العلم يدعو للإيمان».

(٤) سورة الفرقان: ٢.

(٥) سورة المؤمنون: ١٢.

لمحات في علوم القرآن و اتجاهات التفسير، ص: ٢٩٩

لقرآني، و نلهث وراء النظرية لنقول: هذا هو الذي عناه القرآن.

لا .. إن هذه النظرية أولا ليست نهائية. فقد دخل عليها من التعديل في أقل من قرن من الزمان، ما يكاد يغيرها نهائيا. و قد ظهر فيها من النقص المبني على معلومات ناقصة عن وحدات الوراثة التي تحتفظ لكل نوع بخصائصه، و لا تسمح بانتقال نوع إلى نوع آخر ما كاد يبطلها. و هي معرضة للنقض و البطلان .. بينما الحقيقة القرآنية نهائية. و ليس من الضروري أن يكون هذا معناها. فهي تثبت فقط أصل نشأة الانسان و لا تذكر تفصيلات هذه النشأة. و هي نهائية في النقطة التي تستهدفها و هي أصل النشأة الانسانية ... و كفى ... و لا زيادة.

و يقول القرآن الكريم: وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا «١» .. فيثبت حقيقة نهائية عن الشمس، و هي أنها تجرى .. و يقول العلم: إن الشمس تجرى بالنسبة لما حولها من النجوم بسرعة قدرت بنحو ١٢ ميلا في الثانية، و لكنها في دورانها مع المجرة التي هي واحدة من نجومها تجرى جميعا بسرعة ١٧٠ ميلا في الثانية .. و لكن هذه الملاحظات الفلكية ليست هي عين مدلول الآية القرآنية. إن هذه تعطينا حقيقة نسبية غير نهائية، قابلة للتعديل أو البطلان .. أما الآية القرآنية فتعطينا حقيقة نهائية- في أن الشمس تجرى- و كفى .. فلا نعلق هذه بتلك أبدا ..

و حسبنا هذا الاستطراد بهذه المناسبة فقد أردنا به إيضاح المنهج الصحيح في الانتفاع بالكشوف العلمية في توسيع مدلول الآيات القرآنية و تعميقها، دون تعليقها بنظرية خاصة أو بحقيقة علمية خاصة تعليق تطابق و تصديق .. و فرق بين هذا و ذاك).
قال الأستاذ محمود شلتوت:

(... طائفة المثقفين الذين أخذوا بطرف من العلم الحديث، و تلقنوا أو

(١) سورة يس: ٣٨.

لمحات في علوم القرآن و اتجاهات التفسير، ص: ٣٠٠

تلقفوا شيئا من النظريات العلمية و الفلسفية و الصحية و غيرها، أخذوا يستندون إلى ثقافتهم الحديثة و يفسرون القرآن على مقتضاها (... «١»)

ثم قال:

(هذه النظرة للقرآن خاطئة من غير شك، لأن الله لم ينزل القرآن ليكون كتابا يتحدث فيه إلى الناس عن نظريات العلوم، و دقائق الفنون، و أنواع المعارف.

و هي خاطئة من غير شك؛ لأنها تحمل أصحابها و المغرمين بها على تأويل القرآن تأويلا متكلفا يتنافى مع الإعجاز، و لا يسيغه الذوق السليم.

و هي خاطئة؛ لأنها تعرض القرآن للدوران مع مسائل العلوم في كل زمان و مكان (... «٢»).

و كذلك فقد أشار الأستاذ محمد الصادق عرجون إلى فساد هذا المنهج فقال:

(و حاول بعضهم إخضاع آيات القرآن لنظريات زعم أصحابها أنه قد استقام لها الاستدلال، و أصبحت علما مقررا لا يحتمل الشك و الارتياب، مع أنها نظريات لا تزال يعوزها الاستقرار العلمي، و تفتقد البرهان الذي يرفعها إلى مظنونات الحقائق بله اليقين) «٣».

إنّ من الأمور النافعة مما يتصل باتجاه التفسير العلمي أن نقرر حقيقة لا شك فيها هي أن هذا الكتاب الكريم لم يرد فيه ما يتعارض مع ما انتهى إليه البحث العلمي الحديث، و أن الحقائق التي أشار إليها بصراحة تعدّ من قبيل المعجزات التي تدل على أن هذا الكتاب من عند الله.

(١) «تفسير القرآن» ص ١١ ط ٤ سنة ١٩٦٦.

(٢) «تفسير القرآن» ص ١٣ ط ٤ سنة ١٩٦٦.

(٣) «نحو فهم لتفسير القرآن» ص ١٩ ط الدار السعودية للنشر ١٣٩٢ هـ (١٩٧٢ م).

لمحات في علوم القرآن و اتجاهات التفسير، ص: ٣٠١

و تقدم بعض الدراسات العلمية للقرآن الشواهد الكثيرة على ذلك، مع استبعادنا لتكلف التأويل، و لحمل الآيات عن طريق الإشارة على بعض لنظريات العلمية المكتشفة.

و قد توفر على هذا المعنى المفكر الفرنسي موريس بوكاي، فكتب كتابا وازن فيه بين الكتب الثلاثة: التوراة، و الإنجيل، و القرآن. و قد ترجم مرتين في وقت واحد سنة ١٣٩٨ هـ (١٩٧٨ م) إحداهما في بيروت بعنوان «التوراة و الإنجيل و القرآن و العلم» و الأخرى في القاهرة (دار المعارف) بعنوان «دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة» و لم تذكر أسماء المترجمين في الطبعتين. ثم ترجمه الشيخ حسن خالد مفتي لبنان رحمه الله و طبعه المكتب الإسلامي في بيروت ١٤٠٧ بعنوان: التوراة و الإنجيل و القرآن و العلم. و خرج هذا المؤلف بأنّ الكتاب الذي هو من عند الله هو القرآن وحده، لأنه لم يأت فيه ما يعارض حقائق العلم، أما ما بأيدي الناس من كتب يصفونها بأنها مقدسة و يدعونها التوراة و الإنجيل فهي مملوءة بخرافات و أباطيل لا يمكن أن تكون منزلة من عند الله.

إنّ مثل هذه الدراسة تمثل جانبا من جوانب الجدة في هذا القرآن الكريم .. و قد جاء في وصفه أنه لا تنقضى عجائبه. و أحسب أن البشر سيكتشفون جوانب متعددة في هذا الكتاب العظيم كلما تقدّم الزمان.

و الشيء الذي نحذره هو التكلف و التمحل، و تحميل آيات القرآن ما لا تحمل، و أن يتخذ هذا المنهج ذريعة لصرف الناس عن ابتغاء الهدى الكامن في ثناياه، و الانزلاق في بعض المزالق الفكرية المنحرفة التي تنادي بها بعض الفرق الضالة.

لمحات في علوم القرآن و اتجاهات التفسير، ص: ٣٠٢

و إذا أمّنّا هذا المحذور فربما كانت هذه الجوانب من البحث سببا من أسباب إقناع نفر من الناس بالإيمان بهذا الكتاب و رسالته و الدخول في الإسلام، و إن كنت أحسب أن هؤلاء قليل.

إنّ الذي يضمن لنا اقتناع الناس بكتابنا و ديننا هو التزامنا نحن المسلمين بما جاء في هذا الكتاب و تطبيقه في حياتنا، و أن نكون أقوياء أعزاء متحررين من العبودية المادية و المعنوية لأعدائنا. إنّ هذا هو الذي يقنع الناس الراغبين في الخير و الحق.

لمحات في علوم القرآن و اتجاهات التفسير، ص: ٣٠٣

تفسير طنطاوى جوهرى

هناك عدد من العلماء المعاصرين اتجهوا هذا الاتجاه في تفسير القرآن، و قد أشرنا إلى بعضهم في أول هذا البحث و لا شك في أن الشيخ طنطاوى جوهرى أشهرهم، و لعله كان أكثرهم كتابة في هذا الموضوع، و لعله أشدهم تطرفا.

قال الأستاذ حنفى أحمد:

(... الذى أفاض - يريد طنطاوى - فيه و أسهب، و بين كثيرا من العلوم المختلفة التى تشير إليها الآيات، و لم يحاول الجمع بينها، فخفى بذلك كثير من حقيقة و مقدار العلم المنزل فيها، و على كل حال فقد كان - رحمه الله - من المجتهدين) «١».

ولد الأستاذ طنطاوى فى قرية من قرى الشرقية بمصر سنة ١٢٨٧ هـ (١٨٧٠ م) و تعلم فى الأزهر، و درس الانكليزية، ثم عمل فى التدريس بمختلف درجاته، و توفى سنة ١٣٥٨ هـ (١٩٤٠ م) و ترك كتباً عديدة من أشهرها تفسيره، و سنورد بعض ملاحظتنا حول هذا التفسير.

و ليس من شك عندى أنه - رحمه الله - كان يريد الخير و يسعى إليه، و ربما أخطأ طريقه، و أنه كان يريد أن يمكن للإسلام، و أن يسود العالم

(١) «التفسير العلمى للآيات الكونية» ص ٧.

لمحات فى علوم القرآن و اتجاهات التفسير، ص: ٣٠٤

و ينتشر فى الدنيا، و أن يعود المسلمون إلى دينهم لتعود إليهم عزتهم و مكانتهم. و لذلك فلم يكن يتراءى له أمل فى جهة من الجهات إلا- و يسارع إليها و يتعاون معها، و لعل هذا المعنى هو الذى حملته على معاضدة الأستاذ حسن البنا فى حركته الإسلامية الإصلاحية. «١»

و تتضح رغبته فى الخير فى كتاباته كما تشهد بذلك آثاره التى تركها «٢» و تتضح هذه الرغبة أيضا فى كتابه الذى تحدثوا عنه و منهم الأستاذ حسن البنا «٣»، و منهم الدكتور طه حسين «٤» الذى كان من تلامذته فى الجامعة و هو و إن أساء إليه و انتقده فقد صورته صورة الانسان الساذج المحب للخير الراغب فيه.

أما ملاحظتنا على تفسيره فهى:

١- عنوان تفسيره: «الجواهر فى تفسير القرآن الكريم» و يقع فى ٢٦ جزءا.

٢- غرضه من تفسيره اصلاحى على أساس العلم و الأخذ بمنجزاته و السير فى طريقه، فهو- كما يقول- يرجو أن ينسج على منوال هذا التفسير المسلمون، و أن يفوقوا الفرنجة فى الزراعة و الطب و الحساب و الهندسة و الفلك و غيرها من العلوم و الصناعات. و كان بإمكانه أن يصل إلى ذلك عن طريق تأليف كتاب يحمل هذه الدعوة، أما أن يعمد إلى القرآن يحمله ذلك فهذا فيه نظر.

٣- يدعو بأسلوب خطابى إلى أن يتعلم المسلمون العلوم الكونية، و يستدل لذلك بأن الآيات المتصلة بالفقه لا تزيد على (١٥٠) آية. يقول:

(١) انظر «مذكرات الدعوة و الداعية» تأليف حسن البنا ص ١٤٨.

(٢) انظر كتبه فى «الأعلام» و «معجم المطبوعات» لسركيس.

(٣) انظر مواضع عدة من كتاب «مذكرات الدعوة و الداعية».

(٤) «مذكرات طه حسين».

لمحات فى علوم القرآن و اتجاهات التفسير، ص: ٣٠٥

(لما ذا كثر التأليف فى الفقه، و قلّ جدا فى علوم الكائنات التى لا تخلو منها سورة... فهل يجوز فى عقل أو شرع أن يبرع المسلمون فى علم آياته قليلة. و يجهلوا علما آياته كثيرة جدا؟ إن آباءنا برعوا فى الفقه فلنبرع نحن الآن فى علم الكائنات) «١».

و يقول فى موضع آخر:

(يا أمة الإسلام آيات معدودات فى الفرائض اجتذبت فرعا من علم الرياضيات. فما بالكم بسبعمائة آية فيها عجائب الدنيا كلها... لما ذا لا- نفعل فى آيات العلوم الكونية ما فعله آباؤنا فى آيات الميراث؟ .. إنك تقرأ فى هذا «التفسير» خلاصات من العلوم، و دراستها أفضل من دراسة علم الفرائض، لأنه فرض كفاية، فأما هذه فانها للزيادة فى معرفة الله، و هى فرض عين على كل قادر.. إن هذه

العلوم التي أدخلناها في تفسير القرآن هي التي أغفلها الجاهلون المغرورون من صغار الفقهاء في الإسلام» (٢).
 ٤- كتابه يختلف عن الكتب الأخرى التي خاضت في موضوع التفسير العلمي، فتلك عالجت الموضوع من خلال بحث في آية أو آيات، أو عرضت للموضوع عامة. أما الأستاذ طنطاوي فقد فسر القرآن من أوله إلى آخره، يوجز في الأمور الشرعية و يتوسع في الأمور العلمية. إنه يفسر الآيات تفسيراً لفظياً مختصراً .. ثم يدخل في بحوث علمية (لطائف) أو (جواهر)، و هذه البحوث تتضمن أقوال عدد كبير من علماء الشرق و الغرب في العصر الحديث، و قد جاء بها المؤلف ليبين أن القرآن قد سبق إلى هذه البحوث، و نبه على تلك العلوم، قبل أن يصل إليها هؤلاء العلماء بقرون متطاولة. و نراه يضع في تفسيره كثيراً من صور النباتات و الحيوانات

(١) «تفسير الجواهر» لطنطاوي جوهرى. ج ٢٥ / ٥٣.

(٢) «تفسير الجواهر» لطنطاوي جوهرى ج ٣ / ١٩ و اننا لنأسف لهذه اللهجة التي لا تتفق و أخلاق العلماء الذين يعرفون لأسلافهم قدرهم و فضلهم. و كلامه لا يخلو من مغالطة و سطحية واضحتين.

لمحات في علوم القرآن و اتجاهات التفسير، ص: ٣٠٤

و مناظر الطبيعة و تجارب العلوم. و الأمر الذى نستغربه أشد الاستغراب ان الرجل يتحدث في غير اختصاصه و لذلك فقد وقع في أخطاء علمية كبيرة و مضحكة.

٥- يستشهد بنصوص لأناس متقدمين، مثل اخوان الصفا في رسائلهم «١»، و أفلاطون في جمهوريته، و قد يستشهد بما جاء في الأنجيل و لا سيما إنجيل برنابا «٢».

٦- يستخرج كثيراً من الأمور و العلوم بواسطة حساب الجمل «٣» و هذا أمر غريب، فكيف يستقيم للفكر العلمى أن يتوصل إلى بعض العلوم عن طريق جمع قيم الحروف.

٧- يستنتج من الآيات استنتاجات غريبة جداً و لأضرب على ذلك مثالا واحدا:

يقول في تفسير قوله تعالى الم: [الأسرار الكيميائية في الحروف الهجائية للأمم الاسلامية فى أوائل السور القرآنية] يقول فى هذا البحث:

(أنظر رعاك الله .. تأمل .. يقول الله: ا. ل. م. طس. حم و هكذا يقول لنا: أيها الناس إن الحروف الهجائية إليها تحلل الكلمات اللغوية، فما

(١) و إخوان الصفا هؤلاء قوم من أئمة القرامطة- كما قرر ذلك ابن تيمية فى «درء تعارض العقل و النقل» ١٠ / ٥ و فى فتواه عن النصيرية ص ١٩ طبع دار الإفتاء فى الرياض- و رسائلهم احدى و خمسون رسالة، و فيها أساطير و فساد، و إسفاف و إحداد، و يثنى عليها مستشرقون و نصارى و مستعربون.

(٢) انظر ما كتبه حول هذا الانجيل محمد أبو زهرة فى كتابه القيم «محاضرات فى النصيرية» ص ٥٦-٦٧ و قد طبع هذا الانجيل السيد رشيد رضا.

(٣) حساب الجمل هو أن تأخذ مجموع قيم الحروف فيكون مجموعها مثلاً موافقاً لتاريخ معين.

و كثيراً ما يستعمل هذا الحساب فى ذكر ولادة بعض الناس أو وفاتهم. و طريقة حسابه كما يلى: يعطى الحرف الأول من الحروف الأبجدية على ترتيب (أبجد، هوز، حطى) قيمة ١ و الثانى قيمة ٢ .. و هكذا حتى العشرة ثم تعطى الحروف الآتية قيم ٢٠، ٣٠، ٤٠ حتى المائة و تعطى الحروف الآتية قيم ٢٠٠، ٣٠٠ و هكذا.

لمحات فى علوم القرآن و اتجاهات التفسير، ص: ٣٠٧

من لغة في الأرض إلا و أرجعها أهلها إلى حروفها الأصلية .. و لا سبيل لتعليم لغة و فهمها إلا بتحليلها، و هذا هو القانون المسنون في سائر العلوم و الفنون. و لا جرم ان العلوم قسمان: لغوية و غير لغوية، فالعلوم اللغوية مقدمة في التعليم، لأنها وسيلة إلى معرفة الحقائق العلمية من رياضية و طبيعية و إلهية، فإذا كانت العلوم التي هي آله لغيرها، لا تعرف حقائقها إلا بتحليلها إلى أصولها، فكيف إذن تكون العلوم المقصودة لتنتاجها المادية و المعنوية؟ فهي أولى بالتحليل، و أجدر بإرجاعها إلى أصولها الأولية. لا يعرف الحساب إلا بمعرفة بسائط الأعداد، و لا الهندسة إلا بعد علم البسائط و المقدمات، و لا علوم الكيمياء إلا بمعرفة العناصر، و تحليل المركبات إليها، فرجع الأمر إلى تحليل العلوم) «١».

٨- كان الرجل معجبا جدا بتفسيره، و لذلك فأنت ترى له تعقيبات على كلامه الذي يفسر به الآيات، و هذه التعقيبات مفعمة بالثناء على نفسه يقول:

(بمثل هذا تفسر هذه الآيات .. بمثل هذا فليفهم المسلمون كتاب الله).

٩- خدع المؤلف بباطل صانعي الروحية الحديثة التي تدعى قدرتها على تحضير الأرواح. يقول الدكتور محمد حسين: (فأوسع تفسيره نقلا عن مزاعمهم و دعاواهم مما أدخل الضعف و الفساد على كتابه ذاك في كثير من المواضع) «٢».

(١) «الجواهر» ٢/ ١٠-١١.

(٢) «حصوننا مهددة من داخلها» ص ٣٠٩ ط ٢ نشر مكتبة المنار بالكويت سنة ١٣٨٨ هـ (١٩٦٨ م).

لمحات في علوم القرآن و اتجاهات التفسير، ص: ٣٠٨

الفصل الخامس المنحى الإصلاحي الاجتماعي في التفسير

إشارة

كان العالم الاسلامي في القرون المتأخرة ينطوي على كثير من عوامل الضعف و التخلف، و كان الجهل بأحكام الاسلام و مفاهيمه من جهة، و استحكام العادات المحلية من جهة أخرى، من أبرز ما يميز الوضع الاجتماعي و الفكري لهذا العالم. و قد كان هذا الواقع سببا لقيام حركات اصلاحية عديدة، نجح بعضها نجاحا ترك أثرا كبيرا في حياة المسلمين مثل حركة الشيخ محمد بن عبد الوهاب التي استطاعت أن تسيطر على جزيرة العرب، و على بعض أطراف البلاد العربية الأخرى، و التي تركت أعماق الآثار الفكرية في أذهان الناشئة المسلمة، من أقصى العالم إلى أقصاه، و يبدو أن هناك حركات أخرى قامت في العالم الاسلامي، و لم تلق من النجاح ما لقيته الحركة الوهابية.

و من مشكلات العالم الاسلامي التي كانت تستدعي الحل موقفه من الحضارة الأوروبية الغازية، فلقد وقف بعض المسلمين من هذه الحضارة موقف المعجب المأخوذ بها، يسلم لها بكل شيء، و يستسلم لإرادتها، يرى ما ترى، و ينكر ما تنكر، و قد أقبل أصحاب هذا الموقف على الثقافة الأوروبية، و تزودوا من علومها الشيء الكثير و حملوا في الوقت نفسه مخازيها و مساوئها، بينما وقف أكثر المسلمين من الحضارة الأوروبية موقفا سلبيا، و دعاوا إلى تركها، و لم يقبلوا على العلوم الحديثة لصدورها عن أوروبا.

لمحات في علوم القرآن و اتجاهات التفسير، ص: ٣٠٩

و نستطيع ان نلخص واقع العالم الاسلامي في القرون الأخيرة: الثاني عشر و الثالث عشر و الرابع عشر بما يأتي:

١- كانت العادات و التقاليد القومية و المحلية لها قدسية في نفوس الجماهير.

٢- كما كانت البدع و الخرافات و بعض الطقوس الدخيلة تلبس ثوب الدين، و تخفى وراءه حقيقتها، و تحجب بمساوئها عظمة

الاسلام و عدالته و رفعتة.

٣- و كان للعامه و الغوغاء سلطان كبير، فلا يجرؤ أكثر العلماء على مخالفتهم.

٤- كان أكثر علماء المسلمين يقفون من حضارة الغرب موقفا سلبيا، لا يقتربون منها و لا يأخذون من علومها شيئا.

٥- تقاسمت دول أوروبا العالم الاسلامي استعمارا و نفوذا. و كان في جملة ما أعدت هذه الحضارة الغازية مخططات و محاولات لتبعد المسلمين عن دينهم ... و من هذه المحاولات ما أعدته الدول المستعمرة لكثير من بلاد المسلمين من مناهج التعليم، و ما قدمته من أفكار و نظريات، كالشيوعية و القومية، و كنهية داروين و نظرية فرويد، و كالدعوة إلى الإلحاد «١» و كتشجيع الحركات الضالة المتسترة برداء من الدين مثل القاديانية «٢» و البهائية و البابية «٣». و قد استغلت هذه الحركات المشبوهة المساوي القائمة في بلاد المسلمين و انطلقت صيحاتها تنادي بضرورة الإصلاح.

(١) أنظر فصلا موجزا كتبه سيد كيلاني عن الإلحاد في «ذيل الملل و النحل» ص ٩١ و هو ملحق لكتاب «الملل و النحل» للشهرستاني.
(٢) أنظر «القاديانية» لمحمد الخضر حسين و «ما هي القاديانية» للمودودي و «القادياني و القاديانية» للندوي و «سب القاديانيين للاسلام» لتقى الدين الهلالي و «القاديانية تاريخها و غاياتها» لمظاهري و نوار و ما كتبه محمد البهي في «الفكر الاسلامي وصلته بالاستعمار» ص ٢٧ و ما جاء في «ذيل الملل و النحل» ص ٥٦.

(٣) أنظر «القاديانية و البهائية» لمحمد الخضر حسين و «حقيقة البابية و البهائية» لمحسن عبد

لمحات في علوم القرآن و اتجاهات التفسير، ص: ٣١٠

و كذلك فإن المستشرقين لعبوا دورا خطيرا في تسميم أفكار الناشئة، و دس السم في الدسم.

هذا بينما كانت هذه الحضارة تنمو صعدا في مجال الدراسات المعتمدة على التجربة، و تقدم للناس من ثمرات ذلك مخترعات هائلة، في وسائل الترفيه و التدمير على حد سواء، فالمدافع و المطابع، و الطائرات الحربية و الأدوات المنزلية، و ما إلى ذلك، كانت تدخل بلاد المسلمين تاركة في نفوسهم إعجابا بمن اخترعوها، و هم في يوم عميق و تخلف مذهل، و ضعف متناه.

و ما زال العالم الاسلامي يتطلع الى اتجاه سليم يروم الإصلاح، حتى كان جمال الدين الافغاني الذي قام بحركة فكرية هامة، تصدع بصوت عامر بالايمان، معتز بالقرآن، يدعو الى معالجة الفساد الاجتماعي، و التأخر الفكري و الحضاري، و ذلك بالرجوع الى الاسلام الحق، و تحكيم نصوصه الثابتة من الكتاب و السنة. فكان من ذلك الاتجاه إلى إصلاح المجتمع من خلال تفسير آيات القرآن. و قام عدد من العلماء بحمل هذه المهمة مهمة التفسير الاصلاحى الاجتماعى سنذكر منهم الأفغاني و محمد عبده و السيد محمد رشيد رضا رحمهم الله جميعا.

جمال الدين الأفغاني

إشارة

١٢٥٤-١٣١٥ هـ ١٨٣٩-١٨٩٧ م ولد جمال في اسدآباد في افغانستان سنة ١٢٥٤ هـ ١٨٣٩ م و اسمه محمد بن صفدر، أما جمال الدين فلقبه «١». و قد طوّف في أنحاء العالم

الحميد و «دراسات عن البابية و البهائية» لكرد على و محب الدين الخطيب و على منصور و محمد فاضل.

(١) و ذلك على عادة علماء القرون الماضية حيث يتخذ كل منهم لقباً الى جانب اسمه، و من المتعارف عليه أن يكون اللقب مركباً اضافياً، الجزء الثاني فيه كلمة (الدين)، فابن تيمية اسمه أحمد و لقبه تقى الدين، و السلطان صلاح الدين الايوبي اسمه يوسف. لمحات في علوم القرآن و اتجاهات التفسير، ص: ٣١١

الاسلامى، يدعو الى اليقظة و الى إصلاح الواقع المؤلم الذى كان فيه المسلمون. و قد كان يطارد من قبل السلطات الاستعمارية، و يهاجم من قبل كثير من الجامدين، و استطاع ان يصل الى مناصب عالية، فى افغانستان و ايران و الدولة العلية. كان ينشر فى جريدة مصر بتوقيع مظهر بن وضاح، أو بتوقيع السيد الحسينى، أو بتوقيع السيد. و أعظم مراحل حياته أثرا المرحلة التى قضاها فى مصر، فقد قصد اليها سنة ١٢٨٨ هـ و تتلمذ عليه فيها عدد من الرجال، من أشهرهم الشيخ محمد عبده، الذى أفاد منه الشىء الكثير، و نفته الحكومة المصرية سنة ١٢٩٦، فواصل جهاده خارج مصر، و التقى مع الشيخ محمد عبده فى باريس، حيث أصدر جريدة العروة الوثقى. كان يعرف العربية و الفارسية و الانجليزية و الروسية. و هناك ما أخذ على الرجل تنتقد عليه، و سنشير إليها فيما بعد.

جمال الدين و التفسير الاصلاحى:

إن وجوه شبه قامت بين جمال الدين و بين المصلحين الذين تقدموه، و ذلك فى أساس الدعوة التى يبنى الرجل حركته عليها، و هو الرجوع الى الدين.

غير ان الاختلاف بينه و بين اولئك المصلحين هو أن الرجل لم يكن واقفا فقط على تخلف المسلمين، و انما كان فوق هذا كله مطالعا على حياة الغرب، و واقع أوروبا المتقدم بالنسبة الى واقع المسلمين، و يبدو أن الفرق بين المستويين كان مذهلا: رأى عند القوم واقعا إيجابيا خاليا من كثير من عيوب المسلمين، رأى تحررا من الخرافات الباطلة، التى سيطرت على كثير منهم، و تكاد تكون معرفته فى دقتها بالغه الأوج، فهو قد زار بلاد

لمحات فى علوم القرآن و اتجاهات التفسير، ص: ٣١٢

المسلمين (الهند- الحجاز- ايران- العراق- تركيا ...) و زار أيضا مدن أوروبا (لندن- باريس- ميونيخ- بطرس برغ ...).

لقد كان واقع بلاد الغرب ذا أثر كبير فى نفس جمال الدين من ناحيتين:

١- الناحية الأولى: تتصل بالتقدم الحضارى و المادى الذى أحرزته أوروبا، و هو يرى أن الأسس التى اعتمدها حتى اوصلتها الى هذه النتيجة أسس ينادى بها الاسلام و يرتضيها.

٢- و الناحية الثانية: تتصل باستعمار أوروبا لبلاد المسلمين، فلقد كان ذلك عاملا دفعه الى الدعوة الى النهوض و التحرر من التبعية، و كان يأتى بأمثلة تلهب شعور الناس.

و قد تعرض الأفغانى فى مجلة العروة الوثقى الى تفسير آيات من القرآن اختارها، فقد كتب سبع عشرة مقالة (من خمس و عشرين) فى تفسير سبع عشرة آية من القرآن.

مثل: وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ﴿١﴾.

وَاطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا ﴿٢﴾.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا ﴿٣﴾.

يقول جمال الدين:

ان القرآن حي لا يموت، و من أصابه نصيب من حمده فهو محمود، و من

(١) سورة آل عمران: ١٠٣.

(٢) سورة الانفال: ٤٦.

(٣) سورة آل عمران: ١١٨.

لمحات في علوم القرآن و اتجاهات التفسير، ص: ٣١٣

أصيب من مقتته فهو ممقوت، كتاب الله لم ينسخ، فارجعوا اليه، و حكموه في أموالكم و طباعكم، و ما الله بغافل عما تعملون. إن حركتنا الدينية بالدعوة الى القرآن كناية عن الاهتمام بقلع ما رسخ في عقول العوام و معظم الخواص من فهم بعض العقائد الدينية و النصوص الشرعية على غير وجهها، مثل حملهم نصوص القضاء و القدر على معنى يوجب عليهم ان لا يتحركوا الى طلب مجد أو تخلص من ذل.

... القرآن وحده هو سبب الهداية، و العمدة في الدعاية، و ما تراكم عليه و تجمع حوله من آراء الرجال و استنباطاتهم و نظرياتهم، فينبغي أن لا يعول عليه كوحى، و إنما نستأنس به كراى ... و لا نحمله على أكفنا مع القرآن في الدعوة اليه، و ارشاد الامم الى تعاليمه ... و تفسيره و إضاعة الوقت في عرضه «١».

يقول الدكتور البهي:

(في سبيل مواجهة هذا الاستعمار طالب جمال الدين بمقاومته، و لأجل هذه المقاومة عمل على إيقاظ روح التضامن الاسلامى عن طريق: طلب التمسك بالقرآن، و الغاء العصبية المذهبية، و طرح التقليد، و أعمال الاجتهاد فى فهم القرآن، و الملاءمة بين مبادئه و ظروف الحياة التى يعيش فيها المسلمون، و طرح الخرافات و البدع التى غيرت من جوهر الاسلام، و التى جعلته وسيلة سلبية فى الحياة بدلا من كونه حقيقة واضحة، و قوة ايجابية فى السيطرة على الحياة و توجيهها) «٢».

(١) «الفكر الاسلامى الحديث» ص ٨٣ / ٨٤.

(٢) «الفكر الاسلامى الحديث» ص ٨٨.

لمحات في علوم القرآن و اتجاهات التفسير، ص: ٣١٤

الشيخ محمد عبده

إشارة

١٢٦٦-١٣٢٣ هـ ١٨٤٩-١٩٠٥ م كانت أعظم ثمرة تركها الافغانى شخصية محمد عبده، الذى اتجه الى المنحى الاصلاحى فى تفسير القرآن، و محمد عبده قمة من قمم رجالاتنا فى العصر الحاضر، كان له أكبر التأثير فى مجال السياسية و الدين و المجتمع و الفكر. ولد محمد عبده فى شنرا، و هى قرية من قرى مديرية الغربية، من القطر المصرى، سنة ١٢٦٦ هـ و اسمه الكامل محمد عبده بن حسن خير الله، و تلقى علومه فى الجامع الاحمدى، و فى الازهر، ثم اتاحت له فرصة لقاء الشيخ الافغانى، فتأثر به أكبر التأثير كما أسلفنا، و قد عمل مدرسا فى الازهر و دار العلوم و مدرسة اللسن، و اشتغل فى الصحافة، حيث كان يذيع آراءه الاصلاحية، و نفى من مصر بعد اخفاق الثورة العربية سنة ١٢٩٩ هـ، فأقام فى بيروت، ثم ذهب الى باريس، ليصدر مع شيخه الافغانى جريدة «العروة الوثقى» التى عطلت

بأمر من الحكومة الفرنسية، بعد أن صدر منها (١٨) عددا. و لما عاد الى مصر سنة ١٣٠٦ هـ تولى منصب القضاء، ثم جعل مستشارا في محكمة الاستئناف، ثم شغل منصب مفتي الديار المصرية سنة ١٣١٧ هـ، و بقي فيه الى آخر حياته، و توفي بالسرطان سنة ١٣٢٣ هـ / ١٩٠٥ م.

كان الشيخ محمد عبده رحمه الله يستلهم هدى القرآن، لارشاد المسلمين، و اصلاحهم في جوانب حياتهم كلها، و كان من ذلك ما عرف بالتفسير الاصلاحى الاجتماعى.

و يتبين لنا من دراسة حياة محمد عبده، انه كان ملما بالأوضاع الاجتماعية العامة، و الاتجاهات الفكرية المختلفة، و مشاركا في العلوم الأساسية، التي

لمحات في علوم القرآن و اتجاهات التفسير، ص: ٣١٥

تقوم عليها الحضارة الحديثية، و مدركا لحقيقة خصوم الاسلام و مخططاتهم.

و هكذا فقد كان محمد عبده أقدر رجال عصره على تصوير الداء، و التفتيش عن الدواء الناجع في آيات القرآن و أحكامه.

و استطاع ان يترك مدرسة في التفسير ذات مكانة و تأثير، كان من أهم رجالها السيد رشيد رضا، و الشيخ محمد مصطفى المراغى، و الشيخ أحمد مصطفى المراغى.

كان الشيخ محمد عبده من الناحية الفكرية يدعو الى أمرين:

١- تحرير الفكر من قيد التقليد و كان يدعو الى استئناف الاجتهاد و فهم الدين على طريقة سلف الأمة و الرجوع الى ينبع الأولى.

٢- اصلاح اللغة العربية.

و كان من الناحية السياسية يركز جهوده في أمرين:

١- كان يدعو الأمة الى معرفة حقها على حاكمها و أن عليها النصح للحاكم.

٢- و كان يدعو الأمة الى مقاومة الاستعمار و معارضة النفوذ الأجنبي في العالم الاسلامى.

و قد انصرف الرجل الى الجانب العلمى و الدينى و الفكرى، و ان لذلك دوره فى أية محاولة من محاولات الاصلاح لأن الفكر الذى يمد الحركة هو بمثابة الروح.

و قد تأثر محمد عبده باللون الثقافى الذى تلقاه فى الازهر.

و باللون الروحى الذى تلقاه عن الشيخ درويش خضر الذى كان متصلا بالحركة السنوسية. و باللون السياسى الذى تلقاه عن جمال

الدين الأفغانى و كانت دعوته الاصلاحية نامية متعددة الجوانب:

لمحات في علوم القرآن و اتجاهات التفسير، ص: ٣١٦

دعا الى اصلاح التعليم و الأزهر. و الى نبذ الفرقة و إلى الاجتماع و ترك التعصب المذهبى و ترك البدع و بناء الحياة على أساس

الاسلام. و دعا الى قيام الأمة بالنصح للحاكم و الى أن تعمل على التحرر من سلطان الاستعمار الغربى.

دعا الى أن يحيى الحاكم الشورى و الى الأخذ بوسائل القوة التى تتبناها الدول الحديثة و تقوية الروح الجماعية.

يقول الشيخ محمد عبده:

ألم يأن لنا أن نرجع الى المعروف مما كان عليه سلفنا فنحيا بما كان قد أحياهم، و نترك ما ابتدعه اخلافهم مما اماتهم و اماتنا معهم «١».

و يقول أيضا:

فالقرآن سر نجاح المسلمين و لا حيلة فى تلافى امرهم إلا إرجاعهم إليه، و ما لم تفرغ صيخته اعماق قلوبهم، و تزلزل هزته رواسى

طباعهم، فالأمل مقطوع من هبوبهم من نومهم. و لا بد أن يؤخذ القرآن من أقرب وجوهه على ما ترشد اليه أساليب اللغة العربية

ليستجاب لدعوته كما استجاب لها رعاة الغنم و ساقاة الابل ممن نزل القرآن بلغتهم، و القرآن قريب لطالبه متى كان عارفا باللغة العربية و مذاهب العرب في الكلام و تاريخهم و عوائدهم أيام الوحي «٢».

آثاره في التفسير:

١- تفسير جزء عم.

(١) «تاريخ الامام» ٢ / ٤١١ نقلا عن كتاب «الفكر الاسلامي وصلته بالاستعمار» للدكتور البهي ص ١٤٦.

(٢) «تاريخ الامام» ٢ / ٥١٥ نقلا عن كتاب «الفكر الاسلامي وصلته بالاستعمار» للدكتور البهي ص ١٤٦ - ١٤٧.

لمحات في علوم القرآن و اتجاهات التفسير، ص: ٣١٧

٢- تفسير سورة العصر: القاه على علماء مدينة الجزائر و وجهائها سنة ١٣٢١ هـ.

٣- بحوث تفسيرية كان ينشرها هنا و هناك.

٤- تفسير المنار: من أوله الى الآية ١٢٦ من سورة النساء، و هذا الاخير مصوغ باسلوب السيد رشيد رضا، الذي كان يحضر الدروس، ثم يكتبها بلغته و يدفعها الى المطبعة و يطلع عليها الاستاذ الامام بعد جمع الحروف و قبل الطبع «١».

طريقته في التفسير:

١- كان يلح في تفسيره على ان القرآن الكريم كتاب هداية، يرشد الناس الى ما فيه سعادتهم، و انتظام أمورهم في الدنيا، و الى ما فيه فوزهم و نجاتهم في الآخرة، فعلى الذين يريدون ان يفسروا القرآن أن يولوا هذا الجانب العناية الكبرى، لأنه هو المهم، و كل ما عداه من مثل علوم الآلة «٢» و سواها فينبغي ان يكون تابعا له و وسيلة.

و من أجل ذلك فقد كان يشن حملة عنيفة على أولئك المفسرين، الذين يغرقون في بحوث نحوية و بلاغية و فقهية و منطوية، و لا يلتفتون الى المقصد الأهم في القرآن.

و كان يرى أن يقتصر في تلك البحوث على المهم فقط.

٢- كان يقرر ان المنهج السليم في التفسير أن نجح القرآن مصدرا لعقائدنا و مذاهبنا لا- ان تكون عقائدنا و مذاهبنا متحكمة في القرآن، و تفصيل هذه الخاصة يتضح من النظر في كتب التفسير التي ألفتها الفرق

(١) مقدمة «تفسير المنار» ١ / ١٥.

(٢) علوم الآلة تطلق على عدد من العلوم المساعدة في تقويم اللسان و تنظيم الفكر كالنحو و الصرف و البلاغة و المنطق و ما الى ذلك.

لمحات في علوم القرآن و اتجاهات التفسير، ص: ٣١٨

المتعددة ففي هذه الكتب نجد كل فرقة تجر آيات القرآن الى ما يؤيد عقائدها و مذاهبها.

٣- و كان يصدر في تفسيره عن تحرر من المذاهب، و يهاجم التقليد، و يدعو الى تحطيم فكرة اغلاق باب الاجتهاد، و يكثر من الكلام حول هاتين النقطتين.

٤- كان يتوسع فيما أغفله المفسرون، أو قصروا فيه، و يختصر فيما توسعوا فيه من مباحث النحو و الاعراب و البلاغة. أما موقفه من كتب التفسير المتقدمة، فمما لا شك فيه ان الرجل قد درس هذه الكتب و وعى معظمها، و انتفع بها انتفاعا كبيرا، و لكنه قبل القاء درسه لم يكن يقرأ في شيء منها، حتى لا يتأثر، و ان كان تلميذه السيد رشيد رضا يقول: انه كان يتوكأ على عبارة الجلالين «١».

٥- كان يقف من الاسرائيليات موقف الناقد لا يرتضى أن يأخذها و يوردها في التفسير.

٦- و كذلك فإن الاحاديث الضعيفة و الموضوعه، فلما كانت ترد في تفسيره، على أن الرجل لم يكن في علم الحديث بدرجة تلميذه السيد رشيد رضا «٢».

٧- و كان للحريه العقلية شأن كبير عنده، حتى أنه لبيح لنفسه ان يرد قولاً اجتمع عليه جمهور العلماء. و يبدو انه كان يسرف في تقدير العقل، و يعطيه من القيمة فوق ما يستحق، و يحمله أكثر مما يطيق.

٨- لم يخض في تفسيره في تعيين ما أبهمه القرآن، و كان يسلم بالأمور

(١) «تفسير المنار» ١ / ١٥.

(٢) أنظر «السنة و مكائنها في التشريع» ط ٢ ص ٣٠.

لمحات في علوم القرآن و اتجاهات التفسير، ص: ٣١٩

الغيبه، و لا يتحدث عنها الا بمقدار ما توحى به النصوص الشرعية الصحيحة.

هذا أصل من أصوله يدركها دارس آثاره في التفسير، على انه كان يخالف هذا الأصل في حالات نادرة، تحت تأثير الناحية العقلية عليه «١».

و لم يكن يرضى التفسير الاشاري الذي تعتمده الباطنية و الصوفية، و الذي اعتمدت عليه مدرسه التفسير العلمي كما رأيت.

٩- نهج في تفسيره منهجا أدبيا اجتماعيا، فكان يكشف عن بلاغة القرآن بأسلوب مشرق جذاب، و يعالج مشاكل المسلمين بما يرشد إليه القرآن، و يتعرض الى سنن الله الكونية فيبينها، و يبين أن القرآن متمش مع هذه السنن لا يصادمها، لانها من مستلزمات الفطرة.

١٠- في تفسيره استجلاء لحكم التشريع العديدة، التي كانت مقصوده من الاحكام الواردة في آيات القرآن، كما كان في تفسيره ردود على الملحدين من الاوروبيين، و ردود على الجامدين من المتدينين.

كلمة في الضجة حول محمد عبده و جمال الدين:

أما هذه الضجة القائمة الآن حول اتهامات توجه للسيد جمال الدين و تلميذه الامام الشيخ محمد عبده فان رأينا فيها كما يلي:

١- ليس هناك أحد معصوم، فلا ننفي عنهما الاغلاط، بل ان لديهما عددا من الآراء و الاجتهادات لا نقرهما عليها، و ما أكثر الهفوات التي يقع فيها الزعماء و العلماء في كل عصر.

٢- كثير من النقاد الذين يثيرون هذه الضجة يغفلون الزمن و الظروف

(١) أنظر ردّ محمد الصادق عرجون على الشيخ محمد عبده في صدد تفسيره لسورة الفيل ص ٣٢-٣٦ من كتابه «نحو منهج لتفسير

القرآن» و رده عليه في تفسيره للملائكة و الشياطين ص ٣٧-٣٩.

لمحات في علوم القرآن و اتجاهات التفسير، ص: ٣٢٠

الاجتماعية و السياسية التي كانت تحيط بالمسلمين، فالحضارة الاوروبية التي بهرتهم لم تكن بعد قد ظهرت على حقيقتها، و لم يسبق

أن احتك المسلمون بها كما حصل فيما بعد، و لم تكن الحضارة الاوروبية قد انقسمت على نفسها هذا الانقسام الذي نشهده الآن، و الذي نرى من خلاله المعايب و النقائص التي تنطوى عليها حضارة اوروبا. كل معسكر يكشف عن عوار المعسكر المقابل.

٣- يبالغ بعض هؤلاء النقاد في ذكر هذه العيوب، و يعتمدون على حجج واهية، و قد يذهبون في تحميل بعض الالفاظ ما لا يحتمل.

٤- يغفلون النواحي الخيرة الطيبة في الرجلين «١» و يبدون معاييبهما، و يقبلون محاسنهما الى مساوي و هذا ظلم مبین.

السيد محمد رشيد رضا

اشارة

١٢٨٢-١٣٥٤ هـ ١٨٦٥-١٩٣٥ م لا بد من أن نخص السيد محمد رشيد رضا بكلمة، لأن «تفسير المنار» ينسب إليه أكثر مما ينسب للشيخ محمد عبده، و لأنه من أبلغ تلامذة الشيخ محمد عبده، و من أوسعهم نشرًا لعلمه و آرائه. ولد السيد محمد رشيد بن علي رضا في القلمون، و هي قرية بجانب طرابلس الشام سنة ١٢٨٢ هـ / ١٨٦٥ م.

و تلقى علومه الأولية في بلاد الشام، ثم رحل الى مصر سنة ١٣١٥ هـ، و اتصل بالشيخ محمد عبده، و أصدر مجلة المنار التي كتب فيها تفسير المنار، و توفي فجأة في مصر سنة ١٣٥٤ هـ / ١٩٣٥ م.

(١) انظر ما ذكره الندوى عن النواحي الطيبة فيهما، و ذلك في كتابه «موقف العالم الاسلامي تجاه الحضارة الغربية» ص ٧٢ الى ٧٥ و السباعي في «السنة و مكانتها» ص ٣٠ و محمد بهجة الأثرى في «الاتجاهات الحديثة في الاسلام» من ٢٧ إلى ٣٦.

لمحات في علوم القرآن و اتجاهات التفسير، ص: ٣٢١

مقدار تفسير السيد محمد رشيد رضا:

إنّ مقدار ما تركه السيد محمد رشيد رضا من التفسير كبير، و إن كان لم يتم تفسير القرآن كله، فقد فسر من أول القرآن إلى ما يقرب من آخر سورة يوسف، اي أكثر من ثلاثة عشر جزءا من القرآن، و قد استغرق هذا القدر (١٢) مجلدا كبيرا، و ينتهي الجزء الثاني عشر عند الآية (٥٣) من سورة يوسف.

و لم يبق من سورة يوسف إلا- (١٠) آيات فقط، قام باكمال تفسيرها بعد وفاته استاذنا الشيخ محمد بهجة البيطار، و طبع تفسير سورة يوسف مستقلا في جزء يحمل اسم السيد محمد رشيد رضا.

و فسر أيضا من السور القصيرة السور الآتية: الكوثر، و الكافرون، و الاخلاص، و المعوذتين. و من المتوقع أنه لو كان قد تفرغ لتفسير القرآن لأتمه، و لكنه كان يربط التفسير بالمجلة.

ملاحظات حول «تفسير المنار»:

١- القسم الأول من تفسيره ليس له فيه إلا الصياغة، أما الافكار و المعاني فللاستاذ الامام. و قد استقل الشيخ رشيد بكتابة التفسير منذ الآية ١٢٦ من سورة النساء حتى أواخر سورة يوسف حيث توفاه الله.

٢- كان يعنى بتفسير القرآن بالقرآن، ان وجد، و تفسير القرآن بالسنة، و اطلاع السيد رشيد على السنة اطلاع جيد يفوق اطلاع شيخه كثيرا.

قال أستاذنا السباعي: [.. و لكنه منذ استلم لواء الاصلاح بعد وفاة الامام محمد عبده و أخذ يخوض غمار الميادين الفقهية و الحديثية و غيرها

لمحات في علوم القرآن و اتجاهات التفسير، ص: ٣٢٢

و أصبح مرجع المسلمين في أنحاء العالم في كل ما يعرض لهم من مشكلات كثرت بضاعته من الحديث، و خبرته بعلومه حتى غدا آخر الأمر حامل لواء السنة و ابرز اعلامها بمصر خاصة [١].

ثم بعد ذلك يستعمل عقله الذي كان متحررا تحررا تاما من كل ما قاله المفسرون. و قد حدث الاستاذ عبد الرحمن عاصم و هو ابن أخى السيد رشيد رضا أنه لم يكن يقرأ فى التفاسير إلا بعد ان ينتهى من كتابه ما فهمه من الآية.

٣- و هدفه من التفسير هو ان يعرض ما جاء فى كتاب الله، مما فيه إرشاد للناس إلى ما فيه سعادتهم فى حياتهم الدنيوية و الآخروية.

٤- يتبع فى تفسيره المنهج الذى تحدثنا عنه فى تفسير الشيخ محمد عبده استاذه، و لكنه بعد وفاة شيخه و استقلاله بالعمل خالف هذا المنهج.

(بالتوسع فيما يتعلق بالآية من السنة الصحيحة، سواء كان تفسيرها أو فى حكمها، و فى تحقيق بعض المفردات أو الجمل اللغوية، و المسائل الخلافية بين العلماء، و فى الإكثار من شواهد الآيات فى السور المختلفة، و فى بعض الاستطرادات لتحقيق مسائل تشتد حاجة المسلمين إليها، بما يشبههم بهداية دينهم فى هذا العصر، أو يقوى حججهم على خصومهم من الكفار و المبتدعة، أو يحل بعض المشكلات التى أعيأ حلها) [٢].

٥- كان له استقصاء عجيب ببدع المسلمين التى صرفتهم عن السنة و قعدت بهم عن سبيل المجد.

و كان كثير الرد على المفسرين، و قد يكون فى رده كثير من العنف.

و كان يتولى الرد على كثير من الآراء المنحرفة التى تتصدى للاسلام. و مما يؤخذ على الرجل فى تفسيره هذا:

(١) «السنة و مكانتها» ط ٢ ص ٣٠.

(٢) «تفسير المنار» ١٦/١.

لمحات في علوم القرآن و اتجاهات التفسير، ص: ٣٢٣

الاعتداد الزائد بعلمه الذى يجاوز الحد. و مخالفته العلماء فى عدد من القضايا. و نقله من الانجيل على الرغم مما يعرف عنه من انكار رواية الاسرائيليات، و مهاجمته المفسرين الذين يتساهلون فى هذا الموضوع بعنف شديد.

لمحات في علوم القرآن و اتجاهات التفسير، ص: ٣٢٤

الفصل السادس اتجاهات أخرى

ذكرنا فى الفصول السابقة أهم اتجاهات التفسير، و هناك اتجاهات أخرى سنكتفى بالإشارة الموجزة إليها، و يمكن للراغب فى التوسع أن يقف على تفصيل القول فيها فى الكتب الخاصة فى مدارس التفسير.

١- التفسير الموضوعى: و هذا اللون من التفسير يتناول موضوعا واحدا فى القرآن، يعمد المفسر فيه إلى ذكر الآيات المتعلقة بهذا الموضوع، و يشرحها و يفصل القول فيها، ككتب أحكام القرآن التى جمع مؤلفوها الآيات المتصلة بالأحكام، و هى عديدة أهمها للجصاص و لابن العربي.

و ككتب «مجاز القرآن» و هي عديدة أهمها للشريف الرضى و العز بن عبد السلام.

و ككتاب «التبيان في أقسام القرآن» لابن القيم.

و ككتاب «الإنسان في القرآن» لعباس محمود العقاد.

ب- التفسير الاشارى: و هو التفسير الذى يعتمد الاشارة و يستنبط من الكلمة أو الجملة استنباطات كثيرة، و قد برع فيه المتصوفة.

ج- التفسير الفقهي: و هو التفسير الذى يولى موضوع الأحكام الفقهية

لمحات في علوم القرآن و اتجاهات التفسير، ص: ٣٢٥

عناية خاصة، و يمكن ان نعد كتاب القرطبي «١» و كتاب الخطيب الشربيني من الأمثلة عليه.

د- أنواع أخر كالتفسير الفلسفى و تفاسير الفرق الضالة و ما الى ذلك.

(١) و كتابه هو «الجامع لأحكام القرآن» و أنظر دراسته محمد أديب صالح لهذا الكتاب و طريقته فى التفسير فى كتابه «من الجامع الأحكام القرآن».

لمحات في علوم القرآن و اتجاهات التفسير، ص: ٣٢٦

خاتمة

عرضنا فى الصفحات السابقة لمحات موجزة فى القرآن، و كتابته، و تدوينه، و اعجازه، و علومه، و فى اتجاهات المفسرين المختلفة. و أرجو أن أكون بهذه اللمحات قد أوضحت المعالم و أعنت الراغب فى التوسع على العودة الى المصادر و الأمهات، و أرجو أن تكون هذه الدراسة سبيلا يدفعا للعمل بالقرآن، و لتحكيمه فى حياتنا، حتى نحوز السعادة الدنيوية و الفوز يوم القيامة.

و نسأل الله العلى القدير أن يجعلنا من أهل القرآن ربنا لا ترغ قلوبنا بعد إذ هديتنا، و هب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب.

رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفُ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ.

لمحات في علوم القرآن و اتجاهات التفسير، ص: ٣٢٧

مراجع الكتاب

الاتجاهات الحديثة فى الاسلام- محمد بهجة الأثرى- المطبعة السلفية بمصر دون تاريخ.

- إتحاف فضلاء البشر فى القراءات الأربعة عشر- محمد بن أحمد الدمياطى- المطبعة العامرة بمصر سنة ١٢٨٥ هـ.

- الإتقان فى علوم القرآن- عبد الرحمن السيوطى- مطبعة مصطفى البابى الحلبي سنة ١٣٧٠ هـ (١٩٥١ م).

- الإجابة لإيراد ما استدركته عائشة على الصحابة- بدر الدين الزركشى- تحقيق سعيد الأفغانى- المكتب الاسلامى- بيروت سنة ١٣٩٠ هـ (١٩٧٠ م).

- الإحكام فى أصول الأحكام- على بن محمد الأمدى- تعليق عبد الرزاق عفيفى- المكتب الاسلامى بيروت سنة ١٤٠٢ هـ.

- إحياء علوم الدين- الإمام أبو حامد الغزالى- مطبعة مصطفى البابى الحلبي سنة ١٣٥٨ هـ (١٩٣٩ م).

- الأدلة العلمية على جواز ترجمة معانى القرآن إلى اللغات الأجنبية- محمد فريد و جدى- مطبعة الرغائب بمصر سنة ١٩٣٦ م.

- الأركان الأربعة- أبو الحسن الندوى- مطابع معتوق إخوان بيروت سنة ١٣٨٨ (١٩٦٨).

لمحات في علوم القرآن و اتجاهات التفسير، ص: ٣٢٨

- أساس البلاغة- محمود بن عمر الزمخشري- مطبعة أولاد أورفاند بمصر سنة ١٣٧٢ هـ (١٩٥٣ م).
- الاستيعاب في أسماء الأصحاب- ابن عبد البر- مطبوع أسفل «الاصابة» مطبعة مصطفى محمد بمصر سنة ١٣٥٨ هـ (١٩٥٩ م).
- أسرار البلاغة- عبد القاهر الجرجاني- تعليق محمد رشيد رضا- القاهرة سنة ١٣٧٩ (١٩٥٩ م).
- الأسرار المرفوعة في الأخبار الموضوعه- ملا علي القاري- تحقيق محمد الصباغ- مطبعة دار القلم بيروت سنة ١٣٩١ هـ (١٩٧١ م).
- الأسس الأخلاقية- أبو الأعلى المودودي- ترجمة محمد عاصم حداد- مكتبة الشباب المسلم- دمشق سنة ١٣٧١ هـ.
- أسس الاقتصاد في الاسلام و النظم المعاصرة- أبو الأعلى المودودي- ترجمة محمد عاصم الحداد- مكتبة الشباب المسلم- دمشق سنة ١٩٦٠ م.
- الاسلام في عصر العلم- محمد أحمد الغمراوي- إعداد الكرداني- دار الكتب الحديثه بمصر سنة ١٩٧٨ م.
- الاسلام و الطب الحديث- عبد العزيز إسماعيل- الشركة العربية للطباعة و النشر- مصر سنة ١٩٥٩.
- الاسلام يتحدى- وحيد الدين خان- ترجمة ظفر الاسلام خان- بيروت- دار البحوث العلمية سنة ١٩٧٠ م.
- الإصابة في تمييز الصحابة- أحمد بن علي بن حجر العسقلاني- مطبعة مصطفى محمد بمصر سنة ١٣٥٨ هـ (١٩٣٩ م).
- أصول الفقه- محمد أبو زهرة- مطبعة مخيمر- القاهرة سنة ١٩٥٧ م.
- أصول الفقه- محمد الخضري- مطبعة السعادة بمصر- الطبعة الخامسة سنة ١٣٨٥ هـ (١٩٦٥ م).
- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن- محمد الأمين الشنقيطي- مطبعة المدني بمصر سنة ١٣٨٦ هـ.
- لمحات في علوم القرآن و اتجاهات التفسير، ص: ٣٢٩
- اعتقاد الإمام المنبل، أبي عبد الله أحمد بن حنبل- عبد الواحد بن عبد العزيز بن الحارث التيمي- تحقيق حامد الفقى- مطبوع في نهاية الجزء الثاني من «طبقات الحنابلة» لأبي يعلى مطبعة السنة المحمدية بمصر- دون تاريخ.
- إعجاز القرآن- أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني- تحقيق سيد أحمد للصقر- دار المعارف بمصر سنة ١٩٦٤ م.
- إعجاز القرآن- مصطفى صادق الرافعي- نشر المكتبة التجارية الكبرى- طبع مطبعة الاستقامة بمصر سنة ١٣٨٤ هـ.
- إعراب ثلاثين سورة من القرآن- ابن خالويه الحسين بن أحمد- مطبعة دار الكتب المصرية القاهرة سنة ١٣٦٠ هـ (١٩٤١ م).
- إعراب القرآن- الزجاج- تحقيق إبراهيم الأبياري- المؤسسة المصرية العامة سنة ١٩٦٣ م.
- الأعلام- خير الدين الزركلي- مطبعة كوستاتسوماس بمصر- الطبعة الثانية سنة ١٩٧٣ (١٩٥٤).
- اعلام الموقعين- ابن القيم- مكتبة الكليات الأزهرية سنة ١٩٦٨ م.
- اقتضاء الصراط المستقيم- ابن تيمية- تحقيق محمد حامد الفقى- الطبعة الثانية مطبعة السنة المحمدية بمصر سنة ١٣٦٩ هـ (١٩٥٠ م).
- أقسام القرآن- ابن القيم- المطبعة الميرية- مكة المكرمة سنة ١٣٢١ هـ.
- الإكليل في المتشابه و التأويل- ابن تيمية- المطبعة السلفية في القاهرة سنة ١٣٩٤ هـ.
- إمتاع الأسماع- المقرئ- تحقيق محمود محمد شاكر- جنه القرآن و الترجمة و النشر بمصر سنة ١٩٤١ م.
- إملاء ما من به الرحمن، من وجوه الإعراب و القراءات في جميع القرآن- العكبري- المطبعة العامرة- القاهرة سنة ١٣٠٣ هـ.
- الانتصاف- ابن المنبر- مطبوع على هامش الكشاف- مصطفى البابي الحلبي- مصر سنة ١٩٤٨ م.
- لمحات في علوم القرآن و اتجاهات التفسير، ص: ٣٣٠
- الباعث الحثيث- أحمد محمد شاكر- مطبعة محمد علي صبيح بمصر- الطبعة الثالثة سنة ١٣٧٧ هـ.
- الباعث على الخلاص من حوادث القصاص- الحافظ العراقي- تحقيق محمد الصباغ- نشر في مجلة «أضواء الشريعة» في الرياض سنة ١٣٩٣ هـ.

- بحث في ترجمة القرآن و أحكامها- المراغي- نشر صلاح المنجد بيروت سنة ١٤٠١ هـ (١٩٨١ م).
- البحر المحيط- أبو حيان النحوى- طبع مصر- و أعيد تصويره بالأوفست في بيروت.
- بدائع الفوائد- ابن القيم- طبعه مصورة من الطبعة المنيرية بمصر- صورتها دار الكتاب العربى بيروت دون تاريخ.
- البدايه و النهاية- ابن كثير- مطبعة السعادة بمصر سنة ١٣٥١ هـ.
- البدر الطالع- الشوكانى- مطبعة السعادة بمصر سنة ١٣٤٨ هـ.
- البرهان فى أصول الفقه- الجوينى إمام الحرمين- تحقيق عبد العظيم الديب- طبع قطر سنة ١٣٩٩ هـ.
- البرهان على سلامة القرآن من الزيادة و النقصان- سعدى ياسين- المكتب الاسلامى بيروت سنة ١٣٩٥ هـ.
- البرهان فى علوم القرآن- الزركشى- تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم- مطبعة إبراهيم عيسى البابى الحلبي بمصر- الطبعة الثانية سنة ١٣٩١ هـ (١٩٧٢ م).
- البرهان القاطع فى إثبات الصانع- محمد بن إبراهيم الوزير- المطبعة السلفية بمصر سنة ١٣٤٩ هـ.
- بغية الوعاء- السيوطى- مطبعة السعادة بمصر سنة ١٣٢٦ هـ.
- بيان إعجاز القرآن- الخطابى- تحقيق محمد خلف الله و محمد زغلول سلام (مطبوع تحت عنوان ثلاث رسائل...).
- بيان زغل العلم- الذهبى- نشر القدسى- مطبعة التوفيق بدمشق سنة ١٣٤٧ هـ.
- لمحات فى علوم القرآن و اتجاهات التفسير، ص: ٣٣١
- بين الأمس و اليوم- حسن البنا- دار الكتاب العربى بمصر- دون تاريخ.
- بين الدين و العلم- عبد الرزاق نوفل- مكتبة و هبة بمصر- دون تاريخ- بين الدين و العلم- محمد أحمد الغمراوى- المكتب الفنى للنشر بمصر سنة ١٩٥٩.
- تاج العروس فى شرح القاموس- محمد مرتضى الزبيدى- المطبعة الخيرية بمصر سنة ١٣٠٦ هـ.
- التاج المكلل، من جواهر مآثر الطراز الأول- صديق حسن خان- المطبعة الهندية العربية- بمباى سنة ١٣٨٢ هـ (١٩٦٣ م).
- تاريخ ابن الوردى- (المسمى: تتمه المختصر فى أخبار البشر) المطبعة الوهيبية بمصر سنة ١٢٨٥ هـ.
- تاريخ الأدب العربى- بروكلمان- الترجمة العربية- در المعارف بمصر سنة ١٩٥٩ م و الأجزاء الأخرى.
- تاريخ الأدب العربى- بروكلمان- الطبعة الألمانية ليدن سنة ١٩٤٩ م.
- تاريخ الأستاذ الإمام- محمد رشيد رضا- مطبعة المنار بمصر سنة ١٣٤٤ هـ- سنة ١٣٦٧ هـ.
- تاريخ بغداد- الخطيب البغدادي- مطبعة السعادة بمصر سنة ١٩٣١ م.
- تاريخ التراث العربى- فؤاد سزكين- ترجمة فهمى أبو الفضل- المطبعة الثقافية بمصر سنة ١٩٧١ م.
- تاريخ التشريع الاسلامى- محمد الخضرى- المكتبة التجارى الكبرى مطبعة الاستقامة- الطبعة السابعة سنة ١٣٨٥ هـ.
- تاريخ الجهمية و المعتزلة- جمال الدين القاسمى- مؤسسة الرسالة ببيروت سنة ١٤٠١ (١٩٨١).
- تاريخ الخلفاء- السيوطى- تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد- مطبعة الفجالة الجديدة سنة ١٣٨٩ هـ (١٩٩ م).
- لمحات فى علوم القرآن و اتجاهات التفسير، ص: ٣٣٢
- تاريخ دمشق- ابن عساكر ظهرت بعض أجزاء مصورة من المخطوطه و انظر (تهذيب تاريخ دمشق).
- تاريخ الطبرى- محمد بن جرير- تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم- دار المعارف بمصر دون تاريخ.
- تاريخ القرآن- إبراهيم الأبيارى- دار الكتاب اللبنانى بيروت سنة ١٩٨٢.
- تاريخ القرآن و غرائب رسمه و حكمه- محمد طاهر الكردى- مطبعة الفتح بجدة سنة ١٣٦٥ هـ (١٩٤٦ م).

- تأويل مختلف الحديث- ابن قتيبة- تصحيح محمد زهري النجار- مكتبة الكليات الأزهرية بمصر سنة ١٣٨٦ هـ.
- تأويل مشكل القرآن- ابن قتيبة- تحقيق سيد صقر- دار إحياء الكتب العربية بمصر سنة ١٩٥٤ م.
- التبيان في آداب حملة القرآن- النووي- مصطفى البابي الحلبي بمصر سنة ١٩٣٤ م.
- التبيان في إعراب القرآن للعكبري- (انظر: إملاء ما من به الرحمن)- التبيان لبعض المباحث المتعلقة بالقرآن- طاهر الجزائري- مطبعة المنار بمصر سنة ١٣٣٤ هـ.
- تحفة الأحوذى- المبار كفوري- طبع الهند سنة ١٣٤٣.
- تحقيق النصوص و نشرها- عبد السلام هارون- مؤسسة الحلبي بمصر سنة ١٩٦٥ م.
- التدمرية لابن تيمية (انظر: الرسالة التدمرية).
- تذكرة الحفاظ- الذهبي- مصورة بالأوفست في بيروت عن الطبعة الهندية- دون تاريخ.
- الترايب الإدارية- الكتاني- دار الكتاب العربي بيروت- دون تاريخ- ترتيب المدارك- القاضي عياض- مصورة بالأوفست في بيروت- دار مكتبة الحياة ١٣٨٧ هـ (١٩٦٧ م).
- لمحات في علوم القرآن و اتجاهات التفسير، ص: ٣٣٣
- ترجمة القرآن- عبد الله شحادة دار الاعتصام- القاهرة سنة ١٩٨٠ م.
- ترجمة القرآن الكريم غرض للسياسة و فتنة في الدين- محمد الهياوي- مطبعة جريدة المنبر بمصر سنة ١٣٥٥ هـ.
- ترجمة القرآن و ما فيها من المفاصد و منافاة الاسلام- محمد رشيد رضا- مطبعة المنار سنة ١٩٢٦ م.
- التشريع الإسلامي و حاجتنا إليه- محمد الصباغ- المكتب الإسلامي بيروت سنة ١٩٧٠ م.
- التصوير الفني في القرآن- سيد قطب- دار المعارف بمصر سنة ١٩٥٦- تعريف عام بدين الاسلام- علي الطنطاوي- دار الرائد- مكة المكرمة سنة ١٣٩٥ هـ.
- تفسير ابن كثير- ابن كثير ... مطبعة عيسى البابي الحلبي بمصر- دون تاريخ.
- تفسير الألوسي- المسمى «روح المعاني في تفسير القرآن»- المطبعة المنيرية بمصر سنة ١٣٤٥ هـ.
- التفسير البياني- عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ) دار المعارف بمصر سنة ١٩٦٩.
- تفسير البيضاوي- عبد الله بن عمر البيضاوي و عنوانه: «أنوار التنزيل و أسرار التأويل» مطبعة مصطفى محمد بمصر- دون تاريخ.
- تفسير الجلالين- مكتبة الملاح- دمشق سنة ١٣٩٨ (١٩٧٨).
- تفسير سورة الإخلاص- ابن تيمية- المطبعة المنيرية بمصر سنة ١٣٥٢ هـ.
- تفسير سورة النور- أبو الأعلى المودودي- مؤسسة الرسالة بيروت سنة ١٩٥٩ م.
- تفسير الطبري- محمد بن جرير- تحقيق محمود محمد شاكر دار المعارف بمصر سنة ١٩٦٩ م.
- تفسير الطبري- محمد بن جرير- مطبعة عيسى البابي الحلبي بمصر سنة ١٩٥٤
- لمحات في علوم القرآن و اتجاهات التفسير، ص: ٣٣٤
- التفسير العلمي للآيات الكونية- حنفي أحمد- دار المعارف بمصر سنة ١٩٦٠ م.
- تفسير القاسمي- جمال الدين القاسمي- صححه و علق عليه محمد فؤاد عبد الباقي- دار إحياء الكتب العربية بمصر سنة ١٩٥٧ م.
- تفسير القرآن- محمود شلتوت- الطبعة الرابعة سنة ١٩٦٦ م.
- تفسير القرطبي- محمد بن أحمد القرطبي- دار الكتب المصرية سنة ١٩٣٥.
- تفسير مجاهد- تحقيق عبد الرحمن الطاهر السورتى- طبع قطر سنة ١٣٩٦ (١٩٧٦).

- تفسير المراغى - أحمد مصطفى المراغى - مصطفى البابى الحلبي - مصر سنة ١٣٦٥.
- تفسير المنار - محمد رشيد رضا - مطبعة المنار سنة ١٣٦٥ - سنة ١٣٦٧.
- تفسير النسفى «مدارك التنزيل» - دار إحياء الكتب العربية - عيسى البابى الحلبي بمصر - دون تاريخ.
- التفسير و رجاله - محمد الفاضل بن عاشور - دار الكتب الشرقية - تونس سنة ١٩٦٦ م.
- التفسير و المفسرون - محمد حسين الذهبي - دار الكتب الحديثة بمصر سنة ١٣٨١ هـ (١٩٦٢ م).
- تقريب السيرة النبوية - محمد الشبراوى - مصطفى البابى الحلبي بمصر سنة ١٣٨١ هـ (١٩٦١ م).
- التكافل الاجتماعى فى الإسلام - محمد أبو زهرة - الدار القومية للطباعة و النشر بالقاهرة سنة ١٣٨٤ (١٩٦٤ م).
- التكميل فى أصول التأويل - عبد الحميد الفراهي - طبع الهند.
- تناسق الدرر فى تناسب السور - السيوطى - المطبوع فى دار الاعتصام بالقاهرة سنة ١٣٩٦ هـ باسم: أسرار ترتيب القرآن.
- التنبيه على حدوث التصحيف - حمزة بن حسن الأصفهاني - طبع دمشق
- لمحات فى علوم القرآن و اتجاهات التفسير، ص: ٣٣٥
- تنزيه الشريعة المرفوعة - ابن عراق - تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف و عبد الله الصديق - مطبعة عاطف بمصر سنة ١٣٧٨ هـ.
- تنزيه القرآن عن المطاعن - القاضى عبد الجبار - المطبعة الجمالية بمصر سنة ١٣٢٩.
- تنظيم الإسلام للمجتمع - محمد أبو زهرة - مطبعة المدنى بمصر - دون تاريخ.
- تنوير المقباس من تفسير ابن عباس - الفيروز آبادى - المطبعة الأزهرية بمصر سنة ١٣١٦ هـ.
- تهذيب الأسماء و اللغات - النووى - المطبعة المنيرية بمصر.
- تهذيب تاريخ دمشق الكبير - عبد القادر بدران - الطبعة الثانية - دار المسيرة بيروت سنة ١٩٧٩ م.
- تهذيب التهذيب - ابن حجر - طبع حيدرآباد - الهند سنة ١٣٢٥ هـ.
- توجيه النظر - طاهر الجزائري - المطبعة الجمالية بمصر سنة ١٩١٠ م - التوراة و الانجيل و القرآن و العلم - موريس بوكاى - بيروت ١٣٩٨ هـ.
- التيسير فى القراءات السبع - عثمان بن سعيد الدانى - تحقيق أوتو برتزل - استانبول مطبعة الدولة سنة ١٩٣٠ م.
- ثلاث رسائل فى إعجاز القرآن - تحقيق محمد خلف الله و محمد زغلول سلام - دار المعارف بمصر سنة ١٩٦٨.
- جامع الأصول - المبارك بن محمد بن الأثير - تحقيق عبد القادر الأرنؤوط - دمشق سنة ١٣٩٠ هـ (١٩٧٠ م).
- جامع بيان العلم و فضله - ابن عبد البر - طبعة مصورة بالأوفست عن الطبعة المصرية - دون تاريخ.
- الجرح و التعديل - ابن أبى حاتم - مطبعة دائرة المعارف العثمانية - حيدرآباد الدكن الهند سنة ١٣٧١ هـ.
- الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح - ابن تيمية - مطبعة المدنى بمصر سنة ١٣٨٣.
- الجواهر فى تفسير القرآن - طنطاوى جوهرى - مطبعة مصطفى البابى الحلبي بمصر سنة ١٣٥٠ هـ.
- لمحات فى علوم القرآن و اتجاهات التفسير، ص: ٣٣٦
- جواهر البيان فى علوم القرآن - محمد على سلامة.
- جواهر القرآن - الامام الغزالي - المكتبة التجارية بمصر سنة ١٩٣٣ م.
- الحجاب - أبو الأعلى المودودى - ترجمة محمد كاظم - دمشق - دار الفكر سنة ١٩٥٩ م.
- حدث الأحداث فى الإسلام الإقدام على ترجمة القرآن - محمد سليمان.
- الحديث النبوى - محمد بن لطفى الصباغ - الطبعة الثالثة - المكتبة الاسلامى بيروت سنة ١٣٩٧ هـ.

- حسن المحاضرة، في أخبار مصر و القاهرة- السيوطي- المطبعة الشرقية بمصر سنة ١٣٢٧ هـ.
- حصوننا مهددة من داخلها- محمد محمد حسين- المكتب الاسلامي سنة ١٣٩٧ هـ.
- الحكمة في مخلوقات الله عز و جل- مطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر سنة ١٣٥٢ كتب له مقدمة موجزة الشيخ طنطاوي جوهرى.
- الحلية- أبو نعيم- مطبعة السعادة بمصر سنة ١٣٥١ هـ- ١٣٥٧ م.
- الحوادث و البدع- محمد بن الوليد الطرطوشي- تحقيق محمد الطالبى- دار الأصفهاني و شركائه بجدة دون تاريخ.
- خصائص التصور الإسلامى و مقوماته- سيد قطب- دار إحياء الكتب العربية بمصر سنة ١٩٦٢ م.
- خطط الشام- محمد كرد على- مطبعة الترقى بدمشق سنة ١٣٤٣ هـ.
- خطط الشام- محمد كرد على- دار العلم للملايين بيروت سنة ١٣٨٩ هـ- الخلاصة- الخزرجى- المطبعة الخيرية بمصر سنة ١٣٢٢ هـ.
- خلق المسلم- محمد الغزالي- دار الكتب الحديثة- مصر سنة ١٣٧٩- درء تعارض العقل و النقل- ابن تيمية- تحقيق محمد رشاد سالم- طبع جامعة الامام فى الرياض سنة ١٤٠١ هـ.
- دراسات فى التفسير- مصطفى زيد- ملتزم النشر دار الفكر العربى- دار الحمامى للطباعة بمصر سنة ١٩٦٧-١٩٦٨ م.
- لمحات فى علوم القرآن و اتجاهات التفسير، ص: ٣٣٧
- دراسة الكتب المقدسة فى ضوء المعارف الحديثة- موريس بوكاي- دار المعارف القاهرة- سنة ١٣٩٨ هـ.
- الدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة- ابن حجر- تحقيق محمد سيد جاد الحق- مطبعة المدنى بمصر سنة ١٣٨٥ هـ (١٩٦٦).
- الدر المنثور فى التفسير بالمأثور- السيوطى- المطبعة الاسلامية بالأوفست- طهران سنة ١٣٧٧ هـ.
- دفاع عن العقيدة و الشريعة- محمد الغزالي- دار الكتب الحديثة- مصر سنة ١٩٦٣ م.
- دلائل الاعجاز- عبد القاهر الجرجاني- تحقق محمد رشيد رضا- دار المنار بمصر سنة ١٣٦٧ هـ.
- دلائل الاعجاز مع مقدمة محمود محمد شاكر- نشر الخانجى- ط مطبعة المدنى.
- الدين و العلم- أحمد عزت- علق عليه عبد الوهاب عزام و حمزة طاهر- مطبعة لجنة التأليف و النشر بمصر سنة ١٩٥٠ م.
- ديوان أبى حيان- تحقيق خديجة الحديثى و أحمد مطلوب- بغداد سنة ١٣٨٨ هـ (١٩٦٩ م).
- ديوان الحظيئة- تحقيق نعمان طه- مصطفى البابى الحلبي بمصر سنة ١٣٧٨ هـ (١٩٥٨ م).
- ديوان النابغة- إعداد على ملكى- دار الرأى العام- بيروت سنة ١٩٦٩ م.
- ذيل الروضتين- أبو شامة- تصحيح محمد زاهد الكوثرى- دار الجيل بيروت سنة ١٩٧٤ م.
- ذيل الملل و النحل- سيد كيلانى- مطبوع فى آخر الملل و النحل للشهرستانى.
- ذبول تذكرة الحفاظ لكل من الحسينى الدمشقى، و ابن فهد المكى، و السيوطى، و الطهطاوى- صورت بالأوفست فى بيروت- دون تاريخ.
- رحلة ابن بطوطة: تحفة النظار فى غرائب الأمصار و عجائب الأسفار المكتبة التجارية الكبرى بمصر سنة ١٩٥٨ م.
- لمحات فى علوم القرآن و اتجاهات التفسير، ص: ٣٣٨
- رحلة ابن جبیر- تحقيق حسين نصار- مكتبة مصر سنة ١٩٥٥ م- الرد الوافر- ابن ناصر الدين- تحقيق زهير الشاويش- المكتب الاسلامى سنة ١٣٩٣ هـ.
- الرسالة- الشافعى- تحقيق أحمد محمد شاكر- مطبعة مصطفى البابى الحلبي بمصر سنة ١٩٤٠ م.
- الرسالة التدمرية- ابن تيمية- المكتب الاسلامى- الطبعة الثانية بيروت سنة ١٣٩١ هـ.
- الرسالة الشافية فى إعجاز القرآن- الجرجانى- تحقيق خلف الله و سلام (مطبوع تحت عنوان ثلاث رسائل ...).

- روضة الناظر - ابن قدامة - مكتبة المعارف بالرياض سنة ١٤٠٤ هـ.

- رياض الصالحين - النووي - تحقيق محمد ناصر الدين الألباني - المكتبة الاسلامي بيروت سنة ١٣٩٩ هـ (١٩٧٩ م).

- زاد المسير - ابن الجوزي - المكتبة الاسلامي - دمشق سنة ١٣٨٤ هـ (١٩٦٤ م).

- زاد المعاد - ابن القيم - تحقيق الأرناءوط - مؤسسة الرسالة بيروت سنة ١٤٠١ (١٩٨١).

- سراج القارئ المبتدى، و تذكار المقرئ المنتهى - ابن القاصح - مطبعة السعادة بمصر سنة ١٩٢٧ م.

- سمير الطالبين في رسم و ضبط الكتاب المبين - علي محمد الضباع - مطبعة عبد الحميد أحمد حنفي بمصر سنة ١٣٥٧ هـ.

- السنة و مكانتها في التشريع - مصطفى السباعي - المكتبة الاسلامي - بيروت سنة ١٣٩٦ هـ (١٩٧٦ م).

- سنن ابن ماجه - تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي - دار إحياء الكتب العربية بمصر سنة ١٣٧٢ هـ (١٩٥٢ م).

- سنن أبي داود - تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد - مطبعة السعادة بمصر سنة ١٣٦٩ هـ (١٩٥٠ م).

لمحات في علوم القرآن و اتجاهات التفسير، ص: ٣٣٩

- سنن الترمذي - المطبوع مع تحفة الأحوذى - طبع الهند سنة ١٣٤٣.

- سنن الدارمي - تحقيق محمد أحمد دهمان - مطبعة الاعتدال بدمشق سنة ١٣٤٩ هـ.

- السنن الكبرى - البيهقي - مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية - حيدرآباد الهند سنة ١٣٤٤.

- سنن النسائي - مطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر سنة ١٣٨٣ هـ (١٩٦٤ م).

- سير أعلام النبلاء - تحقيق جماعة - مؤسسة الرسالة - بيروت سنة ١٤٠١ هـ.

- سيرة ابن هشام - تحقيق مصطفى السقا و آخرين - مصطفى البابي الحلبي - مصر سنة ١٩٥٥ م.

- شذرات الذهب - ابن العماد - مكتبة القدسي بمصر سنة ١٣٥٠ هـ.

- شرح الألفية في السيرة - المناوي - تحقيق اسماعيل الأنصاري - مطبعة النور الرياض.

- شرح ما يقع فيه التصحيف و التحريف - أبو أحمد الحسن بن عبد الله العسكري - تحقيق عبد العزيز أحمد - مكتبة مصطفى البابي

الحلبي بمصر سنة ١٣٨٣ هـ (١٩٦٣ م).

- الشفا في حقوق المصطفى - عياض - الشركة الصحافية العثمانية استانبول سنة ١٣٢٤ هـ.

- صبح الأعشى - القلقشندى - طبعه مصورة عن الطبعة الأميرية - وزارة الثقافة و الارشاد بمصر مطابع كوستاتسوماس بالقاهرة - دون

تاريخ.

- صحيح البخاري - محمد بن اسماعيل البخاري - تحقيق محمود النواوي و أبي الفضل إبراهيم و محمد خفاجي مطبعة الفجالة

الجديدة بمصر سنة ١٣٧٦ هـ.

لمحات في علوم القرآن و اتجاهات التفسير، ص: ٣٤٠

- صحيح مسلم - مسلم بن الحجاج - تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي - دار إحياء الكتب العربية بمصر سنة ١٣٧٤ هـ.

- صحيح مسلم - مسلم بن الحجاج - طبعه مصورة عن طبعة استانبول - محمد علي صبيح بمصر - دون تاريخ.

- ضحى الاسلام - أحمد أمين - مكتبة النهضة المصرية بمصر سنة ١٩٥٦.

- الضعفاء و المتروكون - الدارقطني - تحقيق محمد بن لطفى الصباغ - المكتبة الاسلامي بيروت سنة ١٤٠٠.

- طبقات الحنابلة - أبو يعلى - مطبعة السنة المحمدية بمصر سنة ١٣٧٢ هـ (١٩٥٣ م).

- طبقات الشافعية - السبكي - تحقيق محمود الطناحي و عبد الفتاح الحلو - مطبعة عيسى البابي الحلبي سنة ١٣٨٣ هـ.

- طبقات فقهاء الشافعية - العبادي - ليدن - بريل سنة ١٩٦٤ م.

- الطبقات الكبرى- ابن سعد- دار بيروت سنة ١٣٩٨ هـ.

- طبقات المفسرين- الداودي- تحقيق على محمد عمر- نشر مكتبة وهبه طبع مطبعة الاستقلال سنة ١٣٩٢ (١٩٧٢).

- طبقات المفسرين- السيوطي- مكتبة وهبه بمصر سنة ١٩٧٦ م.

- الظاهرة القرآنية- مالك بن نبي- دار الفكر- دمشق سنة ١٩٨٠ م.

- العدالة الاجتماعية- في الإسلام- سيد قطب- الطبعة الثامنة- لم يذكر فيها اسم المطبعة و لا سنة الطبع.

- العقائد الاسلامية- سيد سابق- دار الكتب الحديثه بمصر سنة ١٣٨٧ هـ.

- العلم- أبو خيثمة زهير بن حرب- تحقيق محمد ناصر الدين الألباني- المطبعة العمومية بدمشق دون تاريخ.

- علم أصول الفقه- عبد الوهاب خلاف- مطبعة النصر بمصر سنة ١٣٧٦ هـ (١٩٥٦ م).

لمحات في علوم القرآن و اتجاهات التفسير، ص: ٣٤١

- العلم يدعو إلى الايمان- كريس موريسون- ترجمة محمود صالح العلكي- مكتبة النهضة المصرية بمصر سنة ١٩٥٥.

- العلوم الطبيعية في القرآن- يوسف مروءة- بيروت سنة ١٣٨٧ هـ (١٩٦٨ م).

- عمدة التفسير- أحمد محمد شاكر- دار المعارف بمصر سنة ١٩٥٦-١٩٥٩.

- عمدة القارى- العيني- المطبعة المنيرية بمصر سنة ١٣٤٨ هـ.

- عنوان البيان في علوم التبيان- محمد حسنين مخلوف- مصطفى البابی الحلبي سنة ١٣٨٣ (١٩٦٤).

- عيون الأثر- ابن سيد الناس- طبع حسام القدس سنة ١٣٥٦ هـ.

- الغارة على العالم الاسلامي- شاتليه- ترجمه مساعد اليافي و محب الدين الخطيب- طبع جده سنة ١٣٨٧.

- غاية النهاية في طبقات القراء- ابن الجزري- تحقيق برجستراسر- الخانجي بمصر سنة ١٣٥١ هـ.

- غريب القرآن- ابن قتيبة- تحقق سيد أحمد الصقر- مطبعة البابی الحلبي مصر سنة ١٣٧٨ هـ (١٩٥٨ م). لمحات في علوم القرآن و

اتجاهات التفسير ٣٤١ مراجع الكتاب

غريب القرآن- ابن قتيبة- الموجود في «غريب القرآن» لابن مطرف- مكتبة الخانجي سنة ١٣٥٥ هـ.

- غيث النفع في القراءات السبع- على النورى الصفاقسى- مطبوع بذييل سراج القارئ المبتدى لابن القاصح مطبعة حجازى بمصر سنة

١٣٥٢ هـ (١٩٣٤ م).

- فتح البارى- ابن حجر- المطبعة السلفية بمصر سنة ١٣٨٠ هـ.

- فتح القدير- الشوكاني- مصطفى البابی الحلبي بمصر سنة ١٣٤٩ هـ.

- الفرق بين الفرق- عبد القاهر البغدادي- طبعه مصورة بالأوفست- منشورات دار الآفاق الجديدة بيروت سنة ١٩٧٨.

لمحات في علوم القرآن و اتجاهات التفسير، ص: ٣٤٢

- الفرقان- ابن الخطيب- دار الكتب المصرية بمصر سنة ١٩٤٨ م- الفرقدان النيران في بعض المباحث المتعلقة بالقرآن- محمد سعيد

البانى- مطبعة الحكومة العربية سنة ١٩٢١ بدمشق.

- الفصل في الملل و النحل- ابن حزم- طبعه الخانجي في مصر سنة ١٣٢١ هـ.

- فضائل القرآن- ابن كثير- مطبوع في آخر الجزء الرابع من تفسير ابن كثير- مطبعة عيسى البابی الحلبي بمصر سنة ١٣٧١ هـ.

- فقه السيرة- محمد الغزالي- تخریج المحدث محمد ناصر الدين الألباني نشر دار الكتب الحديثه- مطبعة السعادة بمصر سنة ١٣٨٤ هـ.

- فقه اللغة- محمد المبارك- مطبعة جامعة دمشق- دون تاريخ.

- الفقيه و المتفقه- الخطيب البغدادي- مطابع القصيم بالرياض سنة ١٣٨٩ هـ.

- الفكر الاسلامى الحديث وصلته بالاستعمار- محمد البهى- مكتبة وهبه بمصر سنة ١٩٧٥ م.
- الفلسفة القرآنية- عباس محمود العقاد- دار الهلال بمصر سنة ١٩٦٦ م.
- الفهرست- ابن النديم- مطبعة الاستقامة بالقاهرة- دون تاريخ.
- فوائد قرآنية- عبد الرحمن السعدى- المكتب الاسلامى بيروت سنة ١٣٨٩ هـ.
- فى أصول النحو- سعيد الأفغانى- دار الفكر بدمشق سنة ١٣٨٣ هـ (١٩٦٣ م).
- فى سنن الله الكونية- محمد أحمد العمراوى- مطبعة لجنة التأليف و النشر بمصر سنة ١٣٥٥ هـ (١٩٣٦ م).
- فى ظلال القرآن- سيد قطب- الطبعة الثالثة- دار إحياء التراث العربى بيروت- دون تاريخ.
- فى المجتمع الإسلامى- محمد أبو زهرة- دار الفكر العربى بالقاهرة- دون تاريخ.
- لمحات فى علوم القرآن و اتجاهات التفسير، ص: ٣٤٣
- فيض التقدير- عبد الرؤوف المناوى- مطبعة مصطفى محمد بمصر سنة ١٣٥٦ هـ (١٩٣٨ م).
- القاديانى و القاديانية- أبو الحسن الندوى- الدار السعودية للنشر- جدة سنة ١٩٧١ م.
- القاموس المحيط- الفيروزآبادى- مطبعة دار المأمون بمصر سنة ١٣٥٧ هـ (١٩٣٨ م).
- القرآن المجيد- محمد عزة دروزة- المطبعة العصرية بصيدا- لبنان- دون تاريخ.
- القرآن و العلم- أحمد محمد سليمان- دار العودة بيروت سنة ١٩٧٨ م.
- القرآن و العلم الحديث- عبد الرزاق نوفل- دار المعارف بمصر سنة ١٩٥٩ م.
- القرآن يتحدّى- أحمد عز الدين عبد الله خلف الله- مطبعة السعادة بمصر سنة ١٣٩٧ هـ (١٩٧٧ م).
- القرامطة- ابن الجوزى- تحقيق محمد الصباغ- المكتب الاسلامى سنة ١٣٩٠ هـ (١٩٧٠ م).
- القسطاس المستقيم- الإمام الغزالى- مؤسس الزعبى- حمص- سنة ١٣٩٢ هـ (١٩٧٣ م).
- الكامل ابن الأثير.
- الكامل- المبرد.
- كتاب النبى- محمد مصطفى الأخطى- المكتب الاسلامى بيروت سنة ١٣٩٨ هـ (١٩٧٨ م).
- كتاب النبى- محمد مصطفى الأعظمى- شركة الطباعة العربية السعودية بالرياض سنة ١٤٠١ هـ (١٩٨١ م).
- الكشاف- الزمخشري- المكتبة التجارية بمصر سنة ١٣٤٥ هـ.
- كشف الظنون- حاجى خليفه- طبعه مصورة بالأوفست- المطبعة الإسلامية بطهران سنة ١٣٨٧ هـ.
- لمحات فى علوم القرآن و اتجاهات التفسير، ص: ٣٤٤
- الكشاف عن وجوه القراءات- مكى بن أبى طالب- تحقيق محيى الدين رمضان- طبعه المجمع فى دمشق سنة ١٩٧٤ م ثم نشرته مؤسس الرسالة ببيروت سنة ١٩٨١ م.
- الكفاية- الخطيب البغدادي- دار الكتب الحديث بمصر- مطبعة السعادة سنة ١٩٧٢ م.
- الكليات- أبو البقاء- تحقيق عدنان درويش و محمد المصرى- مطبعة وزارة الثقافة بدمشق سنة ١٩٧٤ م.
- اللباب فى تهذيب الأنساب- ابن الأثير- طبعه مصورة بالأوفست- مكتبة المثنى ببغداد.
- لسان العرب- ابن منظور- دار صادر بيروت سنة ١٣٧٥ هـ (١٩٥٦ م).
- لسان الميزان- ابن حجر- طبع حيدرآباد الهند سنة ١٣٢٩ هـ.
- لواعم الأنوار البهية- السفاريني- مطابع دار الأصفهاني بجدة سنة ١٣٨٠ هـ.

- اللؤلؤ و المرجان- محمد فؤاد عبد الباقي- دار إحياء الكتب العربية بالقاهرة سنة ١٣٦٨ هـ (١٩٤٩ م).
- ما دل عليه القرآن- محمود شكرى الألوسى- المكتب الاسلامى بدمشق سنة ١٣٨٠ هـ (١٩٦٠).
- ما ذا خسر العالم بانحطاط المسلمين- أبو الحسن الندوى.
- ما هي القاديانية- أبو الأعلى المودودى- دار القلم- الكويت سنة ١٣٨٩ هـ (١٩٦٩ م).
- مباحث في علوم القرآن- صبحى الصالح.
- مبادئ أساسية لفهم القرآن- أبو الأعلى المودودى- ترجمة خليل حامدى- دار القلم فى الكويت ط ٣ سنة ١٣٩١ (١٩٧١).
- مبارك الأزهار فى شرح مشارق الأنوار- ابن الملك- مطبعة أحمد كامل افندى سنة ١٣٢٩ هـ.
- لمحات فى علوم القرآن و اتجاهات التفسير، ص: ٣٤٥
- المجتمع الانسانى فى ظل الاسلام، محمد أبو زهرة- دار الفكر- بيروت- دون تاريخ.
- المجروحون من المحدثين و الضعفاء- ابن حبان- طبع دار الوعى بحلب سنة ١٣٩٦.
- مجلات عدة: مجلة المجمع العلمى العربى فى دمشق- مجلة أضواء الشريعة فى الرياض- مجلة كلية اللغة العربية و غيرها.
- مجموع الفتاوى- ابن تيمية- جمع عبد الرحمن قاسم- طبع الرياض سنة ١٣٨١ هـ.
- محاضرات فى النصرانية- محمد أبو زهرة- الطبعة الثالثة- دار الكتاب العربى بمصر سنة ١٣٨١ هـ (١٩٦١ م).
- المحكم فى نقط المصاحف- الدانى- تحقيق عزة حسن.
- محمد رسول الله- محمد الخضر حسين- طبع دمشق سنة ١٣٩١ هـ (١٩٧١ م).
- مختار الصحاح- الرازى- مطبعة الترقى دمشق سنة ١٩٣٨ م.
- مختصر السيرة- عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب.
- المدخل- ابن الحاج- الطبعة الثانية- نشر دار الكتاب العربى بيروت سنة ١٩٧٢ م.
- مدخل إلى القرآن الكريم- محمد عبد الله دراز- نشر دار القرآن و دار القلم فى الكويت- مطابع دار القلم بيروت سنة ١٣٩١.
- المدخل لدراسة القرآن- محمد أبو شهبه- لم يذكر فيه اسم ناشر و لا مطبعة- القاهرة سنة ١٩٧٣ م.
- المذاهب الاسلاميه فى تفسير القرآن جولد تسهير.
- المذکر و المؤنث- الفراء- تحقيق رمضان عبد التواب القاهرة ١٩٧٥ م.
- مذكرة التوحيد- عبد الرزاق عفيفى- المكتب الاسلامى بيروت سنة ١٤٠٣ هـ (١٩٨٣ م).
- لمحات فى علوم القرآن و اتجاهات التفسير، ص: ٣٤٦
- المرشد الوجيز الى علوم تتعلق بالكتاب العزيز- ابو شامة عبد الرحمن ابن اسماعيل المقدسى- تحقيق طيار آلتى قولاج- دار صادر بيروت سنة ١٣٩٥ هـ (١٩٧٥ م).
- المزهر- السيوطى- تحقيق جاد المولى و أبو الفضل و على البجاوى- دار احياء الكتب العربية بمصر دون تاريخ.
- مسألة ترجمة القرآن- مصطفى صبرى- المطبعة السلفية بالقاهرة سنة ١٣٥١ هـ.
- المستدرک- الحاكم- طبع حيدرآباد الهند سنة ١٣٣٣.
- المستصفى- الإمام الغزالي.
- المسند- أحمد بن حنبل- المطبعة الميمنية- مصر ١٣١٣ هـ (و أعيد تصويره فى المكتب الاسلامى ببيروت).
- مشكاة المصابيح- محمد بن عبد الله الخطيب التبريزى- تحقيق محمد ناصر الدين الألبانى- المكتب الاسلامى بدمشق سنة ١٣٨٠ هـ.
- المصاحف- ابن أبى داود- تحقيق آثر جغرى- المطبعة الرحمانية بمصر سنة ١٩٣٦ م.

- مطابقة المخترعات العصرية للآيات القرآنية- أحمد بن محمد الغماري- مكتبة القاهرة بمصر- مطبعة محمد عاطف الطبعة الرابعة سنة ١٣٨٧ هـ (١٩٦٨ م).
- المطالع النصري- نصر الهوريني.
- معالم السنن- الخطابي- تحقيق أحمد شاکر و حامد الفقى- مطبعة السنة المحمدية بمصر سنة ١٣٦٧ هـ (١٩٤٨ م).
- معالم فى الطريق- سيد قطب- مكتبة وهبة بالقاهرة سنة ١٣٨٤ هـ (١٩٦٤ م).
- معانى القرآن- الفراء- تحقيق أحمد يوسف نجاتي و محمد على النجار- طبعه مصورة باللاوفاست أصدرتها دار عالم الكتب ببيروت سنة ١٩٨٠.
- لمحات فى علوم القرآن و اتجاهات التفسير، ص: ٣٤٧
- المعجزات المحمدية- وليد الاعظمى- المكتب الاسلامى ببيروت سنة ١٣٩٧ هـ.
- المعجزة الكبرى: القرآن- محمد أبو زهرة- ملتزم النشر دار الفكر العربى- دار الحمامى للطباعة بمصر- دون تاريخ.
- معجم الأدباء- ياقوت الحموى- مطبعة دار المأمون بمصر سنة ١٣٥٥ هـ (١٩٣٦ م).
- معجم ألفاظ القرآن الكريم- وضع مجمع اللغة العربية- الهيئة المصرية العامة للتأليف و النشر بمصر سنة ١٣٩٠ هـ (١٩٧٠ م).
- المعجم العربى- حسين نصار.
- معجم المخطوطات المطبوعة- صلاح الدين المنجد.
- معرفة القراء الكبار- الذهبى- تحقيق محمد جاد الحق- مطبعة دار التأليف بمصر سنة ١٩٦٩ نشر دار الكتب الحديثة.
- معرفة القراء الكبار- الذهبى- تحقيق بشار عواد معروف و شعيب الأرنؤوط و صالح مهدي عباس- مؤسسه الرسالة ببيروت سنة ١٤٠٤ (١٩٨٤).
- معضلات الاقتصاد و حلها فى الاسلام- أبو الأعلى المودودى- الدار السعودية للنشر سنة ١٣٨٧.
- مفتاح السعادة- طاشكبرى زاده- تحقيق كامل بكرى و عبد الوهاب أبو النور مطبعة الاستقلال بمصر- دون تاريخ.
- المفردات- الراغب الأصفهاني- المطبعة الميمنية- مصر سنة ١٣٢٤ هـ.
- مقالات الكوثرى- مطبعة الأنوار بالقاهرة- دون تاريخ.
- مقاييس اللغة- ابن فارس- تحقيق عبد السلام هارون- دار إحياء الكتب العربية بمصر سنة ١٣٧٠ هـ.
- مقدمتان فى علوم القرآن-.
- مقدمة ابن خلدون- طبعه بيروت.
- لمحات فى علوم القرآن و اتجاهات التفسير، ص: ٣٤٨
- مقدمة ابن خلدون- طبعه عبد الرحمن محمد- المطبعة البهية المصرية.
- مقدمة ابن خلدون- تحقيق على عبد الواحد وافي.
- مقدمة فى أصول التفسير- ابن تيمية- تحقيق عدنان زرزور- مطابع دار القلم ببيروت سنة ١٣٩١ هـ (١٩٧١ م).
- مقدمة فى التفسير- حسن البنا.
- مقدمة محمود محمد شاکر لكتاب «الظاهرة القرآنية».
- المقنع فى معرفة مرسوم مصاحف أهل الأمصار- أبو عمرو الدانى- تحقيق محمد أحمد دهمان مكتب الدراسات الاسلامية بدمشق سنة ١٣٥٩ هـ.
- مناقب الشافعى- البيهقى- تحقيق سيد أحمد صقر- دار النصر للطباعة بمصر سنة ١٣٩١ (١٩٧١).

- مناهج في التفسير- مصطفى الصاوي الجويني- منشأة المعارف بالاسكندرية.
- مناهل العرفان- الزرقاني- دار إحياء الكتب العربية بمصر- الطبعة الثالثة سنة ١٣٧٢ هـ.
- المنتظم- ابن الجوزي- تحقيق سالم الكرنكاوي- مطبعة دائرة المعارف العثمانية بحيدرآباد في الهند سنة ١٣٥٨ هـ.
- منزلة السنة في الاسلام- محمد ناصر الدين الألباني.
- من الآيات العلمية- عبد الرزاق نوفل- الانجلو مصرية سنة ١٩٦٦.
- من إشارات العلوم في القرآن- عبد العزيز سيد الاهل- دار النهضة الحديثة ببيروت سنة ١٣٩٢.
- من منهل الادب الخالد- محمد المبارك- دار الفكر بدمشق سنة ١٣٨٣ هـ.
- الموافقات- الشاطبي.
- الموطأ- مالك بن أنس- تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي- دار احياء الكتب العربية سنة ١٣٧٠ هـ.
- لمحات في علوم القرآن و اتجاهات التفسير، ص: ٣٤٩
- موقف العالم الاسلامي تجاه الحضارة الغربية- أبو الحسن الندوي- مطبعة ندوة العلماء- لكنهو- الهند سنة ١٣٨٢ (١٩٦٣).
- ميزان الاعتدال- الذهبي- تحقيق محمد علي البجاوي- دار احياء الكتب العربية بمصر سنة ١٣٨٢ هـ.
- النبأ العظيم- محمد عبد الله دراز- دار القلم بالكويت سنة ١٣٩٠ هـ (١٩٧٠ م).
- النبوة اصلاح تقتضيه رحمة الله- سعدى ياسين- دار العربية- بيروت سنة ١٣٨٨ هـ (١٩٦٨ م).
- النبوة و الانبياء في ضوء القرآن- أبو الحسن الندوي- مكتبة وهبة بمصر سنة ١٣٨٥ هـ (١٩٦٥).
- النجوم الزاهرة- ابن تغرى بردى- طبعة دار الكتب المصرية.
- نحو منهج لتفسير القرآن- محمد الصادق عرجون- طبع الدار السعودية للنشر جده سنة ١٣٩٢ (١٩٧٢).
- نزهاء الألباء- ابن الأنباري- تحقيق إبراهيم السامرائي- مكتبة الأندلس ببغداد.
- النشر- ابن الجزري.
- نظام الاسرة في الإسلام- مناع القطان.
- النصيرية- ابن تيمية- طبع دار الافتاء في الرياض- دون تاريخ.
- نظام الاسلام: العقيدة و العبادة- محمد المبارك- دار الفكر ببيروت سنة ١٣٩٠ هـ.
- نظرية الاسلام الخلقية- أبو الأعلى المودودي- مكتبة الشباب المسلم بدمشق- المطبعة التعاونية سنة ١٣٧٦ هـ.
- نظرية الإسلام و هديه في السياسة و القانون و الدستور- أبو الأعلى المودودي- مؤسسة الرسالة ببيروت سنة ١٣٨٩ (١٩٦٩).
- نفع الطيب.
- لمحات في علوم القرآن و اتجاهات التفسير، ص: ٣٥٠
- نقض التأسيس- ابن تيمية- تصحيح محمد عبد الرحمن بن قاسم- مطبعة الحكومة- مكة سنة ١٣٩١.
- النقط- أبو عمرو الداني- منشور مع «المقنع»- تحقيق محمد أحمد دهمان.
- نكت الانتصار- الصيرفي، و هو تلخيص كتاب «الانتصار» للباقلاني تحقيق محمد زغلول سلام منشأة المعارف بالاسكندرية.
- النكت في اعجاز القرآن- الرماني- تحقيق محمد خلف الله و محمد زغلول سلام (مطبوع في مجموع عنوانه: «ثلاث رسائل في اعجاز القرآن»).
- نكت الهميان في نكت العميان- خليل الصفدي- تحقيق أحمد زكي- المطبعة الجمالية بالقاهرة سنة ١٩١١ م.
- النهاية في غريب الحديث و الأثر- ابن الأثير- تحقيق طاهر الزواوي و محمود الطناحي- دار إحياء الكتب العربية بمصر سنة ١٣٨٣ هـ.

(١٩٦٣ م).

- نور القبس المختصر من المقتبس - يوسف بن أحمد اليعموري - تحقيق رودولف زلهاميم - المطبعة الكاثوليكية في بيروت ١٣٨٤ (١٩٦٤).

- نور اليقين - محمد الخضري - الطبعة السابعة بمصر ١٣٥٤ هـ (١٩٣٥ م).

- هدية العارفين - طبعة بالأوفست طهران سنة ١٣٨٧ هـ.

- الوافي بالوفيات - خليل الصفدي - باعثناء جمعية المستشرقين الألمانية سنة ١٣٨١ هـ و ما بعدها.

- الوحدة الإسلامية - محمد رشيد رضا - بإشراف زهير الشاويش المكتب الإسلامي ببيروت - دون تاريخ.

- الوحي المحمدي - محمد رشيد رضا.

- الوساطة للجرجاني.

- وفيات الأعيان - ابن خلكان.

لمحات في علوم القرآن و اتجاهات التفسير، ص: ٣٥١

فهرس الموضوعات

- مقدمة المؤلف ٥- مقدمة الأستاذ الكبير الشيخ على الطنطاوى ٩ القسم الأول: القرآن و علومه ٢١ الباب الأول: القرآن ٢٣- الفصل الأول: في تعريف القرآن و وصفه و دوره في ماضينا و مستقبلنا ٢٥ تعريف القرآن ٢٥ وصف القرآن ٢٦ خلود القرآن ٢٧ دور القرآن في حفظ لغتنا و الابقاء على أمتنا ٢٨ القرآن أساس الاصلاح و سبب النهضة ٢٩ أثر القرآن في البيان و الفكر ٣٥- الفصل الثاني: أسماء القرآن ٣٦ القرآن ٣٧ الكتاب ٤٠ لما ذا سمي القرآن (قرآنا) و (كتابا) ٤١

لمحات في علوم القرآن و اتجاهات التفسير، ص: ٣٥٢

الفرقان ٤٢- الفصل الثالث: في الوحي ٤٣ الوحي في اللغة ٤٣ الوحي في الشرع ٤٥ صور الوحي ٤٦ آثار الوحي على الرسول ٥٠ صدق ظاهرة الوحي ٥١- الفصل الرابع: في تنجيم القرآن ٥٦ موقف المشركين من التنجيم ٥٧ حكم التنجيم و أسرارها ٥٨- الفصل الخامس: في الآية و السورة ٦٧ الآية في اللغة ٦٧ وزنها ٦٨ اشتقاقها ٦٩ جمعها ٦٩ الآية في القرآن ٦٩ كيف تعرف الآيات ٦٩ العلاقة بين المعنى اللغوى و القرآنى ٧٠ السورة ٧٠ جمعها ٧١ السورة خاصة بالقرآن ٧١ من سمي سور القرآن؟ ٧٢- الفصل السادس: في ترتيب آيات القرآن و سوره ٧٣ لما ذا لم ترتب الآيات حسب نزولها؟ ٧٥ ترتيب سور القرآن ٧٦

لمحات في علوم القرآن و اتجاهات التفسير، ص: ٣٥٣

- الفصل السابع: في إعجاز القرآن ٧٨ المعجزة ٧٨ الإعجاز ٨٠ مدار الإعجاز ٨٥ القول بالصرفة ٩٢ تلخيص ٩٥ ترجمة القرآن ٩٧ الباب الثاني: تاريخ جمع القرآن ٩٩- الفصل الأول: في كتابة القرآن في عهد النبي ١٠١- الفصل الثاني: كتابته في عهد أبي بكر ١٠٤- الفصل الثالث: نسخ المصحف أيام عثمان ١١٠ كلمة المصحف ١١٠ سبب نسخ المصحف و طريقة النسخ ١١١ عدد المصحف العثمانية ١١٦ رأى الصحابة في صنيع عثمان ١١٧ الفرق بين جمع أبي بكر و عثمان ١١٨ اين المصحف العثمانية الآن ١١٩- الفصل الرابع: كتابة المصحف و تطورها ١٢٥ الإملاء العثماني ١٢٥ تطور هذه الكتابة ١٢٦ كتابة المصحف و الرسم العثماني

١٣١ نشر المصحف و طبعه في العصر الحاضر ١٣٧ الباب الثالث: علوم القرآن ١٤١- الفصل الأول: المكي و المدني ١٤٥

لمحات في علوم القرآن و اتجاهات التفسير، ص: ٣٥٤

تعريف المكي و المدني ١٤٦ خصائص المكي ١٤٦ خصائص المدني ١٤٧ كيف نعرف المكي من المدني ١٤٨ فوائد معرفة المكي و المدني ١٤٩- الفصل الثاني: المحكم و المتشابه ١٥١ تعريف المحكم و المتشابه ١٥٢ هل المتشابه مما يمكن معرفته ١٥٣ أنواع

المحكم ١٥٥ أنواع المتشابه ١٥٦ التقسيم الأول ١٥٧ التقسيم الثاني ١٥٨ المنحرفون و المتشابه ١٥٨ فوائد المتشابه ١٦١- الفصل الثالث: القراءات ١٦٤ تعريفها ١٦٤ شروط القراءة الصحيحة ١٦٤ القراءات و هي ١٦٥ حديث الأحرف السبعة ١٦٧ هل الأحرف السبعة موجودة في المصاحف العثمانية؟ ١٧٢ تاريخ القراءات ١٧٣ ملاحظات ١٧٧ حكمه تعدد القراءات ١٧٨ جدول بأسماء القراء السبعة و رواتهم ١٨٠ الملاحظات حول القراء السبعة ١٨١

لمحات في علوم القرآن و اتجاهات التفسير، ص: ٣٥٥

جدول بأسماء القراء الثلاثة ١٨٢ الملاحظات حول القراء الثلاثة ١٨٣ القسم الثاني: التفسير و اتجاهاته ١٨٥ التفسير ١٨٧ التفسير و التأويل ١٨٨ الباب الأول: أصول التفسير ١٩١ العلوم التي يحتاج إليها المفسر ١٩٢ الشروط التي يشترطها العلماء في المفسر ١٩٤ قواعد أصول التفسير ١٩٥ الباب الثاني: تاريخ التفسير ١٩٧- الفصل الأول: التفسير في عهد النبي ١٩٩- الفصل الثاني: التفسير في عهد الصحابة ٢٠١ ابن عباس ٢٠٢ قيمة تفسير الصحابة ٢٠٥- الفصل الثالث: التفسير في عهد التابعين ٢٠٨ قيمة تفسير التابعين ٢١٠ ملاحظة ٢١٠- الفصل الرابع: تاريخ التفسير فيما بعد عهد التابعين ٢١٢ الباب الثالث: اتجاهات التفسير ٢١٧- الفصل الأول: الاتجاه اللغوي في تفسير القرآن ٢١٩* القسم المتعلق بمفردات اللغة (أو كتب غريب القرآن) ٢١٩ «غريب القرآن» لابن قتيبة. ٢٢٢ «غريب القرآن» للسجستاني ٢٢٤

لمحات في علوم القرآن و اتجاهات التفسير، ص: ٣٥٦

«المفردات في غريب القرآن» للأصبهاني ٢٢٦* القسم المتعلق بالنحو و القضايا الإعرابية ٢٣١ «كتاب معاني القرآن» للفراء ٢٣٢ تفسير «البحر المحيط» لأبي حيان ٢٣٥ كتب إعراب القرآن ٢٣٧ القواعد التي على معرب القرآن أن يراعيها ٢٣٩* القسم المتعلق بالأساليب البيانية ٢٤١ «الكشاف» للزمخشري ٢٤٣ «في ظلال القرآن» لسيد قطب ٢٥٠ كتب أخرى في التفسير البياني ٢٥٨- الفصل الثاني: التفسير بالمأثور ٢٦٠ مدرستان ٢٦٠ التفسير بالمأثور ٢٦٠ هل تفسير الصحابة و التابعين من المأثور؟ ٢٦٣ متى يقبل التفسير بالمأثور؟ ٢٦٤ أوليته ٢٦٤ الاسرائيليات ٢٦٤ تفسير الطبري ٢٦٩ ترجمته ٢٦٩ تفسيره ٢٧٠ كتب أخرى في التفسير بالمأثور ٢٧٧ كتاب «تفسير القرآن العظيم» لابن كثير ٢٧٧- الفصل الثالث: التفسير بالرأى ٢٧٩ تفسير الرازي ٢٨٥ ترجمته ٢٨٥

لمحات في علوم القرآن و اتجاهات التفسير، ص: ٣٥٧

كتاب «مفاتيح الغيب» ٢٨٦- الفصل الرابع: التفسير العلمي ٢٩٢ تفسير الجواهر لطنطاوى جوهرى ٣٠٣- الفصل الخامس: المنحى الاصلاحى الاجتماعى فى التفسير ٣٠٨ جمال الدين الأفغانى ٣١٠ جمال الدين الأفغانى و التفسير الاصلاحى ٣١١ الشيخ محمد عبده ٣١٤ آثاره فى التفسير ٣١٦ السيد محمد رشيد رضا ٣٢٠ مقدار تفسير السيد محمد رشيد رضا ٣٢١ ملاحظات حول تفسير المنار ٣٢١- الفصل السادس: اتجاهات أخرى ٣٢٤ خاتمة ٣٢٦ المصادر و المراجع ٣٢٧ فهرس الموضوعات ٣٥١

لمحات في علوم القرآن و اتجاهات التفسير، ص: ٣٥٩

من آثار المؤلف المطبوعه

- ١- الابتعاث و مخاطره.
- ٢- أبو داود حياته و سننه.
- ٣- أبو نعيم و كتابه الحلية.
- ٤- أسماء بنت أبي بكر.
- ٥- أقوال مأثورة و كلمات جميلة.
- ٦- أم سليم.

- ٧- بحوث في أصول التفسير.
- ٨- تاريخ القصاص و أثرهم في الحديث النبوي.
- ٩- تحريم الخلوة بالمرأة الأجنبية.
- ١٠- التشريع الاسلامي و حاجتنا إليه.
- ١١- التصوير الفني في الحديث النبوي.
- ١٢- الحديث النبوي: بلاغته، مصطلحه، كتبه.
- ١٣- خواطر في الدعوة إلى الله.
- ١٤- سعيد بن العاص بطل الفتوح و كاتب المصحف.
- ١٥- فن الوصف في مدرسة عبيد الشعر.
- ١٦- لمحات في علوم القرآن و اتجاهات التفسير.
- ١٧- معركة شقحب أو معركة مرج الصفر.
- ١٨- المناهج و الأطر التأليفية في تراثنا.
- ١٩- من أسباب تأخر العمل الاسلامي.
- ٢٠- من صفات الداعية.
- ٢١- نداء إلى الدعاء.
- ٢٢- نظرات في الأسرة المسلمة.
- لمحات في علوم القرآن و اتجاهات التفسير، ص: ٣٦٠
- ٢٣- وصايا للزوجين.
- ٢٤- يوم الفرقان يوم بدر.
- ٢٥- *** أحاديث القصاص لابن تيمية (تحقيق).
- ٢٦- الأسرار المرفوعة لملا علي القاري (تحقيق).
- ٢٧- الباعث على الخلاص من أحاديث القصاص للحافظ العراقي (تحقيق).
- ٢٨- تحذير الخواص من أكاذيب القصاص للسيوطي (تحقيق).
- ٢٩- الدرر المنتشرة في الأحاديث المشتهرة للسيوطي (تحقيق).
- ٣٠- رسالة أبي داود إلى أهل مكة (تحقيق).
- ٣١- الفوائد الموضوعية في الأحاديث الموضوعية للكرمي (تحقيق).
- ٣٢- القرامطة لابن الجوزي (تحقيق).
- ٣٣- القصاص و المذكرون لابن الجوزي (تحقيق).
- ٣٤- كتاب الضعفاء و المتروكين للدارقطني (تحقيق).
- ٣٥- مختصر المقاصد الحسنه للزرقاني (تحقيق).

تعريف مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

جاهدوا بأموالكم و أنفسكم في سبيل الله ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون (التوبة/٤١).

قال الإمام علي بن موسى الرضا - عليه السلام: رَحِمَ اللَّهُ عَبْدًا أَحْيَا أَمْرَنَا... يَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَيُعَلِّمُهَا النَّاسَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ كَلَامِنَا لَأَتَّبَعُونَا... (بِنَادِرُ الْبِحَار - في تلخيص بحار الأنوار، للعلامة فيض الاسلام، ص ١٥٩؛ عُيُونُ أَخْبَارِ الرُّضَا(ع)، الشَّيْخُ الصَّدُوقُ، الباب ٢٨، ج ١/ ص ٣٠٧).

مؤسس مجتمع "القائمية" الثقافي بأصفهان - إيران: الشهيد آية الله "الشمس آبادي" - رَحِمَهُ اللَّهُ - كان أحدًا من جهابذة هذه المدينة، الذي قد اشتهر بشغفه بأهل بيت النبي (صلوات الله عليهم) ولاسيما بحضرة الإمام علي بن موسى الرضا (عليه السلام) و بساحه صاحب الزمان (عجل الله تعالى فرجه الشريف)؛ ولهذا أسس مع نظره و درايته، في سنة ١٣٤٠ الهجرية الشمسية (= ١٣٨٠ الهجرية القمرية)، مؤسسه و طريقة لم ينطفيئ ومصباحها، بل تتبّع بأقوى و أحسن موقف كل يوم.

مركز "القائمية" للتحري الحاسوبى - بأصفهان، إيران - قد ابتدأ أنشيطه من سنة ١٣٨٥ الهجرية الشمسية (= ١٤٢٧ الهجرية القمرية) تحت عناية سماحة آية الله الحاج السيد حسن الإمامي - دام عزه - و مع مساعده جمع من خريجي الحوزات العلميه و طلاب الجوامع، بالليل و النهار، في مجالات شتى: دينيه، ثقافيه و علميه...

الأهداف: الدفاع عن ساحة الشيعة و تبسيط ثقافه الثقلين (كتاب الله و اهل البيت عليهم السلام) و معارفهما، تعزيز دوافع الشباب و عموم الناس إلى التحري الأذق للمسائل الدينيه، تخليف المطالب النافعه - مكان البلايتي المبتدله أو الرديئه - في المحاميل (=الهواتف المنقولة) و الحواسيب (=الأجهزة الكمبيوترية)، تمهيد أرضيه واسعة جامع ثقافيه على أساس معارف القرآن و أهل البيت -عليهم السلام - بباعث نشر المعارف، خدمات للمحققين و الطلاب، توسعه ثقافه القراءة و إغناء أوقات فراغه هواة برامج العلوم الإسلاميه، إناله المنابع اللازمه لتسهيل رفع الإبهام و الشبهات المنتشرة في الجامعه، و...

- منها العداله الاجتماعيه: التي يمكن نشرها و بثها بالأجهزة الحديثه متصاعده، على أنه يمكن تسريع إبراز المرافق و التسهيلات - في آكناف البلد - و نشر الثقافه الإسلاميه و الإيرانيه - في أنحاء العالم - من جهه أخرى.
- من الأنشطة الواسعه للمركز:

(الف) طبع و نشر عشرات عنوان كتب، كتيبه، نشره شهريه، مع إقامة مسابقات القراءة

(ب) إنتاج مئات أجهزة تحقيقيه و مكتبيه، قابله للتشغيل في الحاسوب و المحمول

(ج) إنتاج المعارض ثلاثيه الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرسوم المتحركه و... الأماكن الدينيه، السياحيه و...

(د) إبداع الموقع الانترنتي "القائمية" www.Ghaemiyeh.com و عدده مواقع أخر

(ه) إنتاج المنتجات العرضيه، الخطابات و... للعرض في القنوات القمرية

(و) الإطلاق و الدعم العلمى لنظام إجابة الأسئلة الشرعيه، الاخلاقيه و الاعتقاديه (الهاتف: ٠٠٩٨٣١١٢٣٥٠٥٢٤)

(ز) ترسيم النظام التلقائى و اليدوى للبلوتوث، ويب كشك، و الرسائل القصيره SMS

(ح) التعاون الفخرى مع عشرات مراكز طبيعيه و اعتباريه، منها بيوت الآيات العظام، الحوزات العلميه، الجوامع، الأماكن الدينيه كمسجد جمكران و...

(ط) إقامة المؤتمرات، و تنفيذ مشروع "ما قبل المدرسه" الخاص بالأطفال و الأحداث المشاركين في الجلسه

(ي) إقامة دورات تعليميه عموميه و دورات تربية المربى (حضوراً و افتراضاً) طيله السنه

المكتب الرئيسى: إيران/أصفهان/ شارع "مسجد سيد" / ما بين شارع "پنج رمضان" و "مفتق" و فاني/ "بنايه" القائمية

تاريخ التأسيس: ١٣٨٥ الهجرية الشمسية (= ١٤٢٧ الهجرية القمرية)

رقم التسجيل: ٢٣٧٣

الهويه الوطنيه: ١٠٨٦٠١٥٢٠٢٦

الموقع: www.ghaemiyeh.com

البريد الالكترونى: Info@ghaemiyeh.com

المتجر الانترنتى: www.eslamshop.com

الهاتف: ٢٥-٢٣-٢٣٥٧٠٢٣ (٠٠٩٨٣١١)

الفاكس: ٢٣٥٧٠٢٢ (٠٣١١)

مكتب طهران ٨٨٣١٨٧٢٢ (٠٢١)

التجارية و المبيعات ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩

امور المستخدمين ٢٣٣٣٠٤٥ (٠٣١١)

ملاحظة هامة:

الميزانية الحالية لهذا المركز، شعبيته، تبرعته، غير حكوميته، و غير ربحيته، اقتنيت باهتمام جمع من الخيرين؛ لكنها لا توافي الحجم المتزايد و المتسع للامور الدينيه و العلميه الحاليه و مشاريع التوسعه الثقافيه؛ لهذا فقد ترجى هذا المركز صاحب هذا البيت (المسمى بالقائمية) و مع ذلك، يرجو من جانب سماحه بقيه الله اعظم (عجل الله تعالى فرجه الشريف) ان يوفق الكل توفيقاً متزائداً ليعانتهم - فى حد التمكّن لكل احد منهم - إيانا فى هذا الأمر العظيم؛ إن شاء الله تعالى؛ و الله ولى التوفيق.

مركز
للبحوث والتحريات الكمبيوترية
الغمامة اصحمان



للحصول على المكتبات الخاصة الاخرى
ارجعوا الى عنوان المركز من فضلكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir

و للايحاء من فضلكم

٠٩١٣ ٢٠٠٠ ١٥٩

